حنان البهي

العباية

رواية

الدار المصرية اللبنانية

العَبَايَة

رواية

البهي، حنان.
العباية: رواية / حنان البهي.– ط2.–
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2016.
448 ص؛ 20 سم.
تدمك: 1 – 038 – 795 – 977 – 978
1– القصص العربية.
أ – العنوان 813
رقم الإيداع: 1714 /2016

©
الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت القاهرة.
تليفون: 23910250 202 +
فاكس: 23909618 202 + – ص. ب 2022
E-mail:info@almasriah.com
www. almasriah.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الطبعة الأولى: ربيع آخر 1437 هـ – يناير 2016م
الطبعة الثانية: 2016م

جميع الحقوق محفوظة للدار المصرية اللبنانية، ولا يجوز،
بأي صورة من الصور، التوصيل، المباشر أو غير المباشر، الكلي أو الجزئي، لأي
مما ورد في هذا المصنف، أو نسخه، أو تصويره، أو ترجمته أو تحويره أو الاقتباس
منه، أو تحويله رقميًا أو تخزينه أو استرجاعه أو إتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن
كتابي مسبق من الدار.

حنان البهيّ

العَبَاية

رواية

الدار المصرية اللبنانية

إهـــداء

أهدي هذا الكتاب إلى كل من عاش معي وحولي وتحمل تقلباتي أثناء كتابته..
أهديه أيضًا لكل امرأة أعتقدت، في يوم من الايام، أن درس الدين

– وحده - هوالطريق إلى الله، وأنه المفر من أي خطيئة..
أهديه إلى كل قارئ وقارئة سيقضون الدقائق والساعات والأيام في قراءته..
وأخيرًا.. أهديه إلى أحبائي وأرسل إليهم كلمة واحدة «أحبكم»..

الفصل الأول

الخط الأحمر

في داخل كل منا خط أحمر.. وما أكثرالخطوط الحمراء في حياتنا... ظاهرة كانت أم خفية... اعتدنا منذ الصغر رؤية وسماع الكثير من الكلمات، التي أطعناها دون التفكير في معانيها مثل كلمة «عيب» و«مايصحش» و«إنت لسه صغير/صغيرة» بالإضافة إلى نظرة الأم أو الأب المملؤة بالوعيد والتحذير من التدخل فيما يخص الكبار، والتي كنا نطلق عليها «زغر أو تبريق»... وعندما تقدمت بنا السن بدأت هذه الكلمات تتمحور، وتتحول إلى كلمة واحدة تحذيرية، وهي «خط أحمر»... وأصبحنا كثيرًا ما نستمع إلى عبارة «مايصحش الكلام في الموضوع ده» أو «الموضوع ده... خط أحمر»!!!

بدأت قائمة الممنوعات بأن حضور جلسات الكبار خط أحمر.... الكلام في العلاقات الزوجية خط أحمر.... الكلام في الطلاق خط أحمر.... الكلام في الجنس مع أنه في كتاب العلوم خط أحمر... حتى الأمور الخاصة ببعض الأشغال والأعمال أصبحت خطًّا أحمر.... نشأنا على هذه المفاهيم ولم نعترض، بل وتقبلناها وكأنها تطبيق لمبدأ السمع والطاعة.. وأنا هنا أتكلم عن جيلي (من هم في الأربعين وما فوقها)...

أتناول في هذا الكتاب معكم موضوعًا، بنى حدوده بنفسه وكون المتداخلون فيه لنفسهم نقاط النظام وحددوها، ولم تكن خطًّا أحمر فقط، وإنما أطلق البعض عليها كلمة جديدة تحذيرية وهي... «تابو»..

تابو أن نتناقش فيه مع انه «دين»!!! نعم... دين..

ديننا الذي قصره البعض على أنفسهم وعيّنوا أنفسهم عليه حكامًا وجلادين، وكانهم الحماة له من كل دخيل!

ولكن هل للدين حماة؟؟؟

هل الدين مقصور على البعض دون البعض الآخر؟ وما معايير القصر؟؟؟ ومن يضع هذه المعايير؟!!!

لم يكتف بعض من أطلقوا على أنفسهم لقب «دعاة» بخلق دائرة الثقة فيهم، وفيمن حولهم ممن يدينون لهم بالولاء والسمع والطاعة، بل تمادوا وتحكموا فيها... وتم الحكم على الكثيرين من البشر من مجرد رؤيتهم.. رؤية مظهرهم الخارجي مع ان الله أعلم بالداخل، ولكنهم لم ينتبهوا إلى ذلك، ولم يهتموا مادام المظهر سليمًا من وجهة نظرهم.

وخلقت في هذه الآونة مسميات كثيرة على شاكلة: «ملتزمة» وهي تطلق على الأنثى «امرأة كانت أو فتاة» عندما ترتدي النقاب أو الخمار أو حتى العباءة السوداء... والنقاب نفسه درجات فهناك ما به «زينة» أي سرفلة بالورب

للطرحة، أو وردة سوداء على الجوارب أو العباءة، وهي في أغلب الأحيان لا ترى بسهولة.. ثم يأتي النقاب المتعارف عليه، وتظهر منه العين فقط ... ثم يليه الخمار، وهو غطاء من الرأس إلى ما بعد الوسط، وجرت العادة أن أغلب النساء اللاتي يرتدين الخمار هن من طبقة السيدات العاملات بداية من الطبيبة إلى الموظفة في المصلحة الحكومية، وغالبًا ما تكون جهة العمل غير مرحبة بارتداء النقاب، ويكون الخمار هو البديل الوحيد، الذي لابد وأن يكون بألوان محددة «حلال» كالأسود أو الرمادي أو الكحلي أو البني الغامق فقط!!! أما بقية الدرجات من الألوان الزاهيه والطرح الملونة التي ترتديها النساء، اللاتي نطلق نحن عليهن لقب «محجبات» فهي مرفوضة قولا وفعلًا بالنسبة لهم ومن تفعلها في نظرهم يمكن أن يطلق عليهن لقب «محتشمة» وإن لم يحترم قرار حجابها، رغم أنهن قد يعتبرنها على بداية الطريق.

أما كلمة «ملتزم»، فإنها تطلق على الرجل لمجرد أن يكون ملتحيًا ومقصرًا لسرواله (البنطلون).. وبالطبع، فالألوان حتى بالنسبة للرجل كانت محددة؛ لأن ارتداء الرجل للألوان الزاهيه يعتبر تشبهًا بالنساء!!! كيف والنساء من الأصل لا يجدر بهن أن يرتدين هذه الألوان؟!!! وقد قال البعض بأنه من الممكن أن ترتدي المرأه في بيتها هذه الالوان ولكن لزوجها فقط وليس أمام أولادها، ناهيكم طبعًا عن أنه لا يجوز ارتداء الملابس العارية أو الشفافة لأنها بملبسها هذا تثير غرائز ابنها!!!

وقد تسببت هذه المظاهر في كم لا يستهان به من الزيجات الفاشلة، التي تمت لمجرد انخداع عائلة بعائلة أخرى والتسرع في الارتباط، أي عقد القران حتى يتسنى للعريس أن ينفرد بعروسه، ومن ثم يرى شعرها!!! وكم من زيجات فشلت لانها بنيت على هذه المسميات ومظاهرها الخادعة... وأن: «العيلة دي بيعرفوا ربنا» لمجرد أن الأب والأم «ملتزمان» بالطريقة نفسها التي ذكرناها من قبل.

وعندما تجد الأم والأب ملتزمين والبنت مطيعة لهما، ولكنها مازالت تحت مسمى «المحتشمات»، ومازالت ترتدي بعض الألوان الزاهية، نجدهم يلتمسون لها العذر ويقولون عنها «بتجتهد للالتزام»، وهذا الفخ لاتقع فيه الابنة وحدها، وإنما يقع فيه الابن أيضا، الذي من الممكن أن يطلق لحيته لأي سبب كان، فيقال «إنه على طريق الالتزام»!

ولكن ما المعنى الحقيقي لكلمة «ملتزم» أو «ملتزمة»؟

من أنت حتى تعتقد أنك اطّلعت على قلوبهم من مجرد رؤية شكلهم الخارجي؟

ومن الذي حدد لك معاييرالالتزام؟

لست بحكم ولا قاضٍ، وبالطبع لا أعمم ولا أشكك في النوايا.. ولكنني أتحدث

بمعرفة تامة لعددٍ كبير من الشابات، اللاتي قررن ارتداء الحجاب لأسباب عديدة، غير أنه فرض من الله تعالي على المؤمنات، كأن تكون كل بنات ونساء العائلة يرتدين الحجاب بمختلف درجاته من النقاب إلى الاحتشام ... أو طبقًا للصحبة التي ترافقها أو البيئة المحيطة بها. وهناك أيضًا من اعتبرت الحجاب توفيرًا لنفقات الذهاب للكوافير، وهناك من أجبرت من الأب لتشدده؛ لأنها وصلت إلى سن البلوغ.. وهناك من أجبرها زوجها على الحجاب كدليل على الحب والغيرة... ولكن هذا لا يمنع إطلاقًا من أن هناك عددًا لا يستهان به من الآباء والأزواج، الذين فرضوه على من حولهم من بنات وزوجات طاعة لله تعالي.

ولكن أيهما أهم: الشكل الخارجي والمظهر أمام الناس، أم نقاء القلب والصفاء الداخلي؟

وبالمقاييس نفسها، تم التطبيق على سوء الخلق!!! نعم فقد قيل الكثير عن سوء أخلاقيات المرأه التي لا ترتدي الحجاب، كما قيل الكثير عن سوء أخلاق الشباب، الذي يرتدي الجينز والنظارة الشمس لمجرد مظهره وعدم إطلاقه للحيته!!!

بل لقد تم وصف الكثير منهم بالفساد الأخلاقي والتشكيك في نواياهم.. ولكن هل من مطلع على قلب المنتقبة والملتحي غير الله؟ هل من عالم لنواياهم غير الله؟ ألم يقل رسول الله ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»؟ إن من يتفهم ويتدبر هذا الحديث يصل إلى أننا لا يجب أن نتوقف عند اعتبار الزي والمظهر أول دلائل الأخلاق، وهناك وجه آخر للإسلام، بعيدًا عن الزي والمظهر.. هو تقوى الله في كل شيء وأداء جميع فرائضه بمنتهى اليقين والإيمان والاتسام بحسن الخلق والنية الحسنة ولكنها ليست بمحجبة.

ولم يكتف هؤلاء عندما عينوا أنفسهم حكامًا على من هي الملتزمة ومن هي غير الملتزمة، بل امتد الأمر إلى أن يكفّروا من لم تقو على الحجاب فخلعته!!! وصل بهم الأمر إلى حد التكفير... وإلى أنهم طالبوا كل من حولهم بأن يقاطعوها لما لها من أثر سلبي عليهم.. ما أقوله هذا ليس برأي شخصي أو اجتهادي، وإنما هي مجموعة من الحوادث التي حدثت على مرأى ومسمع مني، بل ومن الممكن أن يصل الأمر في بعض الأحوال إلى الاستعانة بآراء شيوخ أجلاء؛ ليفتوا بأن من تخلع الحجاب آثمة أكثر ممن لم تلبسه من الأصل.

أين مراعاة الآخر؟ أليس من الممكن أن تكون قد تعرضت لنوع من الضغوط أفقدها القدرة على الاستمرار في الحجاب؟ أليس من الممكن أن تكون قد تعرضت لمشكلة أو أزمة نفسية أو شخصية أو حتى دينية؟!!! نعم... الأزمة الدينية صدمتها أكبر وأقوى من صدمات أخرى... أليس من الممكن أن تكون قد فقدت الثقة في قدوة اقتدت بيها... في هذه الأزمات

لا يستطيع أي إنسان أن يضمن ردة الفعل... مافعله هؤلاء بالبشر جرى كالسم في عروق بعض المؤمنين بهم... ادعوا الإصلاح وغرضهم كان الهدم... كثير منهم

لم يفعل ماكان ينادي به... ألم يعلموا أننا كلنا عرضة لهزة في ديننا الذي هو أغلى ما نملك؟

الفصل الثاني

«البداية»

ليلى... سيدة في منتصف الثلاثينيات من عمرها... جميلة، ذكية، جذابة، خفيفة الدم، ممشوقة القوام، مريحة الوجه، متألقة ومتأنقة دائمًا، متعلمة وحاصلة على أعلى الشهادات... كانت تحب كل من حولها من البشر، وكأن الملكوت يدور في دائرة من الحب والمودة اللا منتهية بينها وبين كل من حولها... هدفها الأساسي في الحياة مساعدة الآخرين... لم تكن تختار من تساعد قبل من... ولا من أولى بالمساعدة، وإنما كانت، ودون قصد، وكأنها تطبق حديث «استفت قلبك»... وكان اقتناعها الشخصي أن من يطلب المساعدة فهو في حاجة إليها، ومادامت تستطيع مساعدته فلابد من تقديم كل العون له. والمساعدة ليست بالمادة فقط ولا للفقير، وإنما لكل من يحتاج إلى مشورة، رأي أو كلمة، أو مواساة وليس النقود فقط.. باختصار، وباللغة العامية، كانت «ست جدعة».

كان الحس الديني عند ليلى فطريًّا وليس بالاكتساب... فقد تربت في مدارس راهبات، وتعلمت منهم الأصول والصرامة والالتزام وتحمل المسئولية، وساعدها على هذا والدها ووالدتها، وشخصية كل منهما القوية التي تربت عليها منذ الصغر... قدرتها على استيعاب الناس والإحساس بمشاكلهم ومساعدتهم في التوصل للحلول، جعل منها منفذًا تلجأ إليه الكثير من صديقاتها وقت الأزمات؛ طلبًا للحل أو للمساعدة أو حتى لمجرد الاستماع إلى رأيها في المشكلة.

كانت ليلى محاطه بكم هائل من الأصدقاء من كافة المستويات، تستمع إليهم وتخرج معهم.. وكما تعلمت من بعضهم عمل الخير، تعلمت أيضًا أن تعلمه لبقيتهم وتحثهم عليه...

اندماجها مع مختلف طبقات المجتمع كان مبهرًا، بمعنى أنها كان من الممكن أن تجلس مع زوجة البواب بالساعات، تستمع إلى قصتها وتساعدها على تلقين بناتها المعلومات المفيدة عن موضوعات مختلفة كالطهارة والحفاظ على نظافتهم الشخصية والالتزام بقواعد الأدب والحياء والالتزام في المدارس وغيرها، أو تجلس في المطبخ مع العاملات لتناول وجبة الإفطار، وتسأل عن طبق الفول والبصل الأخضر في صعيد، وعلى صعيد آخر تجدها متألقة مع طبقة الصفوة في المجتمع، داخل مصر وخارجها، ويتضح هذا عندما تبدأ بعوج لسانها والرطن بلغات مختلفة على حسب المكان المتواجدة فيه!

كانت ليلى دائما، منذ صغرها ذات طموح عالٍ وزائد، ولكنه غريب... كان طموحًا منحصرًا في خدمة عائلتها أو أصحابها أو حتى خدمة المجتمع... لم تكن الأعمال الخيرية التي كانت تساهم فيها منحصرة في أصدقائها فقط، وإنما كانت ممتدة إلى عائلتها وعائلة زوجها حتى أولادها وأصدقائهم، وكانت أسعد لحظاتها عندما

تجمع أصدقاء أولادها وتأخذهم في إحدى النزهات... نيلية أو سياحية يتعرفون بها على معالم بلدهم، وتشعرهم بالانتماء، أو حتى نزهه في مركز تجاري أو السينما، وكانت تتناقش معهم في كل ما رأوه وسمعوه في الزيارة، ودائما ما تختتم هذه النزهة أو تبدأها بزيارة ملجأ من الملاجئ الفقيرة، حتى تثير مشاعر الرحمة لدى الأولاد، وتسألهم عن رأيهم في حياة اليتامي أو مستشفي من المستشفيات المجاني، وتأخذ برأيهم في طرق لمعالجة الفقر والجهل، حتى إنها كانت تذهب بهم إلى مراكز الشباب في الأحياء الشعبية، وإن استلزم الأمر بقاءهم في السيارة لمشاهدة أصحاب المواهب الرياضية، وتحثهم دائمًا على العلم والعمل من خلال المناقشات المفتوحة؛ حتى يفكر كل واحد منهم في طرق لتحقيق ما يتمناه.

وكان معظم أهالي أصدقاء أولادها يثقون فيها ويحبونها هم وأولادهم، ويعتبرون أن بيتها هو تقريبا البيت الوحيد الذي لا قلق منه ولا مشاكل فيه، وكانوا قلما يتصلون في الفترة التي يتواجد فيها أولادهم معها للاطمئنان أو حتى السؤال عليهم لثقتهم الكبيرة فيها، وفي مقدرتها على حل أي اشكالية أو سوء فهم يمكن أن يحدث مع الأولاد. والغريب أن هؤلاء الأهالي كانوا يتقبلون توجيه ليلى لأولادهم، الذي يمكن أن يصل إلى درجة العقاب لثقتهم في أنها لا تفعل مع أولاد غيرها ما لا تفعله مع أولادها.

كانت حياة ليلى مكرسة لزوجها وأولادها وعائلتها وعائلة زوجها، ولكنها من وقت إلى آخر كانت تخرج مع صديقاتها، ولكن في مواعيد
لا تتعارض مع مواعيد زوجها وأولادها.

كانت المجاملات من أهم مزايا ليلى؛ خصوصًا في الأحزان... كما عوَّدها أهلها.. كانت المجاملة في الأحزان واجبة، ولا يمكن الاعتذار عنها ولا تقارن بالمجاملة في الأفراح، ولم تكن تفرق بين من يستوجب تلبية نداء الواجب له... ابن البواب مثله كابن الوزير... الواجب واجب لدرجة أنها في يوم، عندما دخلت إلى عزاء في المسجد واكتشفت أنها لا تعرف أي شخص في العزاء وأنها في المكان الخطأ، لم تنصرف، لم تمش وإنما انتظرت حتى انتهى المقرئ من قراءة الربع من القرآن وعزت أهل الفقيد، وذهبت إلى العزاء الصحيح!!! كما كان الواجب بالنسبة لها مساعدة الغير وجمع التبرعات سواء لحالات مرضية أو يتامى أو أمهات دون عائل، لدرجة أنها ذهبت إلى مديرية الأمن في يوم، حتى تسأل على الغارمات، وبالفعل جمعت كمًّا غير قليل من الأصدقاء والأقارب، وساعدت في خروج بعضهم من السجون... الأمر الذي لم تخجل منه أبدًا ليلى هو أنه كان لمساعدة المحتاج هدف خفي في نفسها، وهو أن تثقل موازين أعمال كل من حولها..

حياتها كانت منتظمة وحلوة مع كل أهلها وأولادها؛ خصوصًا مع حبيب قلبها وزوجها.....

ولكنها كما كانت لها مزايا عديدة.. فقد كان لها عيوب أيضًا.. فضولها لاستكشاف العوالم الجديدة والغريبة من حولها.. جرأتها وحبها للتجربة والمغامرة.. وانبهارها بكل ما هو غامض..

خالد زوج ليلى المحب والعنيد والمثقف والمتحدث في كل المجالات بمنتهى الثقة والحجة والانطلاق والقدرة على الإقناع... صبور إلى أقصى درجة ولا يمكن استفزازه.. دؤوب وناجح وطموح في العمل والبيزنس... نجاحاته المتتالية جعلته شاكرًا لله، ثم ليلى التي دائمًا ما كان يصرح بقوتها وتشجيعها الشديد ومساندته في اتخاذ معظم قراراته المصيرية... لم تكن قوة شخصيتها تتعارض أبدًا مع كونها أنثى بكل معنى للكلمة، تحنو عليه وتعامله بكل الحب والدلع.

كان خالد وسيمًا وجذابًا، وكثيرًا ما كان الناس يعتقدون أنهما قريبان من شدة الشبه بينهما وملامحهما المصرية... بينهما علاقة حب مستمرة من أول مقابلة تمت بينهما... ومن يومها وهما على درجة عالية من الاتفاق تقريبًا في معظم الآراء... كان حبهما واضحًا لكل الناس... لا يتكلفان فيه
ولا يتعمدان إظهاره بأي شكل من الأشكال، وإنما صدق مشاعرهما جعلهما مثالًا للحب والتفاهم.

كل حياتهما كانت مرتبطة ببعضهما البعض.. خروجات.. سفريات.. وخلافه.

كان عندهما كم هائل من المعارف والأصحاب لدرجة كانت تستفز أهلهم، وكانت والدة خالد تسخر منهما دائمًا قائلة: «إنتم بتفتكروا أسامي الناس دول كلهم إزاي؟!!»..

كان من ضمن معارفهما ثنائي آخر: حسين ورانيا... ثنائي لطيف، ولكنهم كانوا يتقابلون من وقت لآخر دون ترتيب وجود أبنائهم في المدرسة نفسها، ورغم أن «خالد» كان زميل حسين في المدرسة أثناء طفولتها وشبابها... كان هناك دائمًا عائق يعوق تكملة هذه الصداقة، والأغلب كان من ناحية رانيا زوجة حسين... كانت رانيا متحفظة في علاقاتها؛ خصوصًا مع ليلى وخالد، أو هكذا كانت تبدو.. وكانت تتسم في أغلب الوقت بالغموض في كل تحركاتها، وكانت أفضليتها دائمًا مع بعض الناس الذين يعتبرون أغرابًا عن حسين زوجها نفسه... وكانت كلما ذهبت إلى النادي لتوصيل أولادها، كانت ترى ليلى بابتسامتها الدائمة، ووجهها الطلق مع أولادها من تمرين إلى آخر، ومن بطولة إلى أخرى، لا تتركهم أبدًا على عكس رانيا، التي كانت تترك أولادها مع المربية، وتخرج هي من النادي لقضاء مشاويرها لكرهها الشديد للنادي ومن فيه.

كان حسين زوج رانيا يستشهد دائمًا بليلى وتعاملها مع خالد وعلاقتهما ببعضهما، وعلاقة ليلى بأولادها، وكان دائمًا ما يطلق عليها كلمة «سوبر ليلى». وفي الحقيقة كان دلعها لخالد محور حديث ناس كثيرين من أصحابهم ومن أهلهم أيضًا؛ مما كان يسبب بعض الضيق لرانيا على وجه الخصوص، ليس

بسبب المقارنة التي يمكن أن تعقد بينهما ولا لإحساسها بالتقصير من ناحية حسين، فقد كانت ترى نفسها مثالية معه، ومع الأولاد، وأن لكل شخص طريقته في التعبير عن حبه للآخر، ولم تكن تحب أن تتكلم ولا تسمع أي شيء بخصوص هذا الموضوع، وتطلق عليه «لغو مالوش مناسبة»، وكان عزاؤها أنها نادرًا ما تتقابل هي وزجها مع خالد وليلى.

وفعلًا كانت الحفلة السنوية لأولادهم في المدرسة، وتقابلوا هناك جميعًا وكان خالد وحسين يفتقدان بعضهما جدًّا وسعدا جدًّا بهذا اللقاء...

وبحكم وجود خالد وحسين في مدرسة واحدة من الصغر، كانت تربط أهاليهم صداقة عائلية بسبب نشأتهم في البيئة نفسها ودائرة الأصحاب نفسها تقريبًا.. وكان ما يميز الرجلان أنهما مهما طال وقت غيابهما عن بعضهما، فإن بينهما حبًّا وتقديرًا لانشغال كل منهما بأعماله وحياته، ويتقابلان بمنتهى الترحاب والحب ويستعيدان الذكريات، ويبدأ سيل التعليقات المضحكة والنكات الخارجة، وهذا ما حدث بالفعل لحظة لقائهما في الحفلة المدرسية، وسرعان ما عاد الحديث إلى طبيعته...

خالد::إنت فين يا عم أخبارك إيه؟».

حسين: «ماشي الحال في الدنيا... إنت عامل إيه والولاد وليلى»..

خالد: «كله تمام... ليلى تلاقيها منطلقة طبعًا دلوقتي بتسلم على طوب الأرض»..

حسين: «طيب ما تيجي نروح لها ونسلم معاها يا خويا على طوب الأرض، يمكن ينوبنا من الحب جانب»..

خالد: «إنت أد الكلام ده؟؟؟ ياللا بينا»..

حسين: «لا يا عم مش طالبة محاضرة النهارده من الرنروون... تعالى أحسن ندخل، وندور لنا على مكان قبل ما الحفلة تبتدي»..

خالد: «مكان؟ إحنا مكاننا في الصف الأول يا بني... إنت مش عارف ليلى ولا إيه؟ دي هنا من بدري بتوضب مع المدرسة وبتطمن على الولاد بنفسها في كل حاجة... وأنا آجي على الآخر»...

حسين: «باشا يا حبيبي من يومك متدلع... تعالي بقى معايا أنا أشوف لي مكان أنا ورانيا»..

خالد: «هي فين رانيا صحيح!».

حسين: «راحت تدور على حتة تصلي فيها العشا».

خالد، وهو يضحك: «العشا؟ ده باين لسه مأذن... هو مش العشا ممتد شويتين لسه ولا إيه؟».

حسين: «بقول لك إيه... ارحمني أنا مش ناقصاك... ماتدخلنيش في

السياسة»..

وفجأة ظهرت رانيا المتحفظة، وإن كانت لا تخفي جمالًا وراء هذا التحفظ، وكانت ترتدي عباءة سوداء أنيقة، وتنظر بتفحص يقرب من الانتقاد لكل من حولها، واتجهت ناحيتهما، وسلمت على خالد بهز الرأس، وهي تفرك في يديها المغطاة بالجوإنتِ الأسود، ومد خالد يده ليسلم عليها: «إزيك يا رانيا؟؟؟ أخبارك إيه؟».

سلمت رانيا على خالد وكفها مفرودة ومتخشبة تمامًا، متجنبة التطويل في السلام.

وقبل أن تسأل عن ليلى، وجدتها أمامها بابتسامتها وجمالها وشياكتها وروحها الجميلة، وسلمت على حسين بالإيد وسلمت على رانيا بحرارة ورانيا، وهي تسلم عليها.. وقبلتها 3 قبلات!!!

ضحكت ليلى وقالت لها: «إيه يا رنووون الـ3 بوسات دول بقى ؟ فرنساوي ولا لبناني؟».

ردت رانيا بابتسامة صفرا، بس واثقة من نفسها: «لأ.. دي 3 بوسات نبوية على سُنة النبي عليه الصلاة والسلام»..

ابتسمت ليلى وقالت: «بجد؟ كانوا بيبوسوا 3 بوسات ليه؟».

رانيا: «وِتْر... يعني كل حاجة نعملها فرادى... على السُّنة»..

رد خالد: «طيب ماهو ممكن يبوسوا بوسة واحدة بس أو خمسة... ماهي فرادى برضوا»..

ومال على حسين ضاحكًا، وأكمل: «ونقضي الليلة كلها بوس ولا إيه؟».

ردت رانيا، وهي تنظر شزرًا لحسين، الذي كان يضحك بصوت عالٍ: «فيه حاجات مافيهاش هزار يا خالد... فيها سمعًا وطاعة بس واتولدنا وكبرنا ولقينا أهلنا وشيوخنا بيعملوها لأنها نهج النبي عليه الصلاة والسلام».

خالد بجدية بسيطة: «على حسب معلوماتي، السمع والطاعة في القرآن وكلام ربنا بس، مش في النهج والسنة يا حاجة والّا إيه؟».

رانيا: «لأ في القرآن والسنة... ربنا قال: «وآتيناكم الكتاب والحكمة»... والحكمة هنا هي السنة لو معلوماتك مش كاملة يعني لازم نؤدي كل ما جاء بها بدون نقاش»..

رد خالد بابتسامته الباردة: «على فكرة هي «الذين آتيناهم الكتاب والحكمه» مش «و آتيناكم الكتاب والحكمه»، وعمومًا لينا حوار حوالين الموضوع ده بعدين»...

وأكمل خالد حديثه موجهًا إياه لحسين: «مش بتروح النادي خالص

ولا إيه.... ما تيجي بكره الجمعة نروح ونقضي اليوم هناك.... ليلى مرتبة لنا اليوم مع إخواتي وأمي»..

قالت ليلي، في محاولة لتخفف الجو: «آه يا رانيا ياريت والله... إحنا هنروح على صلاة الجمعة وهنغدي الولاد هناك ونقعد شوية مع طنط وشوية صحاب لينا وبعدين نروح الولاد ونروّح ناكل في الفيرست مول... فيه معرض خيري حلو أوي»..

رانيا: «خيري؟ خيري إيه ده اللي في أوتيل»..

حسين: «لو عاوزين نتغدي مع بعض يبقي مش في أوتيل(هههههههه) مراتي ما بتروحش أوتيلات!!!!!!!!!!»..

امتعض وجه رانيا بطريقة لم يفهمها خالد، وأسرعت ليلى وردت بمنتهى سلامة النية: «في الفيرست مول مش في الأوتيل نفسه.. أو حتى بلاش... نروح السينما ونتغدى في أي مكان جنب السينما»...

ضحك حسين بقوة وقال: «ولا بتدخل السينما!!!».

وهنا لم يستطع خالد كتمان فضوله، وسأل: «مش فاهم يعني إيه؟».

ووجه نظره إلى رانيا وسألها: «سينما؟ لأ؟ إنتِ كلاستروفوبيك؟».

تغير وجه رانيا التي نظرت إلى زوجها بمنتهى اللوم والعتاب مما جعله يرد سريعا: «ولا فوبيا ولا لوبيا... أنا مراتي مش بتدخل أي مكان فيه خمرة؛ فالأوتيلات ممنوعة»..

فقاطعه خالد: «والسينما علشان ممكن يشربوا خمرة في الفيلم ولا إيه؟».

ردت رانيا بحدة: «لأأأأ ياخالد مش علشان كده... علشان السينما حرام!!!».

ليلى متفاجئة: «آر يو سيريوس؟ السينما بالذات يعني؟».

رانيا بتحدٍّ: «والتليفزيون وحتى الراديو.. وكل اللي مالوش لازمه»..

قاطعتها ليلى بمنتهى الديبلوماسية، في محاولة لتفادي أي مشكلة وقالت: «أسبوع معانا وهنغيرك خالص.. ياللا بس إحنا دلوقتي ندخل نتفرج، وبعدين نبقى نتكلم»..

حسين: «يا ستي إنتم عندكم أماكنكم محجوزة ڤي آي بي.... إحنا لسه!!».

ليلى بفخر وابتسامة: «مين اللي قال كده؟؟؟ طبعًا حجزتلكم مكان، صحيح مش في الصف الأول بس أماكن حلوة أوي... افرديها بقى يا رنووون»..

خالد لحسين بهدوء، ولكن بثقة من أن تسمع رانيا: «والحفلة دي والمزيكا والغُنا والرقص مش حرام»..

رانيا بتحدٍّ: «أنا الولاد مشتركين بس في الكورس.. لكن مش بيمسكوا آلة موسيقية ولا العياذ بالله يغنوا ولا يمثلوا طبعًا»..

ونفخت رانيا في سرها، ودخلوا كلهم القاعة.. وفعلًا ليلى كانت حاجزة لهم أماكن في الصف الرابع، عندما رأت «خالد» مع حسين.

وبعد انتهاء الحفلة، خرج الأهالي والأولاد في صالة الاستقبال الكبرى في المدرسة.... وبينما كان حسين يتشكر لليلى على الأماكن الجيدة التي وفرتها لهم، انتهزت رانيا الفرصة لتعتذر لهم عن عدم إمكانة الخروج معهم في اليوم التالي، وكانت حجتها أمام الأولاد أنهم سوف يذهبون لزيارة عمهم وأولاده، وكانت في منتهى الذكاء أن تختار هذا السبب الذي لن يعترض عليه زوجها ولا الأولاد!!!

وعندما وصل خالد إلى البيت، دخل إلى حجرة مكتبه وفتح الكمبيوتر وأنزل كتابين للتفسير من المكتبة؛ ليبحث ويتأكد من الديباجة الدينية في الحوار، الذي تم بينه وبين رانيا، ليس فقط لأنه لم يكن متأكدًا من سرد الآية بالطريقة الصحيحة، ولكنه أيضًا كان يريد شرح وتفسير الآية فيما يتعلق بالكتاب والحكمة، وهل السنة هي المقصود بالحكمة أم لا؟! أراد أن يتأكد بخصوص السنة والتي أطلقت عليها رانيا كلمة «النهج»، وفعلًا وجد أن الجميع يمكن أن يخطئ في اجتهاده أو يصيب إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى؛ أي إن السمع والطاعة

لا يندرج تحت السنة بالمجمل... كما وجد أن الآية الصحيحة كانت ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ وأدهشه أن رانيا أيضًا لم تحفظها بصورة صحيحة.

شعر خالد بالارتياح كذلك عندما وصل في بحثه إلى أنه بالنسبة لالتقاء المسلم مع أخيه، فإن المشروع فيه المصافحة في الأحوال العادية حتى تتساقط الذنوب.

نادى خالد على ليلى، وكعادته عندما يريد أن يشرح لها شيئًا أو يوضح لها أمرًا ما فأجلسها على رجله، وفتح لها صفحات البحث سواء من الكتب أو في الكمبيوتر، ففوجئت ليلى بهذه النتيجة... فطالما اعتقدت ليلى أن المحجبات والمنتقبات يفعلن ذلك العمل كخطوة أخيرة بعد العلم والمعرفة والاعتقاد الراسخ والإيمان، وكانت تستبعد تمامًا أن تكون رانيا حافظة مش فاهمة.... ولكنها التمست لها العذر بأنها قد شعرت ببعض الحرج أو اختلط عليها الأمر؛ لأن الوقت والمناسبة وطريقة نقاش خالد كانت مستفزة..

احتفظ خالد بابتسامة باردة، ونظر في ساعته، وقال لليلى: «تفتكري حسين ورانيا يكونوا وصلوا بيتهم ولا لسه؟».

ليلى وهي مبتسمة: «لأ.. طبعًا إنت فاكر إيه؟؟؟ أدامهم ولا ساعة كمان»..

خالد بمنتهى الحماس: «هاااايل... أسليهم بقى شويه في السكة».

ليلى: «هتعمل إيه بس؟ مش عاوزين مشاكل... شكل رانيا النهارده هتوري حسين ليلة سودا... حرام عليك بقى، طنش خلاص».

ولكن خالد صمم أن يطلبهما، وفعلًا أمسك بالموبايل، وهو يشاور لليلى وكلم حسين: «إيه يا سحس وصلتوا ولا لسه؟».

حسين: «ماشيه معاك ياخويا اتنأور كمان.. ما إنت ساكن أدام المدرسة... وصلت إيه، ده فيه على الدائري حتة لجنة طولها ييجي كيلو».

خالد: «طيب ياريت تحط رانيا على السبيكرز علشان هأقولكم حاجة»..

حسين: «إنت على السبيكرز أصلًا ورانيا سامعاك ... جو أهد دييير»..

خالد بخباثة: «بقول لك يا رانيا مش أنا الآية بتاعتي طلعت غلط؟».

ردت رانيا بتسرع ودون تفكير: «خلاص يا خالد المسامح كريم.... أنا كنت متأكدة، بس كبرت ومارضيتش أحرجك»..

خالد ضحك بقوة وسخرية وقال: «تحرجيني؟؟؟ ما هو إنتِ كمان مش عارفة الآية أصلًا لأن الآية اللي إنتِ قلتيها كمان غلط... تحبي أقول لك الصح ولا ...؟؟؟؟».

لم ترد رانيا ولا حسين، فأكمل خالد: «بصي بقى يا ستي الآية الصح هي ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني ماكانش المقصود بيها سنة النبي ﷺ، وإنما كتاب الله الذي أوحاه إليهم كصحف إبراهيم وموسى والزبور، وأما «الحكمة» فما أوحى إليهم مما لم يكن كتابًا مقروءًا، واختلف».....

فقاطعته رانيا وهي في منتهى الاستفزاز، وقالت: «إنت بتقرا ولا إيه يا خالد؟!».

خالد بثقة: «طبعًا أقرا.... أُمال حافظ؟؟؟ علشان ماغلطش تاني أحسن مالاقيش حد يعديهالي المرة دي!!!».

قاطعهما حسين: «خلاص يا حبايبي إنتَ وهي... قلبكم أبيض... وصلنا البيت يا حلوين نكمل بقى بعدين إن شاء الله».

خالد مبتسمًا: «يا عم ولا بعدين ولا قبلين.. ياللا تصبحوا على خير».

انقطعت أخبار العائلتين حوالي سنة بعد هذا الحوار، وحاولت ليلى أن تتناسى الموقف وإن ظل له تأثير سلبي عليها، ولكن الموقف ككل لم يكن في قائمة اهتماماتها، ولم تأخذ على رانيا الغلطة، وإن كانت لم تستطع أن تكبت إحساسها بالاستغراب التام من جهل رانيا، وإن كانت لم ترد التصريح لخالد.... بل على العكس حاولت إيجاد الأعذار والمبررات لهذا الخطأ.

ليلى وخالد.. الدين بالنسبة لهما كان واضحًا جدًّا.... كل الأحكام في القرآن وفي صحيح الأحاديث، وكان مبدأهم في الحياة أن الحلال معروف والحرام معروف.. أي بمنتهى البساطة صلاح الإنسان من صلاح قلبه ونيته.

كانوا مثلهم كمثل ملايين المصريين المسلمين المعتدلين الذين اعتادوا الصلاة فيها منذ طفولتهم، وكما تعلموا الصلاة واعتادوها علموها لأولادهم وجعلوهم يستشعرونها ولا يؤدونها مجرد تأدية واجب أو تمرينات رياضية، وإنما يهرعون إلى أماكن الصلاة في وقتها، وطالما سمعوا صوت الآذان... كذلك الصوم.. حتى العمرة والحج كانا رحلتين سنويًّا وكانت رحلات عائلية فيها الآباء والجدود والأبناء... ولم يصلوا لهذه النتيجة من ترتيب أو تدبير، وإنما كان دينهم على الفطرة.

وفجأة، وبعد فترة انقطاع طويل، ظهرت رانيا في حياة ليلى مرة أخرى لأسباب تتعلق بعمل حسين والشركة التي يعمل بها وشركة خالد... أيقن خالد طبعًا أن هناك مبررًا خفيًّا وراء هذا الظهور المفاجي المشبوه «من وجهة نظره»، وإن صدقت النوايا فهو لم يرتح لرانيا أبدًا، وكان يشعر دائمًا بأن نظراتها غير سوية لليلى وأن بها الكثير من الغيرة والحسد، ولكنه لم يعتد أن يوجه ليلى لمن تصاحب أو من تقاطع؛ لثقته في حكمها على الأمور، واتضحت رؤيته فعلًا لما علم بأمر العمل المشترك بين شركته والشركة التي يعمل بها حسين، ولم يتوان إطلاقًا بمساعدة حسين بكل ما يستطيع، فهو زميل مدرسه قديم، وله هو وأهله كل المحبة والتقدير.

وبحكم اللقاءات المتكررة، بدأت ليلى ورانيا تتقابلان من وقت إلى آخر، ولاحظت ليلى أن رانيا تتعمد ذكر كلام على شاكلة «عندي مذاكرة» و«عندي مشاوير مهمة» «هعمل مشوار لله» إلى أن سألتها ليلى بصراحتها المعهودة وفضولها أيضًا: «يعني إيه مشوار لله؟»....

رانيا: «يعني مشوار بتعمليه لربنا مش عايزه منه أبيض ولا أسود»..

ليلى: «ما أنا كل حياتي لله... بري بأبويا وأمي وكل عيلتي لله... حبي وخدمتي لجوزي وولادي لله... خدمتي لأي حد محتاج أو مش محتاج برضو لله... إيه الغموض ده؟!!».

فردت رانيا وابتسمت بمنتهى الخبث بينها وبين نفسها، وقالت لها: «صح، عندك حق في كل كلامك.. بس المهم النية... بتجددي نيتك؟ بتنوي العمل لوجه الله قبل ما تعمليه؟ بتحسبي بالثواب والأجر ولّا سايباها كده؟».

ردت ليلى باستغراب وباهتمام: «يعني إيه؟».

فرحت رانيا وشعرت أنها يمكن أن تمارس نشاطها في فرد المعلومات على ليلى وقالت لها: «تيجي معايا؟ «أنا عندي درس النهارده والحمد لله ماعندكيش حجة، ولادك أجازة والميعاد بعد الضهر، يعني نلبس ونجهز بعد صلاة العصر، وننزل ونوصل إن شاء الله على صلاة المغرب نصلي جماعة، ونبدأ وأنا أصلًا هَبات عند ماما هنا جنبك، يعني هاخدك وأرجعك»..

استغربت ليلى من المواعيد المحكومة كلها على مواقيت الصلاة، فهي تفكر

في المواعيد ولكن بطريقه أخرى وهي: اليوم الخميس؟... الموعد الذي تتكلم عنه رانيا سوف يكون بعد رجوع الأولاد من المدرسة، بل وبعد انتهائهم من الغداء... اليوم، هم دون ارتباط مع أحد من أصدقائهم...
لا عازمين ولا معزومين... والواجب؟ إن شاء الله يكون سهل، وإن كان طويلا ممكن أن يستكملوه صباح الجمعة (مع إن هذا مخالف تمامًا لما اعتاده أولادها، وإنما كان الواجب لابد وأن ينتهي يوم الخميس مع مذاكرة خفيفة ومراجعة مع هانيا يوم الجمعة، أثناء وجود خالد وعمر ابنها في صلاة الجمعة.. ثم خروج ومراجعة مع عمر السبت صباحًا قبل الخروج، وبهذه الطريقة المنظمة يتمتع الأولاد بأكبر قدر من الوقت مع أهلهم أو مع أصحابهم.. وأكملت ليلى في رأسها بقية جدولها اليومي... موعد عودة خالد... الخميس دائمًا يظل لوقت متأخر في الشركه إلى أن تتصل به، وغالبًا ما يخرجان مع الشلة للعشاء وغالبًا السينما، وكان السؤال الوحيد بالنسبة لها طول مدة الدرس والطريق ذهابًا وعودة... دارت كل هذه الترتيبات في رأسها، ثم سألت رانيا: «أيوه آجي معاكي، بس بنخلص على الساعة كام؟».
ردت رانيا: «وقت ما إنت عاوزة يا بنتي.... ده مشوار لله (وركزت جدًّا على «لله» وكأنها بتسفه السؤال)»...
ضحكت ليلى وقالت لها: «بتضحكيني... يا بنتي إحنا كلنا حياتنا لله!!».
وتركتها واتصلت بوالدتها المقيمة معها في المنتجع السكني نفسه، بل وفي الفيلا الملاصقة لها تقريبًا، وحكت لها على المشوار، وشجعت الأم الفكره وقالت لها: «مش مشكلة طبعًا... انزلي وأنا هاجي أقعد مع الولاد لحد ما ترجعي».
ومع أن ليلى كانت تعيش حياة رغدة ومستقرة، ولها خادمتان تساعدانها في البيت: سوكيروا الإندونيسية وإيمي الفليبينية، والاثنتان تتسمان بالأدب والأمانة والشطارة، إلا أنها كانت تفضل دائمًا أن تكونا موجودتين تحت إشراف والدتها، وساعدها على ذلك قرب البيتين.
ذهبت ليلى مع رانيا إلى الدرس الذي استقبلت فيه استقبال الفاتحين، وكأنها نزلت عليهم من كوكب آخر..... رائحة البيت كانت رائعة... بخور رائع، ولكن دون أبخرة في الهواء كما نرى في الأفلام وخلافه... كلما نظرت حولها، وجدت من تنظر إليها بتمعن وتفحص، وفي الوقت نفسه تجد ابتسامات من القلب وكرم وحسن ضيافة.
ظلت ليلى مبتسمة وهي تنظر حولها وتتلقى الابتسامات بالمقابل، وكانت وجوه كثير من الموجودات مألوفة بالنسبة لها... كانت مجموعة سيدات مجتمع بمختلف طبقاته، وإن كان الغالب ما يطلق عليه الصفوة.. وكن يجلسن على الأرض، وعلى الشلت وجنب بعض... وابتسامة من هنا على كلمة من هنا..

وهاتي نمرة موبايلك..

وفي دقائق معدودة، أصبحت ليلى من وسط شلة الملتزمات «اسمًا فقط».

كانت رانيا من الذكاء في أنها لم تترك ليلى لنفسها لحظة واحدة، وحتى عندما كانت تضطر للتحرك في المنزل، كانت تراقبها من بعيد ... ونظرًا لأن ليلى أصلًا كانت اجتماعية جدًّا وحلوة اللسان، فكان من السهل عليها أن تعتاد الجميع ويعتادوها... وظلت تراقب وتنظر يمينًا وشمالًا إلى كل من تدخل إلى المنزل، وكيف كل منهن ولها طريقتها في الدخول وخلع الحذاء، والسلام على صاحبة البيت، أو على أول من تجدها أمامها...

حتى طريقة خلع الطرحة كانت مختلفة، وكانت كل واحدة تخلع الطرحة، ترتب شعرها أمام مرآة كبيرة عند المدخل، كما كانت أغلب السيدات قادمات من عند الكوافير حالًا... وهناك أيضًا من تخلع الطرحة وترميها على أكتافها، بعد أن تتخلص من العباءة، ولكن ما لفت نظرها أكثر هم المجموعة، التي دخلت إلى حجرة داخل المنزل، وصوت ضحكهاتهن، وخرجن من الغرفة بشكل مختلف تمامًا، بعد استغنائهن عن العباية... فهناك من خرجت بملابس تشبه ملابس الأيروبكس، وهناك من خرجت بفستان قصير، وهناك من خرجت بفستان عاري الأكتاف وخلافه!!! وظل الأغلب منهن يرتدين الطرحة لحين استخدامها في حالة جلوسهن على الأرض وتغطية أفخادهن أو حتى تغطية أكتافهن... وظلت السيدات تتوافد للبيت بعدد لا يستهان به من الشنط من أفخم الماركات «السينييه».. وضحكت جدًّا عندما وجدت احدى السيدات تدخل وقد ألقت الطرحة على رأسها فقط لمجرد تغطية رأسها الملفوفة بالبوكلات، وفعلًا أسدلته بعد رمي كل البوكلات والكليبسات في الشنطة، وكان في منتهى الجمال... ورأت من جرت عليها وهي تضحك وتقول لها: «آه لو الحاجة شافتك وإنت داخلة بالبوكلات وجايبك السواق»..

وترد الأخرى: «يا شيخه بقى سواق إيه ونيلة إيه؟؟؟ ده ما ملكت إيمانكم!!!!!».

ومن ضمن مراقبتها للمحجبات، لم تسلم المنتقبات منها، وكانت لهن طريقه مختلفة في رفع النقاب، وأغلبهن كن يرفعنه على مراحل... أول مرحلة هي الطرحة التي تغطي الوجه، ثم الطرحة الكبيرة، ثم الإيشارب القصير الصغير المربوط تحت الطرحة... وفي النهاية، تساوى الكل في العري، ولم تعد ليلى الوحيدة التي لا ترتدي الحجاب، ولكن كانت الوحيدة الجديدة!!!

كانت كل الموجودات منطلقات في المنزل بحرية، ويتصرفن وكأنهن صاحبات المكان...

كان البيت والموائد (الترابيزات) التي تملأ المكان مملؤة بخيرات الله من جميع أنواع المكسرات والشوكولاته الفاخرة وكانت العاملات في المنزل يتحركن

بمنتهى الخفة والحرفية فيما بين السيدات لتقديم المشروبات بأشكالها كافة.... وبدأت التجمعات في أماكن عدة... جمع عند مائدة (ترابيزة) القهوة العربي والتمر السعودي الفاخر.. وجمع عند مائدة (ترابيزة) النسكافيه والقهوة الأمريكيه والكيكات، وجمع آخر عند المرآة...

وفجأة لمحت المطربة فلانة الفلانية المعتزلة، وفي هذه اللحظة مالت عليها رانيا وقالت لها: «ماشاء الله اللهم بارك... شايفة يا ليلى الجمال اللي بجد بقى... وشها نوَّر لما اتحجبت وسابت الفن وربنا رضى عنها!!!».

ردت ليلى، وكأنها تهمهم في سرها: «وكأن غضب ربنا كان مكشوف عنها من قبل ماتلتزم وتهجرالفن وحياته يعني ولا إيه؟!»..

بدأت حالة من الهدوء تسود الجو، عندما ظهرت الحاجة سامية السعدي، الفنانة المعتزلة المشهورة جدًّا.. ودخلت على الصالون في أناقة متناهية بسيطة مكونة من عباءة من الحرير الطبيعي سوداء بالطرحة والنقاب الأسود الكامل، ووقفت في وسطهن، وهي تسلم على جميع من يلتف حولها وترمي بالابتسامات هنا وهناك، وهي مرحبة بالجميع، وفي الوقت نفسه تخلع نقابها بهدوء، ودون النظر في المرآة، وكأنها تحفظ عن ظهر قلب ما هي عليه... ورفعت النقاب والطرحة، وبدأت في فك أزرار العباءة لتكشف عن عباءة أخرى رائعة من الحرير الطبيعي الأبيض المشغول بالورود الباستيل على شكل العباءة المغربية، والكم المشغول اليدوي الفخم الرائع.. ونظرت ليلى إليها بتفحص ورأت ووجهها الهادئ المبتسم وماكياجها الخفيف الأنيق... كانت هذه هي المرة الأولى، التي رأت فيها الحاجة سامية، وكانت دائمًا تظنها أكبر سنًّا!

مشيت الحاجة وراء صاحبة البيت، التي وجهتها إلى كرسي، وكأنه كرسي العرش في وسط المكان، وهي تردد:

- «نورتينا يا حاجة النهارده والله... جزاكي الله عنّا الخير كله إن شاء الله»..

وترد الحاجة بمنتهى الثبات: «جزانا وإياكم يا حبيبتي... دايمًا عامر في الخير إن شاء الله... وحشتوني يا حبيباتي»...

انبهرت ليلى بالجو الجديد تمامًا وبالكلمات وطريقة النطق والهمهمة من كل الموجودات، وهم ما نستطيع أن نطلق عليه كلمة «الأمبيانس»!!! كان هذا هو ما ينقصها.. إشباع فضولها في الحصول على مكانة جديدة عليها، وأن تتواجد مع نوعية مختلفة من البشر، وأن ترتقي إلى ربنا عن طريق الحاج سامية.. لم تفكر فيما قد يجد على حياتها، وإنما تركت نفسها تمامًا..

أخذت الحاجة موقعها ورمت على رأسها طرحة مفكوكة، على شكل طرحة بناظير بوتو، وبدأت في توزيع الابتسامات بكل الحب لكل تلميذاتها، وإن كانت عيناها قد توقفتا عند ليلى.. رأت رانيا هذه النظرة في عين الحاجة، فأخذت ليلى من يدها وعرّفتها عليها، وقالت لها: هي دي ليلى بقى يا حاجة اللي

قلت لحضرتك عليها..

وردت الحاجة بمنتهى الثقة والرصانة: «بسم الله ماشاء الله...أهلًا وسهلًا يا حبيبتي»..

وأكملت: «أبقي تعالي بقى الجمعية عندنا يا ليلى»...

وقبل أن تتكلم ليلى أو ترد، كانت إحدى الموجودات تهمس في أذنها: «يا عم يا عم!!!».

اعتبرت ليلى هذه الكلمات إطراءً لها، ففرحت دون أن تفكر في السبب..

كان الكل قد تجمع حول المكان الذي سوف تجلس فيه الحاجة، وتحت قدميها ليستمعن إلى كل كلمة وكل حركة، وكل واحدة ممسكة في يديها نوتة وقلمًا!! ورجعت ليلى إلى مكانها، وانتبهت بأنها الوحيده «تقريبا» التي لا تمسك ورقة وقلمًا كبقية من حولها، وأشارت إلى رانيا بأنها تريد ورقة وقلمًا.. وفجأة وجدت عشرات الأيادي ممدودة إليها من كل ناحية... من تعطيها ورقة ومن تعطيها قلمًا ومن تقطع من الكراسة التي تمسكها في يديها، إلى أن قالت لها السيدة الجالسة بجوارها: «خدي الكراسة بتاعتي!!!»..

ليلى: «لا.. لا.. ميرسي، خليها مع حضرتك»..

قالت لها بأسي: «أنا عارفة وحافظة كل الكلام ده، بس المشكلة في التنفيذ... «اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه»»..

تأثرت ليلى بالطريقة والأسلوب والجملة التي سمعتها من السيدة الجالسة بجوارها وشكرتها، وأخذت منها الكراسة، وبدأ الدرس وليلى مازالت تنظر إلى من حولها وتراقبهن وهن جالسات على الأرض، وفجأة صفقت إحدى الحاضرات، وكانها تنبه الجميع وقالت: «يا جماعة... المحمول.. يتقفل جرس وتسجيل كمان»..

وبالفعل، وكأنها ذكَّرت الجميع.. بدأت كل واحدة من الموجودات في فتح شنطتها، والتأكد من أن التليفون الخاص بها مغلق أو على أقل تقدير صامت..

لم تكن ليلى على دراية بماهية الدرس أو حتى لديها تصور لما سوف يقال فيه... لم يكن أول درس على وجه العموم تحضره، فقد حضرت من قبل دروس الدكتورة عبير في أحد المساجد الملحقة بأحد النوادي، ولكن هذا الدرس كان الدرس الأول من نوعه، لكونه في منزل، وتحاضر فيه فنانة مشهورة معتزلة.. وما أثار فضولها أكثر كان سؤال الحاجة للمجموعة كلها: «تحبوا نتكلم في إيه النهارده؟».

وردت الستات كلهن بإجماع وأصوات متخبطة ومتضاربة: «حكايتك يا حاجة... إزاي اتحجبتي وإمتى وليه... نستحلفك بالله يا حاجة!».

ردت الحاجة بوقار وخجل: «بس إنتم عارفينها، وفيه منكم كتير سمع الحكاية

دي أكتر من مرة!!».

وردت الأصوات نفسها مرة أخرى: «لأ.. لأ.. عاوزين نسمعها، وعلشان اللي ماسمعهتاش تاخد عبرة وتتعلم الدرس... نستحلفك بالله.. نستحلفك بالله»..

وفعلًا استمعت الحاجة لكلامهن، وقبل أي شيء، قالت لهن: لكن أستحلفكم بالله مافيش تسجيل ولا راجل يسمع صوتي، وأنا بتكلم زي ما أنتم عارفين!!!

وبدأت الحاجة وصلّت على النبي عليه الصلاة والسلام، وقبل أن تبدأ الدرس قالت لهن بسماحة: «أنا بأكّد على موضوع التسجيل ده مش لشيء يخصني، وإنما لنصرة ديني... كلكم طبعًا عارفين إن صوت المرأة عورة... عورة لغير محارمها وليس بالغناء ولكن بالكلام أيضًا والصوت العادي... وأنه من المكروه، ويقرب إلى التحريم أن تتحدث المرأة في وسط الرجال إلا للضرورة»....

ذهلت ليلى تمامًا مما سمعته من الحاجة وتأمين الجالسات عليه، وكأنه أمر واقع وتساءلت بينها وبين نفسها: أهذا هو التشدد الذي كانت متخوفة منه، أم هذا هو الواقع المفروض الذي تجهله، أم هو أمر من الله سبحانه وتعالى، ولابد لها من السمع والطاعة؟!!!

وجاء صوت الحاجة بادئة الدرس قاطعًا على ليلى الاسترسال في التفكير... وللحظات، انفصلت ليلى تمامًا عن العالم الخارجي، وبدأت في التركيز على دموع الحاجة وهي تسرد حكاية اعتزالها الفن والتمثيل والشهرة والمجد، وقد كانت نجمة لامعة من نجوم الفن والسينما المصرية والعربية، وكيف كان ومازال كل من حولها من الفنانين يعيشون في جهل وفسق وفجور وفتن! وامتلأ الجو بكلمات أشبه بالهمهمة من كل الموجودات، خلف الحاجة وكلماتها التي كانت على شاكلة «اللهم عافنا» «اللهم عافنا واعفو عنا» بالطبع غير مصمصة الشفاه من هنا وهناك...

وكانت الحاجة نفسها بين كل جملة وجملة تقول: «الحمد لله الذي عافانا مما ابتلي به غيرنا وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلًا كثيرًا»...

ودار سؤال في ذهن ليلى، وكأنها تتحدث مع نفسها: الست دي بتتكلم بجد ولا بتقول كده، علشان تبرر اعتزالها الفجائي وتركها لحياتها اللي أطلقت عليها «حياة الموبقات» طيب وبعدين؟ بتقارنها بمين؟ وليه كل واحدة من اللي قاعدين يمصمصوا شفايفهم دول بتتحسر على حالها؟ ما هو ولا واحدة فيهم فنانة ولا مشهورة.... هل يعقل أن كل واحدة فيهم تكون حاسة إنها عايشة حياة كلها موبقات؟؟؟ المصيبة بقى ليكونوا فاهمين إن مجرد الحياة العادية هي الموبقات بعينها!!!

فكروها بأغاني أم كلثوم عندما يندمج المستمعون إليها ويبكون أشد البكاء، ويعيشون في جو الأغنية، وهي البعيدة كل البعد عن حياتهم ... بالضبط كمن تتأثر أشد التأثر بأغنية «أنت عمري» ولا يوجد لها حبيب، وبينها وبين زوجها ما

صنع الحداد أو من تبكي بكاءً حارًّا في أغنية «هجرتك» وهي لم تهجر أحدًا ولم يهجرها أحد من الأصل!!! وفسرت ما ترى بأنها «حالة» من التقمص، ومحاولة مجاراة إحساس ينقصهم ويستوحشونه.

وبدأت ليلى تسأل نفسها: ما النواقص في حياتها؟ وهل هناك موبقات؟ وإن كانت فما حجمها؟ وما السبيل إلى إصلاحها؟!!! ومن هنا كان أول يوم لرحلة بحثها عن السلبيات في حياتها وحياة زوجها ومن حولهما!!!

وفي وسط الاندماج، كانت ليلى تنظر فيمن حولها يمينًا ويسارًا، مراقبة لتحركات جميع الموجودات؛ لعلها تجد منفذًا تستطيع بسببه أن ترد على تليفونها الصامت، والذي لم يتوقف عن الإضاءة مشيرًا لأكثر من مكالمة مفقودة؛ لأنها لا تستطيع الرد، وكانت كل المكالمات من إحدى عضوات شلة خروج يوم الخميس... وفجأة وجدت إحدى الموجودات تأخذ الموبايل، وهي تكتمه وتدخل متسللة إلى إحدى الحجرات لترد على مكالمة تبدو مهمة وقررت أن تفعل مثلها.. وبمنتهى الهدوء، قامت ليلى من مكانها وعيناها على الحاجة التي رغم أنها كانت مندمجة في الحديث، إلا أنها وجدتها تنظر إليها بابتسامة هادئة وتومئ برأسها لها، وكأنها تعطيها الضوء الأخضر، لتذهب وتنهي مكالمتها المهمة.. وفعلًا كان خالد هو المتصل.

دخلت ليلى إلى إحدى الغرف المفتوحة على الريسبشن وطلبته، وبمنتهى الهدوء الأقرب إلى الوشوشة، قالت: «إيه يا حبيبي... طلبتني؟!».

قال لها: «إنتِ فين يا لولي؟».

وشعرت بالارتياح عندما سمعت كلمة «لولي»، وكأنها دلالة عن رضاه عنها، وقالت: «أنا في الدرس مع رانيا»..

قال لها: «طب ياللا بقى علشان ميعادنا مع الناس ولا إيه؟» وكمّل بسرعة: «إنتِ فين مكانك؟».

ردت بسرعة: «ما إيمان كلمتني بس ماردتش عليها.. ماكنتش سامعة الموبايل... أنا في المهندسين»..

فقال لها: «طيب تحبي نعدي عليكي إحنا، ونتحرك من عندك بدل ما تيجي والشوارع زحمة؟!».

قالت له: «أنا مش عارفة هخلص إمتى.. سيبني اسأل وأبعت لك مَسِج أقول لك»..

رد: «أوك يا ليلى، بس على طول»..

راودها القلق عندما وجدت النبرة تغيرت، واقتربت إلى أن تكون جادة، ولم تعد «لولي» وإنما ليلى، وردت على الفور: «لا.. لا.. على طول والله».

- «باي»..

- «باي»..

ووجدت إحدى الموجودات واقفة بجوارها، وقالت لها: «لا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم»..

انتفضت ليلى في وقفتها، وردت باستغراب: «حضرتك بتكلميني؟».

ردت السيدة بهدوء: «أصلك قلتي لا.. على طول والله، وكأنك مالكة لوقتك وعارفة هتمشي إمتى... وإنت مش عارفة هتخلصي إمتى والحاجة هتخلص إمتى، ولا إنتِ ناوية تمشي قبل ما الحاجة تخلص ونتعشى؟»..

ردت ليلى بمنتهى الذكاء: «لأ، هخلص الدرس وامشي على طول... يالا عن إذن حضرتك بقى علشان ماتأخرش على الدرس»..

وخرجت من الحجرة، وهي مذهولة من السيدة التي لم تسمح لنفسها فقط بالتصنت على حديثها مع زوجها، بل وسمحت لنفسها أيضًا بالتعليق عليه!!! وكأنها لم تحضر درس الدين في المدرسة، ولم تتعلم أن التصنت حرام!

وذهبت وأكملت الدرس المشوق، اللي كان فيه قصة اعتزال الحاجة الفنانة الجميلة المشهورة !!!!!

لفتت اثنتان من الموجودات نظر ليلى... إحداهما ممسكة بالموبايل وكأنها تسمّع الدرس لأحد على الخط، والأخرى تسجل الدرس من الأصل ... وتساءلت: ألم تحذر الحاجة من فتح الموبايل أو نقل صوتها لأحد؟!!!

واحتفظت بأسئلتها لنفسها، وقررت أن تسأل رانيا فيما بعد...

من وسط حديث الحاجة، استقرت بعض الكلمات في عقل ليلى، وهو شيء تكلمت الحاجة عنه باستفاضة، ولم تتفهمه ليلى في البداية، ولكن عندما استمعت إليه اقشعر بدنها تمامًا، وهوما يسمى بمبدأ «التخلية والتحلية»..

وفعلًا، كانت الحاجة في قمة الاندماج، وهي تشرح هذا المبدأ كمنهج لابد وأن ينتهجه المؤمن والمؤمنة لتصف حياتهما، وكان وصفها هو: التخلية هنا بمعنى الهدم والتحلية بمعنى البناء؛ أي أن نتخلى عن سلوك خاطئ لنتحلى بسلوك صائب، ونتخلى عن فكرة سلبية لنتحلى بفكرة إيجابية بغرض واحد وهو إرضاء الله تعالى... وفسرت ضرورة أن تكون التخلية أولا... لذلك لا بد لنا أن نفتش لنرى ما الذي زرعناه في قلوبنا فصار شعورًا، وما الذي اعتقدناه بعقولنا فصار تفكيرًا؟!!! وهل اعتقاداتنا وأفكارنا اليوم محل سعادة لنا أم ألم؟ وما الذي نحتاج أن نخليه منها وما الذي يحتاج أن نتحلى به؟..

كلام كبير وجديد تمامًا على ليلى، ولكنها استوعبته وكل تفكيرها في التركيز حتى تستطيع أن تنقله لخالد كما قيل.

وعندما أوشك الدرس على الانتهاء، وجدت الحاجة تستعد للدعاء، والكل يؤمن وراءها، وهي معهن متأثرة جدا بالدعاء وصدقه.

وعندما انتهى الدعاء، استعدت ليلى وأخذت شنطتها وأوشكت على الخروج، ولكن صاحبة المنزل، التي كانت تجلس بجوار رانيا رفضت تمامًا، وأخذوها للحاجة التي سلمت عليها سلامًا حارًّا، وقالت لها بهدوئها وابتسامتها الصافية: «خيرًا يا ليلى.... مستعجلة ليه كده؟».

ليلى: «أبدًا والله، بس جوزي مستنيني وعازمين ناس على العشاء، ومش عاوزة أتأخر عليه»..

ردت الحاجة ببساطة وتهكم: «لاااا إذا كان كده يبقى سماح... لكن المرة الجاية لازم تقعدي لحد ما نروح كلنا مع بعض».

فقالت ليلى بسلامة نية: «ليه هو إحنا لسه ماخلصناش».

الحاجة: «اللي ممكن ييجي من ورا درس الدين والعلم يا ليلى مش بيخلص، وممكن حد يسأل سؤال مهم أو يستفسر استفسار نافع بعد الدرس، مايكونش خطر على بال الموجودين، لكن يستفيدوا منه إن شاء الله»..

ردت ليلى، وهي تشعر بالحرج: «غصبٍ عني.. ما أنا أول مرة بقى وماكنتش أعرف... إن شاء الله ما تبقاش آخر مرة»..

الحاجة بهدوء: «إن شاء الله يا حبيبتي»..

ولكن قبل خروج ليلى من المنزل، أخذتها السيدة المضيفة إلى حجرة الطعام، ووجدت السفرة على أكمل وجه، وكأنها حفل خطوبة أو عقد قران!!!

ولكن ليلى اعتذرت بمنتهى الأدب، وقالت لها: «معلش والله، أنا لازم أتعشى مع جوزي»..

وفجأة وجدت السيدة التي كانت في الحجرة، تتصنت على مكالمتها مع خالد خلفها وكررت لها الجملة نفسها: «مش قلنا لا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم؟».

انقلب وجه ليلى خجلًا، وشعرت برغبة شديدة في لكم هذه السيدة في وجهها، وقالت لها بسخريتها وخفة دمها المعهودين، مستشهدة بجملة من المسرحية الكوميدية: «إيه ده... أنا قرينك يا زواوي ده ولا إيه؟؟؟» وأكملت: «أنا فعلًا لازم أتعشى مع جوزي».

ونظرت حولها ووجدت رانيا، فقالت لها: «أنا لازم أمشي حالًا، هتقدري تيجي معايا ولّا أقول لخالد يعدي عليّا هنا وخلاص؟».

ردت رانيا: «لأ.. أنا كمان لازم أمشي..... ياللا بينا»..

ونظرت ليلى حولها لتجد صاحبة المنزل مشغولة في رص بعض الأطباق الألمنيوم بكل ما لذ وطاب من على السفرة، وتغليفها بمساعدة إحدى البنات الفليبينيات المنتشرات في البيت، وقالت لرانيا، وهي تمد يدها لها بإحدى الفطائر: «ده لحسين يا رانيا... بالهنا والشفا... ومعلش بقى المرة دي سماح لصاحبتك، اللي مش عاوزة تاكل من أكلنا ولا تخليني آخد الثواب!!!».

ردت ليلى بأدب: «لا.. والله... أنا مستعجلة علشان جوزي بس لكن ليكي عليّا المرة الجاية آجي من بدري وأمشي بعد ماأخلص، وآكل من الأكل كله»..

ابتسمت صاحبة البيت التي كانت بدأت بتجهيز صينية من الدرجة الأولى للحاجة سامية، ثم وضعتها على مائدة (ترابيزة) متحركة لتذهب بها إليها وكأنها العروس، يصل البوفيه الخاص بها إلى مكانها دون أن تتحرك هي من مكانها!!!

في طريقهما إلى البيت، لم تتوقف رانيا عن الحديث في الدرس وأهميته، بل وأعادت على ليلى كل كلمة قيلت من الحاجة ومن غيرها، بالإضافة إلى تذكيرها بالدروس المستفادة من حضور مثل هذه الدروس، ومؤكدة عليها بضرورة التفرغ التام في المرة التالية لحضور الدرس؛ حتى تتمكن من الاستيعاب دون «شوشرة» أو تشويش..

وقاطعتها ليلى وقالت لها: «بس أنا عندي كذا سؤال يا رانيا... هي مش الحاجة قالت محدش يسجل ولا يسمّع صوتها لحد؟؟ ليه بقى كان في أكتر من واحدة بتسجل، وفي واحدة كانت فاتحة التليفون، وحاطّاه تحت رجلين الحاجة أصلًا!!!»..

رانيا بفخر: «الحاجة ليها ناسها اللي بتثق فيهم... وأنا منهم طبعًا... تقدري تقولي كده «دايرة الثقة»، وهم مستأذنينها، ولايمكن أصلًا يخونوا الأمانة دي... هي بتقول وتأكّد علشان الجداد.... لكن أصلًا معدش حد جديد بيدخل على المجموعات بتاعتنا، إلا لما نبقي مستخيرين فيه وسائلين عنه ومتأكدين من أمانته»..

ليلى، وهي تضحك: «زيي أنا كده؟؟؟»..

رانيا: «إنت بتقولي فيها.... يا بنتي ده أنا استخرت وخليت الحاجة من غير ما تعرفك تستخير ليَّا إذا كنت من الأصل أصاحبك ولا لأ!!!».

ليلى بدهشة: «الحاجة بذات نفسها استخارت لك... ليه وإنتِ مش بتعرفي تستخيري لنفسك ولا إيه بقى؟»..

رانيا: «إنت بتتريقي؟؟؟ يجوز طبعًا إن الحاجة تستخيرلي... ده كفاية علمها وشفافيتها... ربنا يكرمها ويقدرنا يارب على تطبيق العلم اللي بتعلمهولنا»..

ليلى ضاحكة: «مش فاهمة... وإنت ما تستخيريش لنفسك ليه؟ كان عندك عذر شرعي ولا إيه؟».

رانيا: «بس يا ليلى... فيه حاجات ما ينفعش فيها الهزار، و...».

فقاطعتها ليلى: «تاااني؟ تاني يا رانيا... فاكرة السمع والطاعة؟ طب دي حاجات قلتي إنها خاصة بربنا... الاستخارة دي بقى المفروض تبقى بينك وبين ربنا أصلًا!».

ردت رانيا، وهي تتعمد التهرب من الكلام في الموضوع القديم: «إنت هترجعي

للموضوع القديم ده تاني؟ عمومًا مفيش داعي للمشاكل النهارده... اليوم كان جميل أوي، وأنا مش عاوزة أبوظه بلغو وكلام مش هيجيب أي نتيجة»..

ليلى بثقة: «أنا مش هَفتَّح في مواضيع قديمة... أنا بس بأكد عليكي أن كل قاعدة ولها استثناءات... زي ما المفروض إنك إنت اللي تستخيري الله لنفسك... الحاجة كمان ما تقدرش تعمم موضوع دايرة الثقة على عدد معين»..

رانيا: «لاااا يا ليلى... أوعي تقولي كده... الشفافية اللي عند الحاجة ما ينفعش نتكلم فيها أصلًا... هي عارفة إن إحنا كلنا بنقعد مع بعض، وكلنا مختارين أصلًا، ومن أهل الثقة بالنسبة لها»..

ليلى: «طيب والله ده كلام هايل.. بس كلميني بقى على الأمانة ودايرة الثقة وأنا لما دخلت أكلم خالد في التليفون، طلعت لي واحدة واقفة تتصنت عليّا، واتدخلت في الكلام اللي بقوله لجوزي!!».

رانيا مستنكرة: «مين دي؟؟؟ مش ممكن!! كانت فين ولابسة إيه؟».

ليلى: «مش دي القضية.... الموضوع إن مفيش حد ممكن تضمنوا ولاءه وأمانته كده ابسولوتلي... وبعدين إنتم المفروض إنكم مش بتعملوا حاجة عيب أو حرام، علشان كم التخبية والسرية ده»..

استاءت رانيا وتضايقت من كلام ليلى؛ وخصوصًا وأنها تعلم تمامًا أن الانطباع الأول مهم جدًّا، فقررت أن تغير الحديث، وأن تشغل ليلى عن أي مساوئ ممكن تكون لفتت نظرها في الدرس، فقالت: «بس إنت قلقانة ليه؟؟؟ خالد مستنيكي في البيت ولا إيه؟»..

وفعلًا ردت ليلى: «هكلمه أهو أعرف هو فين وأقابله، بدل ما يروح لحد البيت.. بس استني فيه سؤال كمان: إيه حكاية «أستحلفك بالله دي»؟؟؟».

رانيا بفرحة وكأنها استعادت مكانتها في التفوق على ليلى في المعلومات: «أستحلفك بالله دي بقى مكان كلمة «والنبي» بتاعتكم»..

ليلى: «بتاعتكم؟ يعني إيه؟».

رانيا: «يعني لا يجوز نقول كلمة «والنبي»، لأنه لا يجوز الحلف بغير الله»..

ضحكت ليلى وقالت: «طب مانقول «والله» ولا ده ما يجوزش برضو؟؟؟ أنا مش مصدقه حكاية قُل ولا تقُل دي هههههههه»..

واتصلت بخالد ورد عليها وقال لها: «هقابلك في البيت بقى يا لولي.. ياللا لسه بدري على ميعادنا»..

وبالفعل كان هذا أفضل بالنسبة لليلى التي وجدتها فرصة لتغيير ملابسها..

ورغم كون خالد لا يترك صلاة ولا عبادة فرضها الله سبحانه وتعالى إلا ويؤديها على أكمل وجه «على الأقل من وجهة نظره» إلا أن ليلى كانت قد أحست بالتعب والإرهاق العقلي لتفكيرها في الموجودات، وكيف تركن حياة الصخب

واللهو إلى حياه لابد وأنها أفضل وأصلح لهم... ولم تفكر أنه شتّان بين حياتها وحياة الفنانات المعتزلات، وإنما فكرت فقط فيما يجب أن تتخلى عنه..

ظلت ليلى تفكر في الثواب الذي سوف تنعم به المتخلية عن تلاهي الدنيا، والمتحلية بالإيمان والصبر، وأخذها التفكير إلى أبعد الحدود، وهو أن خالد سيكون هو السبب الوحيد في إبعادها عن طريق الله، متناسية أنه ابن بار وزوج وفي وصديق مخلص، والأهم من كل هذا أنه مسلم على حق، وبدأت البحث عن طريقة للخروج من أزمتها غير الموجودة من الأساس!!!

وبمجرد وصول ليلى إلى البيت، وفي الوقت نفسه الذي كانت تحضن الأولاد وتقبلهم وتلهو معهم، راحت تحكي أمها بالوصف التفصيلي كل مادار في الدرس من لحظة دخولها لبيت الدرس للحظة خروجها منه.. مرورًا باللبس والموديلات وانبهارها بالحاجة والدرس.. إلخ. والأم كانت مستمعة جيدة جدًّا، ورغم أنها سيدة متعلمة ومثقفة، إلا أنها كانت منبهرة بليلى، وبالجو الجديد الذي أحاط بها، والذي كشف لها أسرار الدروس، التي لم تكن مشهورة لدرجة كبيرة في ذلك الوقت، واعتبرتها وكأنها اكتشفت الذرة... ورغم هذا، لم يخطر ببالها على الإطلاق غير أنه درس عابر، ويوم مرّ مرور الكرام ولن يتكرر، وليس من الممكن أن يغير هذا الدرس من حياة ابنتها إلى الأبد!!

وعندما عاد خالد استقبلته ليلى كالعادة بالاحضان، وأعادت القصص نفسها بتفاصيلها المملة أمامه هو الآخر... ولكنه بقدر ما كان سعيدًا بسعادتها، لم يستطيع أن يمنع إحساسه الداخلي بأن هناك شيئًا جديدًا يلوح في الأفق.... وظل يراقبها وهي تمشط شعرها أمام المرآة بعد أن غيرت ملابسها، وارتدت بنطلونًا أسود وبلوزة حرير أوف وايت طويلة نسبيًّا من الخلف وقصيرة من الأمام، بما يتسنى للحزام النبيتي الغامق السينييه أن يظهر، وارتدت حذاءً أسود عالي الكعب وسألته السؤال المعهود، وهي تنقل محتويات شنطتها السوداء التي كانت ترتديها في الدرس إلى شنطة أخرى نبيتي: «إيه يا لووو... شكلي إيه؟».

وردَّ بالإجابة نفسها وهو ينظر إليها بنظرة الحب والإعجاب نفسها المعهودة من عينه تقديرًا لجمالها: «إنت حلوة يا لولي من غير حاجة ياللا بقى»...

وفي طريقهم لمقابلة أصحابهم، سألها خالد: «إنت عمّالة تحكي حاجات عامة... مفيش حاجة طلعتي بيها من الدرس ده؟!!!»..

ردت ضاحكة: آه عليك يا لولو.... لو تديني بس فرصة أتكلم»...

خالد باستغراب وضحك: «أديكي فرصة؟!!! هو إنت بطلتي كلام من ساعة ما شفتك؟»..

ليلى: «بص بقى يا سيدي...الحاجة المهمة الوحيدة النهارده كانت مبدأ التخلية والتحلية... فهمت حاجة من الجملة دي؟».

ردَّ خالد بثقة: «طبعًا.... إن الإنسان يتخلى عن صفة سيئة اتصف بيها أو طبع

خاطئ أو بذئ تطبّع عليه علشان يتحلى بصفات أمر بيها ربنا سبحانه وتعالى... ولازم النية تكون خالصه لوجه الله».

ليلى منبهرة: «إيه العظمة دي يا خالد.. إنت تعرف الكلام ده منين؟».

خالد: «ده كلام في أساس الدين يا ليلى...و حتى لو مَعْرفوش... من العنوان تقدري تستنتجي الموضوع!!!».

كانا قد وصلا تقريبًا إلى مكان المقابلة مع أصدقائهم، وخرجت ليلى من السيارة واستقبلت أصحابها وأزواجهم أصدقاء خالد، وطوال السهرة، وهي تروي الحكاوي نفسها.. لكن الحمد لله المجموعة كانت كبيرة، فلم تأخذ حقها كاملًا في الكلام.

وفي طريقهما للعودة إلى البيت بعد السهرة وكعادتهما، وكأنهم صاحبان وليسا زوجين يقومان بضبط محطة أم كلثوم على الراديو، وقبل أن يعرفا الأغنية يتراهنان فيما بينهما على الأغنية إذا ما كانت من الأغاني المفضلة لديهما أم لا، ومن يكسب الرهان يكون هو صاحب الحق في اختيار مكان الفسحة يوم الجمعة مع الأولاد.

ووجدا أغنية «سلوا قلبي» ولم تكن من الأغاني المفضلة لديهما ووجدها خالد فرصة ليكمل الحديث عن الدرس ويجد مبررًا لتحليله...

خالد: «إيه يا لولي سرحانة في إيه؟».

ليلى: سرحانة في الدرس والناس... هي الناس دي فين؟؟؟ عايشين في وسطنا وإحنا مش حاسين ولا عارفين حياتهم ولا طريقة تفكيرهم..

خالد: «إنت برضه بعد العمر ده كله والخروج والدخول لسه ما دخلتيش أوي في المجتمع... إنت مع الناس دول جديدة وعلشان كده منبهرة، ومؤكد هم كمان منبهرين بيكي... ولسه هتنبهري زيادة لو دخلتي أكتر في حياتهم، وهم مش هيبانوا على طبيعتهم معاكي، غير لما يلاقوكي واحدة منهم»..

ليلى: «يعني إيه واحدة منهم؟؟؟ أمال أنا واحدة من مين؟ دول شالوني من على الأرض شيل يا خالد»..

خالد: «أيوه يا حبيبتي عارف»...

قاطعته وقالت: «عارف إيه بس؟ أنت شفت حاجة؟؟؟».

خالد: «من غير ما أشوف يا ليلى... الناس اللي زي دول، لازم يعرفوكي كويس ويثقوا فيكي علشان تقدري تدخلي دايرة الثقة بتاعتهم، وتبقى فعلًا واحدة منهم».

كانت جملة «دايرة الثقة» ترن في أذن ليلى... للمرة الثانية في الليلة نفسها تستمع إلى هذه الجملة... من رانيا ثم من خالد...

وأكمل خالد: «إنت بس خللي بالك بس علشان الطريقة دي ماتكونش هي

الإغراء اللي يغروكي بيه، علشان تمشي معاهم في الطريق بتاعهم»..

ليلى: «ده طريق ربنا يا خالد... ده طريق جميل أوي، إحنا بس اللي بعيد ومش فاهمين»..

قال لها بهدوئه المعتاد: «مين اللي بعيد عن طريق ربنا؟ ويعني إيه طريق ربنا؟!».

قالت له: «يعني كل حاجة نعملها لوجه الله بس... خالصة له وحده»..

قال لها: «ماهو إحنا فطرتنا كده من غير ماناخد بالنا... أي إنسان مؤمن بالله يحبه ويخافه يبقى محترم نفسه ومحترم حياته كلها ولازم كل اعماله تكون لوجه الله تعالى... أنا شغلي وتعبي بكسب منه مكسب يرضي الله وعمري ما طمعت... إنت من غير ما تقصدي حياتك كلها عطاء لوجه الله... بتخدمي وتبري أمك أو أبوكي وكل أهلك وكمان أهلي.. منتظرة منهم حاجه؟؟؟ حبك ليا وللولاد وتفانيكي لينا اللي مافيش أي حد من اللي حوالينا بيعمله منتظرة منه حاجة؟!!! أهو ده كله لوجه الله وإنت بتعمليه بطريقة طبيعية وبفطرتك السليمة ونيتك الخالصة، وده نتيجة لتربيتك واللي بالتالي بتربي بيها ولادك... المسميات بس هي اللي بتكلكع المواضيع وتديكي إحساس بأن الموضوع كبير.. لكن هو في منتهى البساطة واليسر.

وأكمل كلامه ببساطة وقوة في الوقت نفسه: «خللي بالك يا لولي.... ده مجتمع منغلق على العامة، ولكنه منفتح للخاصة وخاصة الخاصة بس... وهعيد عليكي نفس الجملة تاني... دايمًا الناس دول بيكون ليهم دايرة ثقة حواليهم، وزي ما ليها مزايا بيبقى ليها عيوب وأخطار كمان».

انبهرت ليلى كالعادة بتفسير خالد البسيط للأمور، وكلامه الذي يصلح لأن يكون مادة غنية لمحاضرة أو خطبة، وظلت الكلمتان «خاصة الخاصة» و»دائرة الثقة» بمثابة الجرس في أذنيها... وكأنه كان معها، ومع رانيا في طريق عودتهما من الدرس... ولم تخف سعادتها في كلمتي الدلع والشكر الذي قالهما في حقها وتمجيده لعطائها وحبها لكل من حولها.

وصلا البيت وركن خالد السيارة في الجراج، وقبل أن تنزل ليلى من السيارة - وكعادة خالد من أيام الخطوبة - مال غليها وقبلها، وهي الأخرى كأيام الخطوبة مازال وجهها يحمر خجلًا، وهي تقبله وتحضنه بكل سعادة وفرحة كل مرة وكأنها القبلة الأولى..

ومرت الأيام، وكان موعد الدرس التاني، واتصلت ليلى برانيا لتسألها عن ميعاده.. ولكن رانيا لم تكن في البيت، فتركت لها رسالة لتتصل بها، حينما تصل، وفعلًا اتصلت بها رانيا: «السلام عليكم يا ليلى. إزيك يا بطة؟».

ليلى: «وعليكم السلام ... إيه يا بنتي، كنت عاوزة أعرف الدرس التاني إمتى»..

رانيا: «كده على طول من غير ما تسألينى كنت فين؟ ماشي»..

ليلى، وهي بتضحك: «كنتي فين؟».

رانيا: «في الجمعية يا بنتي... مش قلت لك إني بآخد دروس في جمعية شرعية؟».

ليلى: «أنا افتكرت هو ده الدرس اللي رحناه وميعاده بكره».

رانيا: «لأ، يا بنتي ده كان درس كده على الطاير أو بمعنى أصح دي كانت عزومة بس علشان ناخد ثواب المجلس لازم بنجيب فيها حد يدي درس، علشان تبقى عزومة بذكر الله، وأهو منها ثواب ومنها عظة وكله بفايدة إن شاء الله».

وفي ثانية كده سألت ليلى نفسها: «إيه الطلاسم دي؟؟؟»، وسألت رانيا: «يعني إيه عزومة بذكر الله؟».

قالت لها رانيا بمنتهى البساطه: «يعني ما ينفعش نقعد في عزومة أو حفلة أو خروجة ونرغي ونضحك أو حتى نرقص من غير ذكر ربنا، وإلا يبقى لغو، وناخد وزره سيئات مالهاش أول من آخر.. لازم نذكر ربنا في درس في الآخر».

اندهشت ليلى من المفهوم الجديد عليها وردت: «طيب والدرس؟».

رانيا: «مش عارفة لسه... فيه كذا واحدة عاوزين يعملوا الدرس عندهم، بس الحاجة هي اللي بتقرر مين الأول»...

ردت ليلى: «أوعي تنسي تقولي لي»..

ردت رانيا بسرعة وتلقائية: «لأ، طبعًا هقول لك».

ومرت الأيام على ليلى، وهي تحكي عن القاعدة والدرس والمعلمة الفنانة والفنانة المطربة المعتزلة لكل واحد في العيلة والأقارب والأصحاب، وزاد عليهم الموضوع الجديد، وهو أن الاجتماع أو العزومة لابد وأن تكون بذكر الله، لدرجة أن والدتها وخالد حفظا الحكاية عن ظهر قلب...

كانت رانيا أيضًا من الذكاء بحيث إنها ذهبت إلى معلمتها الحاجة سامية، وحكت لها على ليلى اعتقادًا منها أنها سوف تبذل مجهودًا لتتذكرها، ولكنها فوجئت بأن الحاجة تتذكرها جيدًا وقالت لها: «ماشاء الله عليها... ومادام بتسأل عن مواعيد الدروس، تبقى إن شاء الله عندها استعداد للعلم الشرعي، ويبقى لازم تطرقي الحديد وهو ساخن... خليها تيجي تسجل في الجمعية، وتبدأ تحضر بانتظام.... والله المستعان»..

فرحت رانيا باقتراح الحاجة، رغم ثقتها في صعوبة تحقيقه لمعرفتها بليلى ونمط حياتها المختلف عن كل المحيطين بها ...

كانت ليلى تكرس كل وقتها لزوجها وأولادها وأهلها... حتى صديقتها المقربة وصاحبة الأولوية من ناحية الصداقة، «نهى» كانت تعرف طبيعتها، وكان برنامج

الخروجات الخاص بهم يتوقف أغلب الوقت عليها وعلى ظروفها... حياة ليلى العادية بالنسبة لرانيا لم تكن مفهومة فهي تستيقظ قبل أولادها وتجهز الإفطار في حجرة الطعام أو في المطبح الواسع الرائع ذي الحوائط الزجاجية المطلة على حديقة المنزل، وكانت هي وزوجها يتناولان وجبة الإفطار مع الأولاد، قبل ذهابهم إلى المدرسة. وفي أوقات قليلة، كان خالد يظل حتى وقت الظهر في المنزل بعد أن ينتهي من تليفوناته الخاصة بالعمل، ولكنه في أغلب الأحوال كان يخرج بعد الأولاد لمباشرة أعماله، بينما تدخل ليلى لإجراء المكالمة الهاتفية اليومية في الصباح الباكر مع حماتها، ثم تخلد إلى النوم لمدة ساعة أو اثنتين على الأكثر، قبل أن تستيقظ وتباشر يومها العادي، والذي يبدأ بترتيب طعام الغذاء وتفقد أحوال المنزل بأشكاله كافة...

ورغم وجود خادمتين كفؤتين تساعدانها في المنزل، إلا أنها كانت دائمًا صاحبة الكلمة العليا في البيت، ولا يتم أي شيء أبدًا إلا تحت إشرافها... ثم تذهب للزيارة اليومية لأمها وأبيها المقيمين في منزل مجاور لمنزلها، وتتفقد إن كانوا يريدوا منها شيئًا أم لا، وكذلك إذا أرادت حماتها أو أخت خالد أو أبوه أي مشوار أو مهمة تقوم بها، فهي تؤديها بكل ترحاب وحب... حتى اتحاد ملاك المنتجع السكني المقيمين فيه، والتي كانت عضوة فيه والعاملين في المكان جميعهم كانوا يحفظون جدولها اليومي... في أحوال كثيرة، كانت ترتبط بأمهات أصدقاء أولادها وتخرج معهم؛ وخصوصًا إذا كان لدى الأولاد شيء في المدرسة، فكانوا يتقابلون ويخرجون بعد ترك الأولاد في المدرسة، وتعود هي لبيتها قبل موعد الرجوع... وكثيرًا ما فاجأت الأولاد بأن تذهب هي بنفسها في موعد خروج المدرسة؛ لتعود بهم إلى المنزل؛ مما سبب كثيرًا من الشد والجذب مع العاملين في المدرسة؛ حيث إن تغيير السائق أو طريقة العودة من المدرسة للبيت كان ولابد لها من إبلاغ قبل الساعة الثامنة، ولم تكن ليلى تولي هذا الموضوع أي أهمية... أولادها وهي حرة في أن تذهب لتأخذهم في أي وقت! وفي الطريق من المدرسة إلى البيت كانت تندمج وتختلق الألعاب مع الأولاد والفوازير والنكت وحكاوي كل منهم وكيف كان يومه... إلخ.

عندما سردت رانيا هذا الكلام للحاجة مديرة الجمعية، ابتسمت الحاجة، وقالت لها:

- «خلينا نتقابل بعد بكره على العشا عند مروة وجيبيها معاكي ونبقى نتكلم»..

وقد كان... اتصلت رانيا بليلى في التليفون، وقالت لها: «مروه اللي كانت معانا في الدرس عازمانا بعد بكره على العشا، وطبعًا هيبقى فيه درس، وهيبقى جامد موووووت.... اعملي حسابك بقى هَفوت عليكي»..

ردت ليلى، وقالت لها: «بلاش short notice والكلام اللي على آخر لحظة ده.. أنا خارجة مع خالد بعد بكره، ومش هَقدر آجي»..

ردت رانيا باستغراب: «يا بنتي ده ثواب وإنت نازله رايحة فين يعني؟ تلاقيكوا هتروحوا تاكلوا في أي مكان ورغي وكلام فارغ..... حد يضيع ثواب المجلس علشان خروجة رغي وأكل أخرته التواليت؟!!!».

ردت ليلى: «تواليت؟ إيه التشبيهات اللي ريحتها وحشه دي يا رانيا هههههه.. أنا عاوزة آجي والله بس خالد هيزعل»..

رانيا: «هيزعل من إيه بس؟؟؟ إنتِ برضو خليكي ذكية... يا إمّا تأخرى الخروجة لحد ما نخلص الدرس يا إمّا تغيري الميعاد خالص وبرضه تحايليه وماتقوليلوش إنك بتفضّلي الدرس على الخروجة علشان ما يقفش... قولي ليه إنك معزومة على العشا واليوم متحدد من يوم العزومة اللي فاتت»..

ليلى: «وده بجد؟ ده أنا لسه عارفة حالًا يا بنتي، وكنت بتحايل عليكي أصلًا إني أروح درس»..

رانيا بضحك: «تصدقي بقى إن مروة قالت للحاجة من يوم الدرس اللي فات، والحاجة انشغلت ونسيت تبلغني؟ ومروة بنفسها قالتلي إنها كانت عازماكي وكاتباكي في الليستة وناسياني أنا؟!!!».

ليلى: «مروة مين أصلًا؟».

رانيا: «دي واحدة لطيفة أوي كانت قاعدة قدامك يوم الدرس، وقالت لي صاحبتك الشيك الطيوبة دي لازم تييجيبيها معاكي... وإنت يا ليلى بقى أعملي حسابك تروحي الدروس بيّا أو من غيري.. دا نداء من ربنا للي بيحبه بس، وعاوز يديه ثوابات ويابخته اللي بيلبي النداء ده».

واستمر هذا الحال حوالي شهر؛ يعني حوالي 4 دروس بمعدل درس كل يوم، وكان في الأغلب بيكون يوم الاثنين (لأن يومي الاثنين والخميس ترفع فيهما الأعمال ويستحب فيهما الصيام) فكانوا بيصوموا ويروحوا الدرس يفطروا ويشربوا الشاي والقهوة والذي منه، وبعدين ياخدوا الدرس ويروّحوا، ولكن بالنسبة لليلى فقد كانت تتحرك من بيتها بعد صلاة المغرب؛ حتى توفر الوقت على نفسها.

ولكن بالنسبة لليلى، كان هذا النظام مختلفًا تمامًا عما اعتادته هي وأولادها، فقد كانت من يوم الأحد ليلًا، وبعد أن ينام الأولاد تبدأ في التفكير في غداء اليوم التالي، وتبدأ في التنسيق مع أمها أو حماتها؛ لتحديد من منهن سوف تتواجد مع الأولاد لحين عودتها من الدرس... وترتب مواعيد التمرينات الرياضية في النادي حتى إن الحاجة أعطت تعليماتها بأن يكون الدرس بشكل دائم يوم الاثنين إرضاءً لـ«ليلى» وتقديرًا لظروفها، بعد أن كان من الممكن أن يكون الاثنين أو الخميس...

أما بالنسبة لخالد، فلم يكن يشغله مطلقًا ما تدبره ليلى ثقة منه فيها وفي حكمها على الأمور، ومعرفته التامة بها وبكل مشاويرها المعلنة، وفي الوقت نفسه، كان سعيدًا بأنها سوف تفكر قليلًا في نفسها، وتبتعد قليلا عن الأولاد؛

حتى يعتادوا عدم الاعتماد عليها في كل كبيرة وصغيرة... ولكن ما لفت نظر خالد هو بداية تغيير أسلوب كلامها، ولكنه لم يجد فيه شيئًا خاطئًا أو سيئًا، ولكنها مثلًا كانت قد استبدلت كلمة «شكرًا أو ميرسي» بكلمة «ربنا يخليك» أو «ربنا يكرمك»، ودخولًا وخروجًا في أي مكان كانت تقول «السلام عليكم» وهي أشياء عادية، وكانت ملاحظته لها وتفسيره على أنها ليست إلا محاولة لفت نظر، لشيء جديد تفعله، ولكن عقله كان كبيرًا ومتفتحًا ولم يكن يريد لفت نظرها لاي شيء وترك الأمور كما هي، إلا أنه كان في قرارة نفسه بدأ يفكر في أن يأخذها ويسافرا في إحدى السفريات المحببة إلى قلبها؛ وخصوصًا وأن الأولاد سيكونون في أجازة، وفي هذه الحالة يأخذونهم ويسافرون بلا أي قلق في مصر. وحتى تكون مطمئنة تمامًا، رتّب فعلًا مع شركة السياحة الخاصة بترتيبات سفرياتهم، ورتبوا سفرية لأمريكا وأخذ التذاكر، ووضعها تحت وسادة ليلى ليفاجئها...

وبالفعل، فوجئت ليلى بذلك وطارت من الفرحة وحضنته، وهي سعيدة، ثم وجدها تحسب وتعد على أصابعها، وسألها وهو بيضحك: «بتعدي إيه يا بنت إنتِ؟».

ببراءة ردت: «هشوف هيفوتني كام درس في السفرية دي!».

أخد خالد نفسًا عميقًا جدًّا وقال لها وهو مبتسم: «بصي يا لولي... أنا مسافر مخصوص علشانك ومعنديش ولا ميعاد شغل واحد.. يعني دي سفريتك إنتِ، وكل اللي هتخططيه فيها هو اللي هيتعمل.... إحنا مسافرين نتفسح ونفصل تمامًا... لو مش هتبقى مبسوطة ومبسوطة جدًّا كمان قولي لي ونلغيها.. فكري بقى وقوليلى»..

وأمسك بالريموت كنترول يقلب في قنوات التليفزيون، وهي مستكينة وشاردة وفجأة ضحكت، وقالت: «نسافر ونتفسح ونهيص طبعًا
يا سلاااااااااام، وبعدين لسه 10 أيام بحالهم هَرتب فيهم كل أموري»... وكمّلت الكلام وكأنها بتكلم نفسها وحتى الدرس كله رقائق، فيعني اللي هيفوتني ممكن أقراه من حد أو ممكن حتى يتعاد في درس تاني

استوقفت خالد الجملة الأخيرة وقال لها: «رقائق؟؟؟ رقائق دي من الرقاق يا حلوة ولّا إيه؟».

ضحكت ليلى بدلع وخبطته على كتفه وقالت له: «رقائق من الرقة يافالح... يعني كلام يرقق القلب»..

وقاطعها، وهو يحتضنها ويضحك: «لا.. والنبي مش عاوز رقة أكتر من كده كفاية رقاااااق»..

ظل عقل ليلى طول الليل مشغولًا بالسفر والأولاد والدرس القادم، وفجأة استيقظت على عمر، وهو يوقظها من نومها ويقول: «مامي أنا تعبان أوي»..

الفصل الثالث

الضنا غالي

فزعت ليلى عندما جاء لها ابنها في منتصف الليل، وأخذته في حضنها، وفجأة لسعتها درجة حرارته.. وبهدوء أيقظت خالد وهي تقوم من مكانها وتجري على الحمام وقالت له: «خالد خلِّي عمر جنبك لحد ما أجيب الترمومتر... حرارته ماتقلش عن أربعين على أي حال.... استر يارب!!!».

وفعلًا كانت حرارته 40، واتصل خالد بطبيب الأطفال، والذي كان - في الوقت نفسه - صديقًا مقربًا لهما، هو وزوجته، ويعتبر من أكبر أطباء الأطفال في مصر، فوصف له حالة عمر ودرجة حرارته، وأوصاهما الدكتور على المواظبة على عمل كمادات بماء فاتر حتى يصل..

وفعلًا، وصل الدكتور وكشف على عمر من أم رأسه إلى أخمص قدميه، وطلب تحاليل ومزرعة، وقال لهم: «أنا شاكك في وجود فيروس في معدته، فمش هقدر أدي أي أدوية ولا مضادات حيوية لحد ما نتيجة التحاليل تظهر.... المهم بس نحافظ على درجة الحرارة من غير ما ترتفع تاني للدرجة دي»...

سهرت ليلى وخالد بجواره إلى أن حضر دكتور التحاليل من المعمل، وقام بأخذ عينة الدم وعينات البول والبراز من عمر، وأدخلهما المعمل، وأخذوا موعدًا بعد 24 ساعة لمعرفة النتيجة...

كان عمر هادئًا وحرارته منتظمة وآلامه خفت.. ولكن ليلى كانت قد أعلنت حالة الطوارئ في المنزل... الكل يمشي بلا صوت على الاطلاق... الأبواب تفتح وتغلق دون صوت... حتى الجرس الداخلي الذي يستعملونه لنداء سوكيروا وإيمي منعت استعماله، وأعطت الأوامر بأن تضع كل منهما الموبايل الخاص بها في جيبها على الهزاز، وأن تكون هذه هي وسيلة النداء الوحيدة.. وعزلت ليلى نفسها عن العالم الخارجي تمامًا، حتى أنها أغلقت التليفونات كعادتها، عندما يمرض خالد أو أحد الأولاد... الوحيدون المسموح لهم بالزيارة، وهم طبعًا على دراية بكل هذه الطوارئ، كانوا أهلها وأهل خالد ونهى صديقتها المقربة، التي اتصلت بها قبل أن تتصل بوالدتها أو والدة خالد، وأخبرتها بما حدث، وبالفعل أتت نهى من فورها وقرأت قرآنًا لعمر، وطلبت منها أن تدخل لتأخذ حمامًا ساخنًا، وأن تتركها مع عمر بعد الليلة العصيبة، التي مرت بها هي وخالد.

وفي ثالث يوم، في حوالي الساعة الرابعة عصرًا، دخلت عليها سوكيروا لتبلغها أن مدام رانيا موجودة في الصالون... للحظات تساءلت ليلى عمن تكون مدام رانيا هذه؟؟؟ ليس فقط لانشغالها بعمر، ولكن لأن رانيا لم تكن معتادة زيارتها في منزلها، وأيضًا لاعتقادها بأن الزيارة المنزلية لابد وأن يسبقها تحديد موعد على الأقل بالتليفون وخصوصًا في ميعاد كهذا...

ونزلت ليلى من حجرة عمر لاستقبالها، وهي تحمد الله على وجود أمها وحماتها لمراقبة عمر في غيابها...

رانيا: «إيه يا ليلى، مختفية فين.. خيرًا إن شاء الله؟؟؟».

ليلى: «أصل عمر عيان أوي يا حبيبي عنده فيروس، وإنت عارفاني مش بحب العيا ولا الأدوية، وقلقانة عليه أوي»..

رانيا: «أجر وعافية إن شاء الله..... طهورًا يا بنتي»..

ليلى متسائلة: «طهورًا يعني إيه دي؟».

رانيا: «يعني مكفرات ذنوب وتطهر إن شاء الله»..

ليلى باندهاش: «مكفرات ذنوب مين يا بنتي؟؟؟ ذنوبنا إحنا بقى... عمر لسه عنده 12 سنة»..

رانيا وهي تضحك: «هو ده سن الذنوب يا بنتي ... إحنا اللي مش عارفين حاجة».

ليلى وهي مستاءة جدًّا: «يعني عاوزة تقوليلى إن ربنا مرَّض عمر علشان يشيل من ذنوبه؟؟؟ الطفل الفسه البيبي ده؟؟؟ إيه الكلام ده!!».

رانيا لقيت الموضوع هيكبر، فحبت تلطف الجو، وقالت وهي بتضحك: «خلاص يا ستي ما تزعليش... ذنوب أبوه... إيه رأيك حلو كده؟!».

ليلى باستياء أكبر: «أبوه؟ ذنوب إيه بقى اللي عند أبوه؟؟؟ بلاش وحياتك الكلام ده يا رانيا أصل أنا بتضايق أوي من الكلام ده... وبعدين هو ماله أبوه؟ ده سيد الناس كلهم»..

رانيا: «الله إنتِ هتزعلي ولا إيه يا بنتي؟».

ليلى: «لأ، أصل إحنا فينا اللّي مكفينا، وأنا قلقانة وإنت جاية بدل ما تقوليلى سلامته، ولا تسأليني إذا كنتي تعمليلى حاجة، وأنا مش عاوزة حاجة أصلًا.. بتخلصي الحساب اللي بينك وبين خالد!!!».

وأكملت كلامها بالعنف نفسه: «سيبوا أبوه في حاله.... يعاقب أمه بقى... المهم يبقى كويس»..

كانت رانيا مذهولة بالشخصية الجديدة والغريبة عليها تمامًا وتماسكت تمامًا حتى لا تغضبها، وقاطعتها وهي مبتسمة: «يعاقب أمه علشان مايعاقبش أبوه؟؟؟ وأمه إيه بس.... دي أمه دي هتبقى ست الكل... إنت خلاص
يا ليلى، ربنا اصطفاكي وعرّفك طريقه وإنت وضميرك بقى.. يا تفضلي زي ما إنت كده بترقصي على السلم يا تكملي طريق ربنا اللي اختارك، وإن شاء الله يكون ربنا جعلني سبب إني أوريكي عالم كان خافي عنك، وإن شاء الله فيه الخير كل الخير ليكي ولأولادك ولجوزك (قصدت رانيا تركز على الكلام، وهي بتقول جوزك وأولادك لشدة حب ليلى لعيلتها)»..

في الأحوال العادية.. كان من الممكن أن يكون هذا الكلام له تأثير السحر على ليلى، ولكن في هذا الوقت كان كل تركيزها مع عمر ومرضه فقط، وكان كل تفكيرها في التحاليل والنتيجة المنتظرة من المعمل.. وبالفعل، استأذنت منها لتدخل تتفقد عمر لحظات... وكانت هذه اللحظات كافية لأن تتصل رانيا بالحاجة، وتبلغها سريعًا بما حدث.

بعد رجوع ليلى، أكملت رانيا: «بصي بقى الحاجة عاوزة تيجي ترقي عمر بكره الصبح في السريع كده»...

ليلى: «الحاجة؟ وهي الحاجة عرفت منين إن عمر عيان»..

رانيا بتوتر: «يا بنتي الحاجة هي اللي باعتاني أصلًا؛ لأنها كانت قلقانة عليكي فأنا كلمتها دلوقتي وطمنتها إنك تمام.. الحمد لله».. وأكملت بسرعة: «قوليلى بس إنت جوزك بينزل الساعة كام؟!».

قالت ليلى لها: «على 10 كده»..

ردت رانيا وقالت: «خلاص... 10 ونص إن شاء الله هتلاقينا هنا علشان نلحق نخلص اللي ورانا».... وسألتها، وكانها قد نسيت شيئًا: «إنتِ قلتي عمر لسه 12 سنة يعني مابلغش، صح؟».

ليلى: «لأ.. طبعًا لسه.. بس ليه السؤال الغريب ده؟!».

رانيا: «مش غريب ولا حاجة.... بسأل لأنه لو بلغ، يبقى الحاجة مش هترقيه، طبعًا لا يجوز... ولا يجوز إنه يشوفنا من غير ملابسنا الشرعية وحجابنا كامل... حتى الحاجة مش هتقلع النقاب أدامه»..

ليلى باستنكار: «إيه المبالغات دي يا رانيا... الولد لسه عيل وحجاب إيه وهباب إيه اللي تلبسوه أدامه؟؟؟ هو مركز أصلًا ولا فاهم حاجة؟!!».

رانيا، وهي تستعد للقيام والمغادرة: «لأ.. ياختي مركِّز وعارف كل حاجة... إحنا اللي أمهات خايبانين، ومش فاهمين حاجة»..

ليلى، بتريقة وعَوْجة شفايف: لأ، ده إنت كده أم العريف بقى»..

رانيا: «وماتقوليش حجاب إيه وهباب إيه دي تاني... الحجاب ده فرض وبركة من ربنا بس مش لكل الناس»..

وسلمت عليها ليلى، واعتذرت لها بأنها لن تستطيع توصيلها للباب الخارجي واكتفت بأن تهز رأسها لإيمي، التي كانت أمامها، بأن تتولى عنها هذه المهمة وطارت على حجرة عمر...

كان عمر يجلس مع جدتيه الاثنتين، يشاهد التليفزيون بمنتهى الهدوء، وعندما دخلت أبلغتها والدتها بأن «خالد» اتصل وسأل عليهم.

ومالت ليلى على عمر تقبله، وإذا بها تفتح الدرج بجواره، وتخرج منه الترمومتر وتقيس الحرارة التي كانت قد ارتفعت مرة أخرى إلى 39، واتصلت بالدكتور

وأبلغته، فردَّ عليها بأنه سوف يمر عليهم في طريقه للعيادة بعد حوالي نصف ساعة.

وفعلًا وصل الدكتور، وكانت التحاليل على وصول، وعندما اطَّلع عليها، أبلغهم أن عمر عنده فيروس في معدته ويفضل أنه يتنقل المستشفى؛ لأنه يفضل أن تتم تغذيته في هذه الفترة عن طريق الجلوكوز لا عن طريق التغذية العادية...

انهارت ليلى تمامًا وحاولت التماسك قدر الإمكان؛ خصوصًا وأن «خالد» كان من المفترض أن يصل، ولكنه تأخر، وفجأة قالت للدكتور: «أنا عندي سؤالين اتنين»..

رد الدكتور بمنتهى الهدوء: «اسألي زي ما إنتِ عايزة، بس اهدي من فضلك»..

بسرعة سألته: «إنت شاكك في حاجة خطيرة؟».

رد عليها بمنتهى التلقائية: «خالص بالمرة... إجراء المستشفى إجراء وقائي»...

قالت بسرعة: «طيب اللي عنده ده فيروس مُعْدي» «بضم الميم»؟».

رد الطبيب بالسرعة والتلقائية نفسها: «لأ، برضو خالص... وقبل ما تدخلي في السؤال التالت أحب أقول لك إنه ممكن تجيله حالة قئ لأنه مش واخد على الأدوية التقيلة فيفقد الشهية، وساعتها هنبقى محتاجين تديله الأدوية والحقن بانتظام، وده مش هيحصل غير عن طريق المحاليل».

وصل والد ليلى ومعه خالد الذي شعر بالفزع، عندما رأى ليلى، ولكن الدكتور قابله وأخبره ما حدث بسرعة ودون استفاضة.

انهارت ليلى في البكاء لمجرد تخيلها المحاليل والإبر، وفي سرعة مطلقة انطلقت لتغير ملابسها وملابس عمر وهانيا، وتركت خالد مع الدكتور، يجريان الاتصالات الهاتفية لترتيب المستشفى والحجز وما إلى ذلك.

وكطبيعة خالد الذي كان أكثر الأشخاص فهمًا لحالتها، كان يعلم من تريد تواجده في الوقت الحالي، ومن سوف يبلغ بإدخال عمر المستشفى، ومن ضمن اتصالاته اتصل بوالده وبـ«نهى»، وحكى لهما ما دار بينهم وبين الدكتور، وعن نقل عمر إلى المستشفى.

وردّ الأب: «خلاص يا خالد... إحنا هنسبق على المستشفى، وهنوضب الحجز والأوضة على ما توصلوا إنتم»..

ووافق خالد على الفور؛ لأنه كان يريد التفرغ لليلى، التي أصبحت لا تتكلم، وإنما تتحرك بطريقة أوتوماتيكية..

بقيت والدة خالد في البيت مع خالد، وكانت والدة خالد مع ليلى في ذلك الوقت، وذهبت معهما إلى المستشفى وفي الطريق اتصلت نهى صديقة ليلى، الصدوقة المقربة من أيام المدرسة، وعلمت أنهم في الطريق إلى المستشفى..

كان عمر هادئًا ومستكينًا، ولا يشكو غير الحرارة، وكان يتحرك معهم بمنتهى السلمية، وفي يده لعبة البلاي ستيشن ودخلوا السويت الذي حجزه والد ليلى لمعرفتهم التامة بليلى، وأنها كثيرًا ما تشعر بالاختناق في الزحام، وأن المكان سوف يزدحم من زوارهم وأهلهم... بل ورجحت أن ليلى سوف تطلب من أمها أن تقضي الليل برفقتها في المستشفى، وبالطبع لن تترك هانيا تحت أي ظرف من الظروف؛ مما يعني أن يقضوا هم الأربعة الليل في المستشفى، وليس مستبعدًا أن يبقى خالد أيضًا..

تمت كل الإجراءات وكانت الساعة الثامنة مساءً تقريبًا، ووجدوا نهى التي كانت قريبة من المستشفى، في وقت المكالمة الهاتفية، واطمئنوا على عمر الذي أدخلته ليلى إلى سريره في منتهى الهدوء... وصل الدكتور الذي قال إن «عمر» بخير، ولكنه لابد وأن يكون تحت الملاحظة... وأعطى التعليمات لقسم التمريض... وفعلًا مرت الساعات هادئة، وحضر والد خالد ووالدته، وظلوا معهم إلى أن تأخر الوقت فرجعوا إلى بيتهما، وبقيت نهى مع ليلى قليلًا، وسألتها إن كانت تحتاج لأي شيء وباتت ليلى مع عمر في الحجرة الرئيسية والجدة وهانيا في الحجرة الملحقة، بعد ما طلبوا سريرًا إضافيًّا وحولوا المكان من سويت إلى عنبر... عندما نام عمر وأخذت ليلى هانيا في حضنها ودخلت بها إلى الغرفة الأخرى، حتى نامت وتركتها مع والدتها، وسلمت على خالد الذي كان يستعد هو ووالدها إلى الذهاب إلى البيت... وفعلًا ذهب الجميع ونامت هانيا مع الجدة وليلى مع عمر في حجرته ... ولكن ليلى لم تر النوم، وأخذت الموبايل بعد حوالي ساعتين، واتصلت بخالد لتطمئن عليه بكل حب وحنان وتطمئنه عليهم.

بعد ما نام الكل، تسللت ليلى إلى جوار عمر في سريره وحضنته واستيقظت على والدتها ساعة آذان الفجر، توقظها للصلاة وبالفعل صلوا، ودخلت الأم لتنام مرة أخرى بعد أن أعطت عمر قبلة على جبينه، وحاولت ليلى النوم، ولكنها لم تستطع.

في الصباح، قامت ليلى وغيّرت ملابسها هي والأم وهانيا... حتى عمر غيرت له ملابسه، وطلبت من الممرضات تغيير الفرش بالكامل، وإزالة أي آثار للنوم في الغرفة الأخرى.

رن هاتف ليلى، وكان خالد هو المتصل:

خالد: «إزيك يا لولي؟».

ليلى: «الحمد لله ياحبيبي إنت أخبارك إيه؟».

خالد: «نمتوا كويس؟!».

ليلى: «الحمد لله ... جاي إمتى؟».

خالد: «شويه كده هاخد الدش وآجي .... استني يا ليلى سوكيروا بتطلبني»..

ورفع سماعة التليفون الداخلي، ورد على سوكيروا، وقال لها: «أوك، أنا جاي

على طول»..

وأخذ الموبايل معاه وهو في اتجاه الريسبشن، وقال لليلى: «استني يا ليلى لحظة، خليكي معايا.. سوكيروا بتقول لي في مدام بتسأل عليكي.. إنت مستنية حد؟».

ليلى باستغراب: «لأ، خالص.. ومين اللي هيجيلي دلوقتي أصلًا؟».

خالد: «طيب اقفلي، وأنا هشوف مين، وهطلبك تاني»..

وغاب خالد دقائق، ورجع لـ«ليلى» على التليفون، وقال لها: «إنت كنتي مستنية رانيا؟».

نسيت ليلى تمامًا أن رانيا كانت سوف تمر عليها، هي والحاجة في الصباح كما قالت لها، وردت على خالد: «رانيا؟؟ لأ ليه؟!».

خالد: «جت بره وكانها فوجئت بوجودي.. دي مش مظبوطة بالمرة.. أول ما شافتني بصت في السقف، ومن غير صباح الخير ولا السلام عليكم ولا غيره، قالت لي: «انت مش بتنزل الساعة 10؟»...

ليلى: «بصت في السقف يعني إيه؟ هو إنت كنت لابس إيه؟!».

خالد: «يعني إيه لابس إيه؟ هَلْبس إيه يعني يا ليلي؟؟؟ لابس ترينج سوت»..

ليلى: «وإنت قلتلها إيه يا خالد؟».

خالد: «هقول لها إيه يا ليلى... قلتلها اللي حصل باختصار»..

ليلى: «يعني ما قلتلهاش اتفضلي يا خالد؟».

خالد: «إنت اتجننتي؟؟؟ بقول طالع بالترانينج ومعايا سوكيروا وجالها سكتة قلبية ونفخت في وشي وبصت في السقف، عاوزاني أقول لها اتفضلي؟... حتى لما قلت لها إن عمر في المستشفى فضلت تقول «لاحول ولا قوة إلا بالله»، كأنه بعد الشر جراله حاجه»...

قاطعته ليلى بسرعة: «بعد الشر يا خالد»..

قال لها: «المفروض تقول ربنا يشفيه... إن شاء الله خير... أي حاجة مبشرة كده... يا شيخة، بشروا ولا تنفروا، مش النبي اللي قال كده ولا أنا بألف؟؟؟».

ليلى: «طيب يا خالد خلاص، أنا هَروح أحسن عمر بينده عليا»..

خالد: «بينده ليه؟؟؟ طيب شوفيه عاوز إيه كده وأنا معاكي... ممكن يكون عاوز حاجة من البيت؟!».

ليلى: «طيب استنى».

ورجعت وقالت له: «لأ يا خالد مش عاوز حاجة خلاص يا حبيبي، كله تمام إن شاء الله»..

خالد: «طيب إنت مش عاوزة حاجة أجيبهالك وأنا جاي؟».

ليلى: «لا يا حبيبي خلاص، تعالى بس وأنا أبقى أقول لك لو محتاجين حاجة.. اتصل بس بـ«نهى» وشوف لو هتيجي معاك»..

خالد: «أوك ياللا أنا جاي على طول إن شاء الله»..

ليلى: «لا إله إلا الله»..

خالد: «محمد رسول الله»..

وصل الدكتور واطمأن على عمر، وطلب تحاليل تانية؛ مما أقلق ليلى زيادة، وجلس مع الجد الذي وصل المستشفى من السابعة صباحًا، وجلس في هدوء مع الآيباد، يقرأ الأخبار دون أن يسبب لهم أي إزعاج.

وصل خالد إلى المستشفى ومعه نهى صاحبة ليلى وابنها إبراهيم صديق عمر الصدوق، ومعهم كل ما يمكن أن يحتاجوه من شوكولاته ونواشف وماء وعصائر والبراد الكهربائي للشاي، وجميع أنواع الشاي والنسكافيه والبن وخلافه... كانت نهى قد اتصلت بخالد من الصباح ورتبت معه، وأبلغته بكل ما أحضرته للمستشفى.

لم تكن نهى فقط صديقة ليلى من أيام المدرسة، وإنما كان زوجها أيضًا وأولادها هم الأصدقاء المقربين لخالد وأولاده، الذين كانوا معهم في المدرسة نفسها والفصل نفسه، بل لقد كان أبو ليلى وأمها أصدقاء لـ«أبو نهى» وأمها... كانت صديقة كالأخت... دخلت وسلمت بكل حب وحنان ولهفة على ليلى ووالدها ووالدتها... وحضنت عمر وقبلته على خدوده، وهي تدعي له في سرها... وقامت بسرعه مع والدة ليلى.. فرغوا الأكياس وقاموا بترتيب كل ما أتوا به هي وخالد...

رصت نهى بونبونيرة مملؤة بالشوكولاته وسرفيس شيك آخر بالساليزون وآخر بالبيتيفور، ووضعتها على منضدة في منتصف الحجرة، ورتبوا بقية السويت، وكأنه صالون من صالونات منازلهم.

كانت نهى شخصية رصينة وعاقلة، وتتسم بالهدوء وجميلة الشكل والخلق، ولم تكن من السهل أن تكوّن صداقات وتتداخل مع الناس مثل ليلى... كانت أيضًا تراقب أي حديث يدور أمامها، دون أن تعلق أو تتدخل فيه إلا لو طلب منها التدخل، فكان الكثير يتهمها بالغرور والتعالي... ولكنها في هذا الوقت من الصمت كانت تتدارس الأشخاص أمامها، وتكون عنهم وجهة نظر خاصة بها..

وعلى الناحية الأخرى، كانت لها صفات مشتركة كثيرة مع ليلى، مثل: الشهامة والوقوف مع الغير في أوقات الأزمات وحبها لبيتها وأولادها وزوجها... كانت نهى محجبة، ولكنها لا تعترف بدروس الدين على عكس ليلى، التي لم تكن محجبة، ولكنها كانت قد بدأت تنبهر بدروس الدين وجلساته...

ما قضته نهى من وقت في المستشفى، كان أغلبه مع والدة ليلى ووالدها متعمدة ترك ليلى لابنها المريض، وبعد أن اطمأنت على ليلى وعمر، استعدت

للذهاب وقامت في اتجاه ليلى وحضنتها بحب وقالت لها: «ماتقلقيش يا لولي.... كله هيعدي على خير إن شاء الله... استبشري بس إنت خير»... وأكملت: «أنا هاخد هنوش «هانيا» معايا علشان تقعد مع ديجا «ابنتها خديجة» لأنها هتزهق أوي هنا، وأنا برضو مش عاوزاها تشغلك، وهَسيب إبراهيم يفضل مع عمر وبعدين هآجي آخده»..

لم تكن نهى في حاجة إلى أن يسألوها البقاء، أو حتى يتناقشوا معها فيما تقرره.. فهي بعقلها فكرت وقررت أن تأخذ هانيا؛ لأنها تعلم انها من الممكن أن تشغل ليلى عن ابنها المريض... وحتى عندما قررت ترك إبراهيم مع عمر، فهي متأكدة بأن إبراهيم سيلزم كل قواعد الأدب، مقدرًا حالة عمر دون أن يزعجه، أو يزعج أيًّا من الموجودين..

وعلى باب الحجرة وبينما نهى تفتح الباب لتخرج، فإذا برانيا تقف مستأذنة للدخول، ومعها سيدة مرتدية النقاب الأسود من رأسها إلى الأرض... رغم معرفة نهى الكبيرة برانيا، إلا أنها لم تكن تشعر بالاستلطاف أو بالارتياح ناحيتها، وكانت لها أسبابها التي كانت تحتفظ بها لنفسها، والتي تنحصر في إحساسها بأن رانيا ليست على طبيعتها، وإنما تتصنع دائمًا؛ خصوصًا في إبداء مشاعرها. ومن الناحية الأخرى كانت رانيا تشعر بالغيرة من نهى، ومن اقترابها الشديد من ليلى، ومن ثقة ليلى العمياء فيها... فكانت النتيجه علاقة متوترة من الناحيتين.

عرفت ليلى بالطبع السيدة التي ترتدي النقاب وقدمتها بمنتهى الفخر لـ«نهى»، التي كانت لم تزل واقفة على باب الحجرة، وقالت بفرحة: «الحاجة سامية يا نهى»..

بقدر عدم اهتمام نهى، بقدر ما كانت تريد أن تشرف ليلى وترفع رأسها، فابتسمت مرحبة: «أهلًا وسهلًا اتفضلوا»... ووسعت الطريق ورحبت بهم، وكأنها تؤكد لرانيا أنها أخت ليلى وصاحبتها وحبيبتها، وليست مجرد صاحبة عابرة مثلها!!!

رانيا بسماجة: «السلام عليكم يا نهى»..

ردت نهى، وهي تتنهد وتبتسم: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أهلا وسهلا.. اتفضلوا».

وأشارت إلى خالد ووالد ليلى أن يدخلا الحجرة الداخلية مع عمر وإبراهيم..

دخل خالد، وهو يسألها: «إيه فيه إيه؟»..

ردت ليلى بتلقائية: «الحاجة سامية بره، هي ورانيا، ومش هيفضّلوا يقعدوا مع رجالة»..

ردَّ أبو ليلى، وهو رجل دمه خفيف: «طب يا نهى بلاش يقعدوا...ممكن يفضلوا واقفين»..

ضحكت نهى، وقالت وهي تحث والد ليلى على دخول الحجرة برفق: «يا لا يا

أنكل بقى.. بلا ش هزار»..

وخرجت نهى وحضنت والدة ليلى، وقالت لها: «باي باي يا طنط»..

وهمست لـ«ليلى» في أذنها وسألتها، وهي تربت على كتفها بحب صادق: «عاوزة حاجة يا ليلى أنا لازم أمشي بقى»..

ردت ليلى بالحب نفسه: «لا يا حبيبتي، سلامتك ألف سلامة... ما تتأخريش عليّا».

كان ثمة همس بين الحاجة ورانيا.

ندهت الحاجة على هانيا، وقالت: «بسم الله ماشاء الله تبارك الله.. إيه العروسه الحلوة دي؟»..

سلمت هانيا على الحاجة وعلى رانيا بمنتهى التحفظ وقالت: «ميرسي!!!».

حيّت نهى الموجودين واستأذنت بأدب، ورانيا تتابع نظرات ليلى وأمها المملؤة بالحب لـ«نهى»..

ابتسمت الحاجة وتنهدت وقالت لوالدة ليلى: «إزاي حضرتك».

أم ليلى: «أهلا وسهلًا يا حاجة»..

كانت ليلى قد دخلت لتلقي نظرة على عمر، وحضنها خالد عندما وجد الإرهاق واضحًا، ثم خرجت ليلى للضيوف بسرعة..

كانت ليلى ترتدي بنطلون رياضة لونه أسود، وعليه تي شيرت لونها أبيض وشعرها الحرير البني اللامع ملموم في مؤخرة رأسها بشكل عشوائي، ولكنه منمق وجميل.

سألت رانيا: «هو خالد وباباكي جوه مع عمر؟».

فاعتقدت ليلى أن رانيا عاوزة تدخل لعمر فوقفت وردت بسذاجة: «عاوزة تدخلي؟ هم جوه خالص تعالي»..

ردت رانيا بتلقائية: «لأ.. أدخل فين؟ أنا بسأل بس علشان الصوت»..

قالت ليلى بسلامة النية نفسها وبالاعتقاد نفسه بأن رانيا تود الإطمئنان على عمر ورؤيته: «لأ إحنا بعيد عنهم خالص... بينا وبينهم أوضة، وبعدين عمر مش نايم ده بيلعب مع إبراهيم ابن نهى، وبابا وخالد بيتفرجوا على التليفزيون»..

رانيا لما زهقت: «يا بنتي وأنا إيه اللي هيدخلني أصلًا... أنا بسأل علشان الحاجة ترفع النقاب وتتكلم براحتها»..

استاءت ليلى من طريقة كلام رانيا وعدم اهتمامها بعمر، ولكن لم تكن في كامل صفاء ذهنها؛ لأن تسأل نفسها عن السبب الرئيسي لزيارتها هي والحاجة؟!!!

وشعرت الحاجة بما ألمّ بليلى، وبدأت بالكلام لتنهي الحوار، ويممت وجهها

نحو ليلى، وقالت لها: «إيه يا حبيبتي اللي حصل، ومالك عاملة في نفسك كده ليه؟».

حكت ليلى الموضوع للحاجة باختصار.. فقالت الحاجة: «خيرًا إن شاء الله يا حبيبتي.... مش إنت مستودعاه الله؟».

ليلى: «يعني إيه؟».

الحاجة: «يعني تقولي «استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه أبدًا» وتقولي الكلام نفسه على جوزك وبنوتك الحلوة اللي نزلت دي وعلى نفسك وبيتك.... كأنك بتؤمني ربنا سبحانه وتعالى عليهم أن يحفظهم في حفظه وأمانه إن شاء الله».

والدة ليلى: «ونعم بالله... أنا دايما أقول لهم في أمان الله وحفظه».

تأثر قلب ليلى للغاية، و ملأت الدموع عينيها....

وقالت: «الله.. حلوة أوي... بس أديني بقول كلام شبهها وربنا العالم بقى».

الحاجة: «لأ.. يا ليلى لازم تحفظي الأدعية وتتعودي تدعي بيها.. فيه تأدب مع الله يا حبيبتي»..

ليلى: «حاضر إن شاء الله.. أبقى أكتبهم وأحفظهم... أنا بترعب على الولاد يا حاجة... يا رب يطمني عليه ويقوّمه بالسلامة.... يا رب نتيجة التحاليل تبقى سليمة ومافيهاش حاجة وحشة... يا ريتني كنت أنا!!!».

الحاجة بحزم هادئ: «إيه اللي بتقوليه ده يا بنتي؟؟؟ إنت بتعترضي على اختيار ربنا؟؟؟ ده ابتلاء من ربنا سبحانه وتعالى ليك إنت علشان يشوف هترضيه ولّا هتعصيه... ربنا بيحبك، وان الله إذا أحب عبدًا ابتلاه... إنت دايما في صلاتك وقيامك وقعودك تذكري ربنا وتدعيله بيقين ومن قلبك»..

ليلى بمنتهى الورع والخشوع: «حاضر إن شاء الله»..

ردت الأم بجزع ووقار: «ليه ابتلاء بس يا فندم.. ده اختبار من ربنا، وإن شاء الله مفيش حاجة وحشة»..

ولم تهتم الحاجة بقدر كافٍ بكلام والدة ليلى، وفكت سبحة من يدها ومن فوق الجوانتي، واقتربت من ليلى بهدوء، وقالت لها: «اذكري ربنا
يا ليلى على طول وخليه دايمًا يسمع صوتك، وإنت بتناديه وبتتضرعي له... كل ما هتِخلصي في الدعاء، كل ما ربنا هيسرّع في الإجابة إن شاء الله»..

جرت الدموع من عيون ليلى ووالدتها، ورانيا في حالة من الصمت والانبهار بالحاجة وأسلوبها.

وفجأة قالت ليلى: «طيب أعمل إيه؟ لو في أيدي أي حاجة، أنا ممكن أعملها وحالًا... بس عمر يقوم بالسلامة».

ردت الحاجة: «بدايةً ماتقوليش «لو».. دي كلمة بتفتح عمل الشيطان... ثانيًا

ما ينفعش نقول لربنا أنا هعمل كذا «بس» انت تعمل كذا!!! إيه يا ليلى بقى إنتِ هتزعليني منك ولا إيه؟ خلينا نقرب لربنا بما هو حلال وبما يفرح الله تعالى.... يعني شوفي إيه الفرض اللي إنتِ مقصره فيه وخدي عهد على نفسك إنك تعمليه بدون انقطاع»....

قاطعت الأم الحاجة، مدافعة عن ليلى: «مقصرة؟؟؟ حبيبتي ربنا يحميها.. دي ابنة بارة وزوجة رائعة وأم ماشاء الله عليها وصاحبة وفية لكل صحابها... ده كفاية رضايا أنا وأبوها عليها»..

ردت الحاجة بخفة دم: «الله الله الله... ماشاء الله ده إنت كده في البريمو يا ليلى يا بختك مين أدّك؟؟؟ والشهاده من ماما... ماشاء الله»..

وأكملت بجدية: «إنتِ حجيتي يا ليلى؟».

ليلى: «أيوه طبعًا مرتين، وباعمل عمرة كل سنة»..

الحاجة: «ماشاء الله.. اللهم بارك.. طيب قولي الحمد لله والله أكبر... دايمًا قولي ماشاء الله.. الحاجات دي بتتحسد يا بنتي.. والصلاة؟؟؟ أخبارها إيه؟».

ليلى: «الحمد لله... أنا باصلي من وأنا عندي 10 سنين، ولا يمكن أضيع فرض، ولا أنا ولا خالد، وعوّدنا الولاد كمان على كده من وهمّا صغيرين»..

الحاجة: «ماشاء الله عليكي يا ليلى»..

ثم نظرت إلى رانيا وقالت لها: «زي ما كنا بنتكلم يا رانيا... فعلًا.. ليلى دي جميلة قلبًا وقالبًا»....

أدارت الحاجة وجهها ناحية ليلى، وأكملت: «حبيبتي.. المحنه البسيطة دي اختبار من ربنا لصبرك، وإنت إن شاء الله أد الاختبار لأن الله تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ صدق الله العظيم... أزمة وهتعدي إن شاء الله، لكن لازم تتقربي لله تعالى... طاعات الله كتيرة أوي، ولكن بسيطة للزاهد اللي يبغي الحياة الآخرة وليس الحياة الدنيا»..

بدأت ليلى في البكاء، وقد شعرت أنها في درس خصوصي.

وفجأة قالت ليلى للحاجة: «تعرفي يا حاجة أنا ساعات بدعي لربنا إن الولاد يكون يومهم قبل يومي، علشان لو أنا مت قبلهم هيلوصوا هم وأبوهم.... ده أنا اللي بعمل لهم كل حاجة في الدنيا... حياتي كلها ليهم ولأهلي، حتى أسالي ماما، آهي أدام حضرتك تقول لك»...

نهرتها الأم وقالت لها: «بعد الشر يا حبيبتي.. إيه اللي بتقوليه ده؟!».

ولكن الحاجة ردت ببساطة، مستنكرة لهفة الأم ومصدقة على كلام ليلى وقالت لها: «الدعاء بالابتلاء جائز طبعًا، ولكن للأشداء الأقوياء في الدين والدعوة... لكن إنت لسه ماتقوليش كده أبدًا»...

قاطعتهما الأم قائلة: «بلاش والنبي الكلام ده»..

ردت الحاجة بالبساطة نفسها: «لا إله إلا الله»...

ليلى: «أنا قصدي إني أخاف عليهم من بعدي»...

قاطعتها الحاجة مرة أخرى: «يا ليلى، يقول الله تعالى ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾... ياما أطفال أيتام وأحوالهم أقرب إلى الله وأفضل وأحسن كتير من أطفال منعمين ومرفهين في عز أهاليهم.... الآية دي منطبقة عليكي يا ليلى وعلى اللي قلتيه... الكلام اللي بتقوليه ده يعتبر والعياذ بالله شرك بالله... استغفري يا بنتي وتوبي إلى الله، وادعيه أن يبعد هذا الكلام عنك وعن تفكيرك وتمني السعادة بقرب الله تعالى... السعادة يا ليلى هي في اتصالك بالله وتعلق قلبك به ومعاملتك معه... اعملي حاجة يرفع الله من شأنك بسببها ويقربك إليه بها»...

وأكملت الحاجة: «إنت شخص رائع وفطرته سليمة يا ليلى.. ماشاء الله.. بداية كده «داووا مرضاكم بالصدقة»..

ردّت الأم: «والله بنتصدق على طول، الحمد لله»..

الحاجة: «في حالة المرض لابد أن نهب نية الصدقة إلى المريض... يعني لازم نقول إنها بنية شفاء عمر، وعلى طول، وفيه مصارف عديدة للصدقات عندنا في الجمعية»...

دون تفكير، وقفت ليلى بسرعة، وقالت للحاجة: «لحظة واحدة من فضلك»..

ودخلت إلى خالد الذي كان جالسًا في منتهى الهدوء، ممسكًا بالموبايل في يده، ومراقبا لعمر وإبراهيم وهما يلعبان على السرير.

نظر خالد إليها نظرة فاحصة مبتسمًا وقال لها: «عاوزة كام يا لولي؟».

رفعت ليلى حاجبيها باستغراب وقالت: «هو الصوت واصل لكم؟».

ردَّ خالد بملل: «يعني...».

قالت: «أي حاجة يا خالد... هاتلي أي حاجة»..

وأخذت منه مبلغًا محترمًا، وأعطته للحاجة، التي سلمته لرانيا بهدوء، ودون حتى أن تعرف مقداره..

قالت ليلى للحاجة: «ممكن حضرتك تاخدي المبلغ ده بنية شفاء عمر... وشوفي بقى حضرتك أنسب مكان يتصرف فيه»..

الحاجة: «ماشاء الله... هو ده قصدي... السرعة في عمل الخير ورضا ماما وبابا... هنعوز إيه أكتر من كده غير ضمان رضا ربنا سبحانه وتعالى... تمام رضا الله على الباب خلاص.. ماشاء الله»...

ليلى بصدق: «أنا بحب ربنا أوي.. ونفسي هو كمان يبقي راضي عني وعن جوزي وأولادي.. أنا مفيش فرض مش بعمله»..

وأكملت الحاجة بمنتهى البساطه: «مش قوي الثقة يا ليلى.. إنت لسه مش

ملتزمة»...

استغربت ليلى ووالدتها للكلمة، وردت ليلى: «إزاي؟ يعني إيه مش ملتزمة؟».

الحاجة: «الالتزام كما يكون بتعاليم الله عز وجل يكون بالمظهر كمان.. إنتِ بتصلي وإنت لابسة إيه؟ وإيه اللي بيكون باين من جسمك؟».

ليلى دون تفكير: «ببقى لابسة لبس الصلاة.. وبيبان مني وشي وكفوف إيديا».

الحاجة: «خلاص يبقى هو ده اللي ربنا أمر بيه إنه يظهر على الأقل في البداية.. لأن الله تعالى أمرنا بأوامر مباشرة وأوامر أخرى غير مباشرة، عرفناها من سنة حبيبه المصطفى ﷺ.. إنتِ والدتك آهيه ماشاء الله، ورانيا آهي أدامك... وحتى صاحبتك اللي مشيت وآمنتي على بنوتك معاها ماشاء الله ولا قوة الا بالله»...

للحظات، ساد صمت تام في المكان، وتنقلت النظرات من الأم لليلى، ومن ليلى لأمها وللحاجة ولرانيا، ومن رانيا مشجعة لليلى..

وأكملت: «الحلوة اللي زيك فتنة يا حبيبتي... لها ولغيرها وأحيانًا تكون مطمع كمان ولما تتحجب وتلتزم ثوابها عند ربنا بيكون أكبر وأعظم من اللي بتتحجب علشان وحشه ولا مش قادره تروح للكوافير ولا حد غاصبها»...

تعلمي التجاره مع الله... ولو بتحبّي جوزك هتحبّي تخبّي حلاوتك ومفاتنك من غيره وتخصيه بيها لوحده، مش العالم كله يتفرج عليها... حتى هو نفسه هيفخر بيكي وينسعد وبالأخص لما يشوقف الخير والبركة والهنا هيعمُّوا إزاي في البيت.

ردت ليلى كما لو كانت تتحدث، وهي في عالم آخر: «أنا عمري ما فكرت في الحجاب... وخالد؟ ما يمكن يبقي مش موافق ... بس هو ده إيه دخله بعمر؟».

ردت الحاجة بمنتهى الثقة: «لأ يا ليلى ماتقوليش ده دخله إيه بعمر... هَضْرب لك مثل ولله المثل الأعلى طبعًا... لو إنت عاوزة مني حاجة وعارفة إني أنا بس اللي هقدر أعملهالك... هتقربي مني وتوشوشيني صح؟ كلما تقربتي إلى الله تقرب منك، واستمع إليك وحفّك بملائكته واستجاب لدعائك»...

رانيا: «الله يا حاجة كلام حضرتك جميل.... كده يبقي فاضل خالد... أحسن يكون مش موافق!!!».

الحاجة: «مافيش راجل يزعل لو مراته اللي بيحبها هتتصان وتحفظ مفاتنها ليه هو لوحده»...

فهمت ليلى قصد الحاجة، وردت بهدوء وهي مبتسمة: «بصراحة، كان بييجي في بالي دايما إنه هو اللي هيتحاسب على أي حاجة أنا مقصرة فيها بقى»..

الحاجة: «كده يبقى فيه شقين... الأول، خالد مالوش دخل بيكي لأنك بالغة

وواعية يعني إنتِ اللي هتتحاسبي على تقصيرك... الحاجة التانية بقى، وهي الأهم، إنك بتحبي خالد وبتخافي عليه، طيب ترضى إنه يتحاسب على حاجة كبيرة كده بالنيابة عنك؟!!!».

وسادت لحظات من الصمت، قطعته والدة ليلى عندما توترت وقامت وفتحت سرافيس الطعام، وبدأت تقدم للحاجة ولرانيا.. وفي اللحظة ذاتها، بدأت ليلى تتحرك بشكل شبه عشوائي، وجهزت طبقين لخالد ولوالدها، وأدخلتهما الغرفة منتهزة الفرصة لتطمئن على عمر وتلقي عليه نظرة.

عندما دخلت ليلى إلى الحجرة، رأت خالد، وهو ينظر إليها بحب
لا يخلو من بعض الشقاوة، وكأنه يعلمها بأنه سمع كل ما يقال في الخارج.. وذهبت إلى عمر وإبراهيم واطمأنت بأن الأمور على ما يرام.. وقبل أن تخرج من الغرفة، جذبها خالد من يدها وأجلسها على إحدى قدميه، وقبّل كفيها بكل حب وحنان.

قاطعهما الأب ضاحكًا: «إيه ياسي خالد؟؟؟ هو ده وقته؟!!!».

ردّ خالد، وهو بيبتسم: «معلش يا أنكل عاوز أفكرها بحاجة مهمة»..

ونظرت إليه ليلى بحيرة وسألته: «إيه يا خالد، خير؟».

قال لها بصدق وقلق: «نسيتي تقولي للحاجة اللي قاعدة بره أهم حاجة... إن جوزك راضي عنك!!!».

قالت له باستفهام: «إشمعني؟ وهي مالها الحاجة؟؟؟».

قبَّلها في خدها، وهو يساعدها على الوقوف، وقال لها: «بعدين هتعرفي... ياللا قومي روحي لضيوفك»...

خرجت ليلى إلى ضيوفها، وهي شاردة الذهن؛ إذ كانت تفكر في أكثر من شيء: مرض عمر والدكتور وإعادة التحاليل وكلام الحاجة والحجاب... وكانت المشكلة التي تواجهها هي ربط كل هذه الموضوعات بعضها ببعض! فربطت حجابها على أنه تقرب إلى الله بفعل شيء يرضيه؛ لشفاء عمر واتقاء شر أي خبر ممكن أن تعرفه بعد إعادة التحاليل!!!

شعرت الحاجة بذلك الصراع الدائر في عقل ليلى وأحبت أن تطمئنها فقالت لها: «الزمي الاستغفار يا ليلى، فهو المفرج للكروب جميعها بإذن الله»..

ثم قامت وقالت لـ«ليلى»: «نستأذن بقى يا حبيبتي ونسيبك لابنك ربنا يشفيه ويعافيه ويعفو عنه إن شاء الله.. هطمن عليكي بكره بقى إن شاء الله، وخللي يقينك بالله كبير.. بس ماتنسيناش إنتِ من دعاكي بقى»....

سارت معهما ليلى، وهي سرحانة تمامًا في الكلام اللي قالته الحاجة حتى وصلوا إلى الأسانسير.. وفجأة قالت للحاجة: «بكره بقى إن شاء الله تبقى حضرتك ترقي عمر»..

ردت عليها الحاجة، وهي تضحك: «كده يبقى لازم نبعتلك الرقية الشرعية لأنك أكيد ماتعرفيهاش وترقيه إنتي!».

فقالت ليلى بسلامة نية: «لأ.. ارقيه حضرتك... أنا معرفش»..

الحاجة: «ماهو علشان ماتعرفيش، هنبعت لك الرقية الشرعية... اللي لازم ترقيه إنت بيها، مش حد تاني.. لا يجوز طلب الرقية يا ليلى... يعني ماينفعش تطلبي مني إني أرقي ابنك... حرام يا حبيبتي...ارقيه إنتِ بالرقية الشرعية اللي هبعتهالك بكره إن شاء الله».

استغربت ليلى أوي ومافهمتش وجهة النظر، بس اعتبرت أن الكلام ده نهائي مادام الحاجة قالت لها حرام وخلاص.. وسلمت على رانيا اللي قالت لها في ودنها: «كنتي فكرتيني يا ليلى، وأنا اللي كنت طلبت من الحاجة إنها ترقيه»..

ليلى باستغراب: «وإيه الفرق؟».

رانيا: «كنت هبقى أنا اللي بطلب منها ترقي ابنك، مش إنت اللي طالبة مباشرة!!!».

لم تفهم ليلى شيئًا مما قالته رانيا لها، ولم تكن في حالة تسمح للتفكير أو التركيز، وعادت إلى الحجرة.

دخلت ليلى إلى عمر وحضنته بمنتهى الحب، وخالد يراقبها من بعيد، ووالدها يستمع من والدتها عن حديث الحاجة سامية ومنطقها، وهو يراقب انبهارها بالشخصية والحجة والمنطق.. وعلّق الأب بخفة دمه المعهودة عن مدة الحبس، التي قضاها هو وخالد في الغرفة، منتظرين قرار الإفراج عنهما بعد ذهاب الحاجة، وقال: «وكان لازمتها إيه بقى الحبسة اللي اتحبسناها دي؟».

فردت الأم مدافعة: «الست منقبة... ومش بتحب حد يشوفها، ويبحلق فيها ولا يسمع صوتها».

الأب: «وكنا هنشوفها إزاي من ورا الخيمة اللي هي حطاها دي؟ وبعدين مين اللي يبحلق في إيه؟ الست ييجي عندها 60 – 65 سنة على الأقل يعني اللي هيبحلق فيها هيبقى أدها أو أكبر منها، يعني مش هيبقى شايف أصلًا»..

الأم وهي بتفتكر حاجة مهمة: «بس يا لولي مش الحاجة كانت جاية ترقي عمر؟ ماراقاتوش ليه؟ نسيت بقى ولا اتكسفت إن خالد وبابا هنا؟».

ليلى بمنتهى سلامة النية: «أنا فكَّرتها والله يا ماما، بس قالت لي إنها هتبعت لي رسالة بالرقية وأرقيه أنا.. لأن طلب الرقية من حد حرام»...

استغرب الأب وخالد جدًّا وقبل أن يعلق أحدهما، التفتت ليلى في اتجاه خالد، وكأنها تسأله وهي متيقنة من أنه الوحيد الذي سوف يفهم سؤالها، فقالت له: «رانيا قالت لي حاجة غريبة أوي مافهمتهاش... قالت لي إني لو كنت قلتلها تقول للحاجة ترقي عمر، كانت رقته، ولكن علشان طلبت من الحاجة دايركت

يبقى حرام!!! يعني إيه اللفة دي يا خالد؟!».

قال خالد، وهو يقوم من جلسته: «إيه الناس اللي زي اليهود دول؟؟؟».

وانفعلت ليلى، وقالت له: «ليه الغلط في الناس يا خالد»...

قاطعها، وهو يوجه الحديث للجميع، وكأنه سيعطيهم محاضرة، وقال: «أنا مش بشتمهم يا ليلى... أنا بوصف اللي بيعملوه»...

فتدخل الأب موضحًا: «الموضوع بسيط واسمه التحايل ... ربنا سبحانه وتعالى حرم الصيد يوم السبت على اليهود، فقرروا يحطوا الشباك في البحر من يوم الجمعة ويلموها يوم الأحد... وكده ظاهريا أطاعوا الله ... ولكنهم واقعيًّا فإنهم تحايلوا عليه... التحايل هو اللي حرام يا ليلى»..

خالد: «فهمتي قصدي لما قلت إنهم بيعملوا زي اليهود؟ يعني رانيا هي اللي قالت لك من الأساس إن الحاجة بتاعتكم دي هترقي عمر، وبعدين لما انت طلبتي من الحاجة انها ترقيه مباشرة قالت لك ماينفعش تطلبي، وبعدين رانيا قالت لك تاني كنتي قلتيلي، وأنا أقول لها إنك عاوزة ترقي عمر»...

الأم مقاطعة الحديث، وهي متوجهة ناحية عمر في سريره: «ده إيه اللفة دي كلها... ودنك منين يا جحا؟!!! طب ما إنت لما تقولي لرانيا تقول للحاجة، كأن إنت اللي بتقولي للحاجة»..

ثم توجهت ناحية عمر، وقالت له بمنتهى الحب: «أنا يا حبيبي اللي هرقيك يا روح جدتك!!!».

الأب بهدوء: «ربما يكون طلب الرقيه غير جائز باعتبار إنه وكأنه بيلغي التوكل على الله.. لكن كلمة حرام دي هي اللي والله حرام تتقال على كل حاجة»..

اتجه خالد ناحية ليلى، التي كانت قد جلست بجوارعمر، وأخذته في حضنها، وهو بيلعب مع صاحبه وعيناها كلها قلق وخوف، وربت على كتفها، وقال لها: «أي ذكر لله إن شاء الله كويس يا طنط.... الحافظ ربنا... أنا نازل أروح المكتب شوية، اشغل نفسي شوية بدل ما دماغي يفرقع»..

تنهدت ليلى، وقالت له: «خليك معايا يا خالد، أنا محتاجاك... وعاوزة أقول لك حاجة»..

رد خالد ببساطة: «تقولي لي حاجة ولا تتكلمي معايا في حاجة؟!».

ليلى: «تفرق إيه يا خالد؟».

حضنها وقبل رأسها وهو يربت على كتفها، وقال: «هدُّي نفسك يا لولي.. كله هيبقى تمام إن شاء الله... خلاص أنا نازل.... هشوف الدكتور ونتايج التحاليل وآجي، بس هبوس الواد عموره الأول».

وفعلًا دخلا حجرة عمر، فوجداه نائمًا، وإبراهيم جالسًا بيلعب بالبلاي ستيشن بجواره.

همست ليلى في أذن خالد حتى لا توقظ عمر، وقالت له: «فرصة إبراهيم يتغدى».

قال خالد، وهو ينظر ناحية إبراهيم: «لأ، بقى استني يا ليلى... أنا هاخده معايا... تعالي بقى يا بيبو آخدك، نآكل حاجة على ما عموره يصحي، علشان عمر ممنوع من الأكل»..

وما كاد خالد يصل إلى الباب ويهم بفتحه، حتى وجد أمامه أمه وأباه، اللذين تقابلا مع نهى في المصعد... دخلوا جميعًا، وكانت نهى قد أتت ومعها شنطة الغداء، وصممت أن ينتظر إبراهيم معهم، وأن يتناول الغذاء من الموجود، حتى يجده عمر إذا استيقظ في أي وقت... وفعلًا لم يعترض إبراهيم، وخرج خالد في طريقه للاتصال بالدكتور ومعرفة آخر التطورات منه.

ظل الجميع في الصالون الخارجي، أهل ليلى وأهل خالد، يتحدثون على العموم، ومعهم ليلى ونهى، وعرفت ليلى من نهى أنها تركت هانيا مع خديجة ابنتها عند ليلى في المنزل، تحت إشراف والدة خالد، ومعهم سوكيروا وإيمي حتى تكون ليلى مطمئنة تمامًا.

دخلت ليلى إلى حجرة عمر ومعها نهى، وجلسا في هدوء.. ودون مقدمات، قالت ليلى لـ«نهى»: «نهى، أنا هَتْحجب»..

نهى وقد أخذتها المفاجأة: «ماشاء الله مبروك.. بس الحجاب مش هزار يا ليلى».

ليلى: «عارفة إن الحجاب مش هزار... أنا مقتنعة إن هي دي طريقتي.. إني أحمد ربنا على أي نعمة أنعم بيها عليّا... وطالما قررت، يبقى لازم بسرعة علشان ربنا ما يسيئنيش في ابني و...».

فقاطعتها نهى قائلة: «لأ.. يا ليلى ده مالوش علاقه بده، والمفروض تكوني عارفة كده»..

وسكتت لحظة، ثم أكملت بهدوئها نفسه: «إنت عارفة مشكلتك إيه يا ليلى؟... إنك أم أوي... أم ولادك وأم جوزك وأم حبايبك كلهم... إنت حتى أم لأمك وأبوكي... الأمومة هي اللي بتحركك، والأمومة أساسها التضحية، وإنت معندكيش أي مانع إنك تضحي في سبيل مصلحة أولادك، وهو ده اللي حاصل معاكي دلوقتي...خوفك على عمر هو سبب قرارك ده... أنا أهو أدامك متحجبة ومبسوطة بحجابي لأني اتحجبت دون أسباب ولا تضحيات... اقتنعت إنه فرض فاتحجبت، ولكن إنت خايفة على ابنك وكأنك استغفر الله العظيم بتقدمي قربان للآلهة»..

دخل خالد إلى الغرفة، فوجد ليلى منهارة تمامًا، ومنخرطة في البكاء، وبادرته قائلة: «عملت إيه يا خالد؟!».

أجاب خالد بفزع، عندما شاهد ليلى وبكاءها: «فيه إيه؟... عملت إيه في إيه؟

الدكتور لسه ماجاش... إنت بتعيطي ليه؟».

قالت نهى، وقد فهمت من نظرة ليلى أنها لا تريد أن تتحدث عن الموضوع أمام خالد: «إنت عارف مراتك وقلقها الرهيب ونضارتها السودة... إيه ده يا شيخة بقى، فين الإيمان بربنا... إن شاء الله مفيش حاجة طبعًا، والواد عموري ده هيبقى زي الفل»..

وجلسوا جميعًا يتجاذبون أطراف الحديث، وغرفت نهى الأكل للجميع.. وفي دقائق انتهوا من مهمة الأكل، وأزالوا الآثار وعطّروا الحجرة بمعطر الهواء برائحة البخور، وأصبحت الحجرة كما كانت وأفضل... نزلت نهى لتطمئن على البنات، وبقيت ليلى وخالد وأهلهم وإبراهيم مع عمر، إلى أن حلّ الليل، وحضرت نهى مرة أخرى، ومعها هانيا لمعرفتها بأنه مستحيل أن تنام ليلى دون أن ترى هانيا وتطمئن عليها....

وصل الدكتور وطلب خالد في التليفون، وخرج خالد من الحجرة بهدوء دون أن يبلغ ليلى بأنه خارج للقاء الدكتور ولما رجع قابلته ليلى، وقالت له: «إيه يا خالد؟؟؟ خير إنت قابلت الدكتور؟».

خالد: «الدكتورعاوز يعيد التحليل في معملين مختلفين تاني!».

ليلى، وهي تقاطع خالد بفزع: «ليه.. الدكتور شاكك في حاجة!!».

خالد بهدوء وبساطة: «ليلى... الموضوع بسيط جدًّا... الدكتور عنده نظرية قبل ما يقرر الأدوية اللي هياخدها عمر، وعاوز يتأكد ويعيد التحاليل، مافيهاش حاجة دي... زيادة اطمئنان»..

وفجأة تدخل والد ليلى بجدية: «خالد.. إنتم طول الوقت بتسافروا وأصلًا كنتم مسافرين بكره ولا بعده.. يعني الفيزا جاهزة... وعمر أكيد فيزته سارية من وقت رحلة إسبانيا بتاعت المدرسة اللي كانت الشهر اللي فات.. خدوه وسافروا وبلاش لخبطة أدوية ودكاتره وكلام فارغ»..

نظر الجميع إلى بعضهم البعض، وقال خالد: «والله يا أنكل عندك حق... إحنا هنعمل كده فعلًا»..

وصل الدكتور وتناقشوا معه، ولم يعارض في موضوع السفر إطلاقًا، مع أنه لم يجد للسفر أي مبرر من وجهة نظره..

مرَّ اليوم بهدوء على الجميع، إلا ليلى وقلقها المستمر.

الفصل الرابع

عايزة أَتْحجّب

صمم خالد أن تذهب والدة ليلى إلى البيت لترتاح، وأن تبقى مع هانيا، على أن يبقى هو هذه الليلة مع ليلى في المستشفى.

نام عمر في هدوء بعد كثير من أسئلة الأطفال مع خالد وليلى اللذين كانا سعيدين بكلامه الذي أعطاهم الإحساس أنه بخير، خصوصًا وأنه لم يعد يشكو من أي عرض!

مدد جسده خالد على الكنبة بجوار سرير عمر، وأمسك بالريموت كنترول، وغيَّر محطة التليفزيون، وهمت ليلى بالطلوع على السرير الآخر المفروش للمرافق، ولكنها ذهبت ومددت بجوار خالد الذي أفرغ لها مكانًا بجواره، وهو يبتسم ويقول لها: «لأ.. ما إنت لو طمعانه في الكنبه أنا اسيبهالك خالص»..

ولكنها ابتسمت ولم ترد واكتفت بأن وضعت رأسها على كتفه، وعيناها سارحتان في سقف الغرفة..

وفجأة رفعت رأسها من على كتفه، وقالت له: «خالد... أنا هَتْحجب»..

تنهد خالد بقوة، وقال لها: «ماشي».

استغربت ليلى من رد فعله، وقالت له بحدة، وهي تهمس: «خالد.. أنا بتكلم جد، مش بهزر».

قام خالد من وضع النوم، وظل جالسًا بجوارها، وبمنتهى الرصانة قال لها: «عارف طبعًا إنك مش بتهزري؛ لأنه موضوع ماينفعش فيه هزار»..

وأكمل بالجدية نفسها: «بصي يا ليلى أنا مش هقولك براقو، ولا هقولك لأ ما تتحجبيش، ولا أنا مقتنع بالست اللي جت ولا بالكلام اللي قالته، وإنك مش قاصر، وإنك تملكي حكم نفسك.. مش اعتراض على كلامها، وإنما لأني أنا وإنت مش متعودين على الطريقة دي في الحياة، ولا في مناقشة أمور حياتنا ودي حاجة ممكن ماتكونش هي فاهماها ولا حتى سمعت عنها.... لكن كل اللي هقولهولك إني مش موافق إنك تاخدي قرار مصيري بالطريقه دي، ولا تحت أي نوع من أنواع الضغط».

ردت باندفاع واستنكار: «مصيري؟ تحت ضغط؟؟؟ فين الضغط ده؟».

قاطعها بقوة ولين في الوقت نفسه: «أيوه مصيري يا ليلى... قرار الحجاب ده قرار مصيري على الأقل بالنسبة لي لأنه «برضو» قرار ماينفعش فيه رجوع، وماينفعش يتاخد لأسباب زي المحن اللي بيمر بيها الإنسان، وخصوصًا إنك حساسة بزيادة، وخصوصًا في ظرف عيا عمر ده... فما ينفعش إنك تقرري تتحجبي وبعدين تقرري تقلعي الحجاب... وأيوه إنت تحت ضغط الكلام اللي الست الحاجة دي قالتهولك.... وتحت ضغط نفسي بسبب عمر وقلقك وخوفك

عليه... استني لما تهدي وخدي قرارك، وأنا على كل الأحوال مش هيفرق معايا... إنت اللي هتفرقي معايا وإنت عارفة كده»..

ليلى: «لأ يا خالد أنا خلا.....».

وضع إصبعه على فمها بمنتهى الهدوء، وقال لها: «هششششششش....عارف يا ليلى... هتقوليلى إنك فكرتي وقررتي وإنك هتتحجبي... اتحجبي يا ليلى وده قرارك.. لكن للمرة التانية بعيدها ما تفكريش أبدًا إنك تقلعيه لأن إذا كان قرار إنك تلبسيه ده قرارك إنت.. فقرار إنك الله لا يقدر تقلعيه ده قراري أنا»...

ورفع إصبعه من على فمها، ورجع فمدد جسده على الكنبه وكمّل تقليب بالريموت...

ظلت ليلى تفكر في كلام خالد وكلام الحاجة وتنظر إلى عمر النائم كالملاك، وفجأة أمسكت بالموبايل وأخذته وخرجت إلى صالون الحجرة، وطلبت نهى، وقالت لها: «إنتِ فين يا نهى؟».

«نهى» بمنتهى الفزع: «خير يا ليلى... عمر كويس؟؟؟».

ليلى: «آه الحمد لله.. لأ، الموضوع مالوش علاقة بعمر... أنا بشوفك بس فين»..

نهى: «هَكون فين يا ليلى...في البيت يا بنتي إنت مش واخدة بالك ولا إيه؟؟؟ الساعة 1 الصبح!!!».

ليلى: «طيب إنت جاية الصبح، صح؟!».

نهى: «آه طبعًا يا حبيبتي إن شاء الله.. قوليلى لو عاوزة أي حاجة».

ليلى: «أيوه يا نهى.... هاتيلي طرحة وأي حاجة واسعة ألبسها على بنطلونات التريننينج سوت اللي معايا دول بدل الجاكيت، أصله قصير أوي»..

نهي وهي مذهولة، ولكنها عارفة معنى تصميم ليلى وقرارها: «خلاص نويتي يا حبيبتي؟!».

ليلى: «أيوه إن شاء الله..... بس تعالي بدري... مش عاوزة ييجي عليّا الدكتور ويلاقيني كده»..

نهى: «إن شاء الله يا حبيبتي.. ما تقلقيش».

اتصلت نهى بسائقها، الذي كان يسكن معهم في ملحق بالبيت، وأعطته شنطة مملؤة بأحب الأشياء إلى قلبها، وأرسلته إلى المستشفى، وطلبت منه أن يطلبها ليخبرها بوصوله؛ لتخبر هي ليلى لتفتح له دون أن يسبب إزعاجًا لعمر أو لخالد.

وصلت الشنطة عند ليلى في الساعة الثانية صباحًا، بعد أن أرسلت لها نهى

رسالة مفادها أن السائق منتظر على الباب، وفعلًا فتحت له الباب بهدوء وأخذت الشنطة ووضعتها وراء باب الغرفة الرئيسي بمنتهى الهدوء؛ اعتقادًا منها بأن خالد منشغل بما يشاهده على التليفزيون... ذهبت إليه مرة أخرى ووجدته ممسكا بجهاز الآيباد الخاص به، وسألته:

- «إنت ناوي تعمل إيه في موضوع السفر؟!».

خالد: «أنا بحجز أصلًا المستشفى دلوقتي عن طريق الإنترنت وربنا يسهل... بكره الصبح إن شاء الله هاخد تقريرمن الدكتور ونسافر إن شاء الله نطمِّن كلنا... وأنا شايف إن الكل بقى يعمل تحاليل، مادام فيها دخلة مستشفى»..

قالت له: «قول إن شاء الله بس... قول إن شاء الله»..

رفع حاجبيه، وقال لها: «طبعًا إن شاء الله يا ليلى... هدي نفسك شوية»..

خرجت ليلى من الغرفة مرة أخرى، وأغلقت الباب وراءها بهدوء، وأخذت شنطة الملابس وفتحتها ووجدت فيها تشكيلة من كل الملابس المحببة إلى قلب نهى، وفعلًا انتقت قميصًا طويلًا فضفاضًا لترتديه في الصباح على أحد بنطلونات التريننج سوت الخاصة بها، وأمسكت بهما وعلقتهما على شماعة بجوار الحمام.....

عندما دخلت ليلى الغرفة، وجدت خالد على الهاتف مع صديقه صاحب شركة السياحة الخاصة بتعاملاتهم وسفرياتهم، وكان يشرح له الوضع، وعرفت من الحديث أن الحجز تم، وأن السفر سوف يتحدد بمجرد رد المستشفى إن شاء الله.

قضت ليلى الليلة في هدوء حذر، ونامت نومًا مضطربًا جدًّا... تتفقد عمر وحرارته وتنفسه كل ساعة وتلقي النظرة نفسها المهتمة على خالد، وهو نائم نومًا عميقًا، وتفكر في نفسها وفي القرار التي اتخذته، وكأنها في قرارة نفسها كانت تعتقد أن خالد سوف يرفض الحجاب، ويمنعها من ارتدائه فتجد العذر وتسبب المشكلة وتبدأ في البحث عن حل لها، ثم تصبح هي الضحية، لكن ما حدث كان مخالفًا لكل توقعاتها...

وفي الفجر، قامت ليلى ودخلت الحمام، وأخذت دشًّا ساخنًا، واضعة رأسها تحت الماء، وكأنها تشعر بأن رأسها أصبح مثلجًا ومتجمدًا من التفكير، وصلّت ودعت وأطالت في الدعاء والسجود والركوع، كما قالت لها الحاجة... لم يمنعها غير عدم إمكانها في الاسترسال في الدعاء، كما تفعل الحاجة أو رانيا أو حتى نهى..

في حوالي الساعة الثامنة، مرت عليهم الممرضة، وأخبرتها بأن الدكتور سوف يمر عليهم بعد حوالي نصف ساعة، وكانت هذه الفترة كافية لها لأن ترتدي ملابسها الجديدة والطرحة في أول يوم حجاب....

استيقظ خالد وكانت ليلى جالسة على الكرسي أمامه، تقرأ في المصحف

بحجابها ووجهها الجميل، وكانها وضعته في برواز.

أغمض عينيه بهدوء، وأخذ نفسًا عميقًا وابتسم لها، وقال لها بهدوء: «صباح الخير يا لولي..... إيه الحلاوه دي؟؟».

شعرت ليلى بالفرح، وقالت له: «بجد حلو عليّا؟؟؟ ولا وحَّشني ولا إيه؟؟؟».

قال لها بالهدوء نفسه، وهو يتحرك، ويقوم من نومته: «على فكرة... هو لو محليكي أو حلو عليكي يبقى غير جائز يا حلوة!!! المفروض تكوني مش ملفتة للنظر إطلاقًا وإلا انتفى غرض الحجاب... القضية مش قضية طرحة.. دي قضية احتشام، وهَرْجع أقولها لك تاني - ولآخر مرة - الالتزام والاحتشام مش باللبس ولا بالقلع، وإنما باحترام النفس واحترام الناس اللي إنتِ - والحمد لله - طول عمرك عايشة بيهم.. يعني ده بالنسبة لك شيء تكميلي.... النبي ﷺ قال «الدين المعامله» يا لولي ماقالش «الدين الطرحة» ولا «الدين اللحية».. على كل حال.. ياللا هاتي بوسة وسيبيني بقى أقوم النهارده.. عندي يوم طويل»...

وقام ولفّ من وراء الباب، وقال لها: «أوعي يكونوا قالولك إن الحجاب والطرحة ليّا أنا كمان!!! أنا محرم يا لولي».

انتهى خالد من الحمام وتغيير ملابسه، ولم تنس ليلى أن تعد له إفطارًا ليتناوله، قبل أن يذهب، وفعلًا شرب الشاي وتناول معه شيئًا سريعًا، وعندما همّ بالخروج، كان هناك أحد، يستأذن للدخول، وقبل أن يذهب لفتح الباب ابتسم لليلى، وقال لها: «غطي راسك يا حلوة»..

فتح خالد الباب ووجد رانيا، التي كانت قد حضرت مبكرًا قدر الإمكان لتتفادى وجوده، ولاعتقادها بأن والدة ليلى هي من قضت معها الليلة..

دخلت رانيا ولمحت ليلى بالطرحة وفوجئت بذلك، وقالت: «ماشاء الله، ولا قوة الا بالله.. إيه الحلاوة دي؟؟؟ والله العظيم إنت أحلى بالطرحة من شعرك».

فابتسم خالد، وقال لها: «شوفتي يا لولي»..

جلست رانيا في الصالون، وردت بفخر: «إيه... كنت لسه بتقول لها إنها أحلى بالحجاب؟».

فرد خالد بهدوء ومنتهى التحدي، وهو يغلق باب الحجرة، ويتجه للجلوس مع رانيا: «لأ.. طبعًا كنت بقول لها إنه لو أحلى عليها تبقى ملفتة أكتر، ويبقى مش جائز لأنه ينفي الغرض منه، وهو عدم لفت النظر ولا إيه يا حاجة؟!!!».

شعرت رانيا بالخجل وانقلب ووجها إلى كل الألوان، وقالت له بحدة وكأنها تتحداه: «خلاص... سهلة.... تنتقب».

خالد ضاحكا: «هههههههه... طب الحجاب وفرض ... والنقاب؟».

قالت ليلى، مقاطعة حديث الاثنين، وهي تغمز خالد من يده: «صباح الخير يا

رانيا... بس يا خالد بقى... ياللا إنت مش كنت نازل؟».

رانيا: «لأ.. استني يا ليلى.... النقاب فرض طبعًا يا خالد»..

خالد ببساطة: «ومش لابساه ليه يا حاجة، وإيه حجتك في فرضيته؟».

رانيا: «إيه «يا حاجة» اللي أنت ماسكهالي دي؟ إنت بتتريق عليّا ولا إيه؟».

خالد: «وهي كلمة «حاجة» تريقة؟ أنا حجيت ومعنديش مانع إطلاقًا إنك تقوليلى يا حاج... هو إنت مش حجيتي برضو؟».

ليلى، وهي تغمز خالد للمرة الثانية: «خالد، من فضلك بقى».

خالد، وهو ينظر ليده: «إنت بتغمزيني ليه... أنا بتكلم عادي، ولّا إنت متضايقة مني في حاجة يا رانيا؟».

رانيا: «وهتضايق ليه؟ أنا مبسوطة إن ليلى سمعت كلام الحاجة»..

فقالت ليلى موجهة كلامها لرانيا، وهي معترضة على أن تُتهم بإلغاء عقلها: «لأ يا رانيا الموضوع مش إن الحاجة قالت لي أتْحجب فَاتْحجبت... الموضوع أن الحجاب ماكانش في بالي أصلًا.. وكنت بَفَكر إن خالد هو اللي يقول لي اتحجبي ولما جت المناسبة والحاجة قالت لي إنها مسئولية وأنا اللي مسئولة عنها، وإنها ليها علاقه بربنا ورضاه فَاتْحجبت».

رانيا، في محاولة لتظهر خفيفة الدم: «يعني الحاجة هي اللّي نورت لك طريقك، وأنا اللي عرَّفتك على الحاجة يبقى في ميزاننا بقى إن شاء الله»..

خالد، وهو ينظر لليلى بحب: «خلاص يا ليلى... ربنا يفتح عليكي»..

رانيا مقاطعة: «يا خالد مادام استخارت خلاص... اطمن عليها... أنا قلت لها إنه ضروري جدًّا إنها تستخير»..

كان خالد متجهًا إلى باب الغرفة وليلى خلفه، فوقف ورفع حاجبيه بدهشة وقال لها: «ضروري جدًّا إنها تستخير؟؟؟ وهو الفرض تنفع فيه الاستخارة؟؟؟ هو مش المفروض «لا استخارة في طاعة» والطاعة في الفروض واجبة؟ ولا هي الطاعة في حاجات حاجات؟».

للمرة الثانية، تحرج رانيا بشدة من خالد وكلامه وعقلانيته، وكأنه يتلذذ بإحراجها... عضت على أسنانها من الغيظ، ولم تجد ما تقوله أو ترد به!!!

وأكمل خالد، وكأنه يتحدى رانيا بأدب ويستفزها: «ماقلتيليش إنت ليه مش منقبة؟».

رانيا: «مش مجال الحديث ده دلوقتي يا خالد.. الموضوع ده كبير وطويل.. نأجله لوقت تاني»..

فتجاهل خالد كلامها واتجه إلى ليلى، وأمسك رأسها بين كفيه، وكأنه يقصد أن يدخل الكلام إلى عقلها مباشرة: «ليلى... إنت حلوة في كل الأحوال... ولما

بقول حلوة بيبقى قصدي حلوة، من جواكي من قلبك
يا حبيبتي، مش بس شكلك... وكفايه إني راضي عنك»..
وقبّلها في رأسها، وقال: «يالّلا أنا لازم أنزل أخلص، اللي ورايا.. باي باي يا حبيبتي»...
واتجه نحو الباب دون حتى مجرد الالتفات لرانيا، وقال لها: «ابقي سلميلي على حسين يا رانيا»..
ظلت رانيا في حالة ذهول لمدة دقائق، ثم خرجت هي الأخرى بحجة أن لديها الكثير لتفعله، وأنها لابد وأن تذهب إلى الجمعية أيضًا... وبالفعل نزلت ولم تذهب إلى أي مكان، ولم تقض أي مشوار، وإنما كان شغلها الشاغل أن تذهب إلى الحاجة في الجمعية لتزف إليها الخبر السعيد.
دخلت ليلى على عمر واتصلت بالممرضة لتغيير فرش الغرفتين والأدوية وخلافه، وعرفت من الممرضة أن التحاليل الخاصة بعمر هايلة والحمد لله، وأنه لا يوجد بها أي أثر للفيروس، وأن الدكتور نفسه تشكك في أن التحاليل الأولى ربما كانت خاطئة من الأساس!!!
وفعلًا وصل خالد الغرفة مهللًا، بعد أن طمأن والديه ووالديها، وحمدوا ربنا، بل وصلى خالد ركعتين شكر لله، وعندما رأته ليلى ذهبت وتوضأت وصلت هي الأخرى...
وفي هذه الأثناء اتصلت بها الحاجة لتهنئها على الحجاب، وقالت: «السلام عليكم يا ليلى»..
ردت ليلى بفرح وسعادة ظاهرين على صوتها: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا حاجة، إزاي حضرتك؟».
الحاجة بفرحة: «إيه الصوت الفرحان الحلو ده.. ماشاء الله ولا قوة إلا بالله... طمنيني».
ليلى بالضحكة نفسها: «تحاليل عمر، الحمد لله طلعت كلها كويسة»..
الحاجة بعد لحظة صمت: «الحمد والشكر لله يا حبيبتي... شفتي بقى ربنا كريم إزاي؟ إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا»..
ليلى: «مش قادرة أقول لحضرتك فرحتنا أنا وخالد، لدرجة إننا لحظة ما عرفنا صلينا ركعتين شكر لله»..
الحاجة: «قصدك سجدة شكر»..
ليلى: «لأ... إحنا صلينا ركعتين شكر لله»..
الحاجة: «لا يجوز يا ليلى... دي بدعة يا حبيبتي، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.. الإجازة هي لسجدة الشكر يا حبيبتي ولم يذكر أبدًا عن النبي ﷺ إنه صلى ركعتين شكر».

شعرت الحاجة بانها ضغطت على ليلى فتداركت الأمر قائلة: «المهم، طمنيني عليكي وعلى حجابك... رانيا بتقول إنك ماشاء الله ولا قوة إلا بالله.. قمر».

ليلى: «الحمد لله... ربنا يسهل»..

الحاجة: «يا حبيبتي قولي دايمًا «ربنا المستعان» وربنا يعينك على من هم حولك يارب بإذن الله... أنت إنسانة فاضلة يا ليلى... وربنا ماحابش إنه ينيمك متنكدة وإنتِ طايعة أوامره».

ليلى: «يارب يا حاجة يا رب».

الحاجة: «ياللا أنا هسيبك بقى دلوقتي وهبقى أكلمك وقت تاني... السلام عليكم».

ليلى: «إن شاء الله... وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

ظلت ليلى شاردة الذهن دقائق؛ لأنها شغرت بأن الحاجة كانت تقصد «خالد»، عندما قالت لها «ربنا يعينك على من هم حولك» وتأكدت من أن رانيا قد أخبرتها بما حدث بينها وبين خالد كما زفت إليها خبر حجابها.. وتذكرت قولها «ادعي بالثبات» فقالت» «يارب ثبتني».

كان خالد قد ذهب لينهي إجراءات الخروج من المستشفى، وفعلًا رجع إلى الغرفة وأخذهم ورجعوا إلى البيت.. ولكن «خالد» لم يتوقف عن إجراء السفر.

مرت الأيام سريعة على ليلى، وهي بحجابها البسيط الملتزم، وكأنها بروزت وجهها الجميل وبشرتها الناعمه ببرواز من الحرير، وتعمدت إخفاء شعرها الناعم تمامًا، وكان لها شكل مختلف عن بقية المحجبات حولها بالطرحة الحريرية على رأسها ورقبتها وأكمامها الطويلة والبلوزات الطويلة على البنطلونات الواسعة.. حتى الفساتين كانت مختلفة وألوانها زاهية وجملت حجابها بالإكسسوارالشيك والشنطة والحذاء الفخمين... وسرعان ماعادت ليلى إلى روتينها اليومي البسيط مع الأولاد وخالد وأهلها وأهل خالد، وكأنها نسيت الجمعية بمن فيها...

وفي الأيام القليلة قبل السفر، كانت ليلى قد عادت إلى نظام بيتها والمدرسة ومواعيد الأولاد وخالد، ونسيت الدروس، حتى رانيا كانت قد أخذت تعليمات صريحة من الحاجة ألا تطارد ليلى في التليفون أو تزورها في البيت دون موعد؛ خصوصًا لما عرفت وسمعت من رانيا وبالتفصيل الممل الحديث الأخير اللي دار بينها وبين خالد في المستشفى، وعندما تعمدت رانيا إثارة مخاوف الحاجة بخصوص احتمال تراجع ليلى عن الحجاب، كانت الحاجة تؤكد دائمًا أن ليلى فطرتها سليمة وشخصيتها قوية، وأنها لن تتراجع...

كانت ليلى سعيدة باندماجها مع الأولاد و»النيولوك»، الذي لم يعيقها عن أي شيء وكانت سعيده بتعليقات الناس الإيجابية من حولها مما قوى من عزيمتها أكثر، وساعدها على التأكد من أنها أخذت الخطوة الصحيحة.

أخذت ليلى الأولاد مع والدتها وقضت بهم يومًا جميلًا خارج البيت، ثم رجعوا

إلى البيت.. وكالعادة كل خميس، بدأت ليلى في الاستعداد للخروج مع خالد وأصحابهم.

وصل خالد إلى البيت.. وبمجرد أن رآها أمامه هي والأولاد، قال: «غمَّضوا عنيكم»..

وفعلًا أغمضوا أعينهم بمنتهى الفرحة، وفتحوها ليجدوا «خالد» ممسكًا في يده 4 تذاكر طيران لباريس ويورو ديزني، وأن السفر سوف يكون خلال يومين..

احتضنوه كلهم، وكانت مفاجأة فعلًا، وقالت ليلى وهي قلقة: «ربنا يستر بس... إحنا قبل ما نسافر بيوم عمر سخن ودخلنا المستشفى»..

ردّ خالد: «من إمتى وأنت بتحطي في بالك الحاجات دي؟؟؟ هو إحنا بنبطل سفر؟ سيبيها على الله يا ليلى... إيه يا حاجة...أهو التشاؤم ده هو اللي مكروه بقى، والنبي نهى عنه... توكلي على الله... ياللا إحنا محتاجين نهدى ونرتاح من شدة الأعصاب اللي كنا فيها، وبرضو نطمِّن على عمر»..

وبدأت ليلى الاستعداد للسفر، وكانت أصعب مهمة هي إعداد شنطة الملابس الخاصة بها... كانت أول مرة تسافر بالحجاب، ولم تكن تعلم المناسب في هذه الحالة.. ولكن مهمتها قضيت بمكالمة لنهى خبيرة السفر بالحجاب، والتي لم تتأخر عليها، بل وذهبت وساعدتها، ليس فقط في إعداد الشنطة، بل وفي قائمة المشتريات المهمة والأساسية بالنسبة لكل محجبة.

وبعد أن ذهبت نهى، رّن تليفون ليلى، وكانت مكالمة غير متوقعة بالمرة من الحاجة.

سمعت ليلى صوت الحاجة الهادئ: «السلام عليكم يا حبيبتي».

ليلى: «وعليكم السلام يا حاجة، إزاي حضرتك».

الحاجة ضاحكة: «مش تكملي يا بنوته؟ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ولّا أنا كفايه عليّا السلام؟».

ليلى: «لأ.. إزاي طبعًا... دي مكالمة حضرتك دي غالية عليّا أوي أوي».

الحاجة: «طيب ياللا تعالى بقى أشوفك.... إحنا هنبدأ الدراسة في الجمعية من يوم الأحد الجاي إن شاء الله، وأنا قلت لهم يكتبوا اسمك أول اسم».

ليلى: «معلش يا حاجة أنا آسفة أوي، بس أنا مسافرة إن شاء الله مع خالد والولاد من يوم الأحد الجاي ليوم الأحد اللي بعده»...

الحاجة بتأثر، وبعد فترة صمت قصيرة: «ليه يا حبيبتي خير؟؟؟ ده أنا رانيا طمنتني وقالت لي إن عمر خلاص الحمد لله بقى زي الفل؟».

ليلى بصدقها التلقائي: «لا، الحقيقة هي فسحة وهننتهزها فرصة إن شاء الله إننا نعمل تحاليل جديدة لعمر ولهانيا برضو إن شاء الله نطمن عليها».

الحاجة: «خلاص يبقى ماتقوليش فسحة... خليكي ذكيه بقى، وجددي نيتك

وخلِّي السفرية دي بنية التحاليل؛ علشان ربنا يبارك ويتقبل منك السفر».

ليلى باستغراب واهتمام: «إزاي يعني؟».

الحاجة: «يعني خلِّلي نيتك في السفر إنك تطمّني على الولاد وعلى صحتهم، وإن تبقّى وقت تبقي تتفسحوا في أضيق الحدود.. بلاش يبقى التحاليل تكون هي آخر همك... إنت مسلمة ومؤمنة ومحجبة... بلاش تفسدي عملك يا ليلى»....

سكتت ليلى تمامًا لدرجة أن الحاجة استشعرت الرهبة اللّي وصلت إليها فأحبت أن تلطف الجو، وقالت لها: «طبعًا الكلام ده بقولهولك لأني عارفة إنت أد إيه عاقلة... فطبعًا ماتقوليهوش لجوزك علشان إنتِ لسه مش فاهماه، فالمعلومة مش هتوصل له مظبوطة... هستناكي لما ترجعي بالسلامة، ونقعد مع بعض ونتناقش وأفهمك بالظبط قصدي وغرض الدين من الموضوع ده....

وأكْملت: «ياللا إن شاء المولى عز وجل تطمِّني على أولادك يا رب... وتتبسطي».

ليلى: «ربنا يخلي حضرتك... متشكرة أوي... ويا ريتني كنت أقدر أحضر في الجمعية بَسْ ياللا... المرة الجاية إن شاء الله».

الحاجة: «لا يا حبيبتي متقوليش كده.... مادام نفسك أوي كده، أنا هأجل بداية الدراسة لبعد رجوعك من السفر بالسلامة إن شاء الله... إحنا عندنا كام ليلى؟».

ليلى مندهشة: «معقولة؟ ربنا يخليكي ليّا يارب... أنا هَرْجع الأحد إن شاء الله، وهَبقى تحت أمرك من يوم الاثنين»..

الحاجة: «بإذن الله يا حبيبتي... ماتنسيش تصلي ركعتي الراحلة».

ليلى: «إمتى دول؟».

الحاجة: «طبعًا وإنت على الطيارة هتبقى على وضوء.. ولما الطيارة تطلع إن شاء الله تصلي، وإنت قاعدة في مكانك وإنتِ في الهوا يعني! اتعودي يا ليلى ما تتحركيش من مكانك وإنتِ مش متوضيه... يعني لما ينقض وضوئك وتدخلي الحمام ما تطلعيش منه غير وإنتِ متوضية... حافظي على وضوئك وطهارتك دايما... محدش ضامن عمره يا حبيبتي»...

ليلى: «حاضر إن شاء الله.... شكرا أوي يا حاجة....طيب حضرتك ما تؤمرينيش بحاجة من هناك؟».

الحاجة: «سلامتك يا حبيبتي»...

ليلى: «الله يسلمك حضرتك.... لا إله إلا الله»..

الحاجة ضاحكة: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله يا حبيبتي... في حفظ الله».

بعد نهاية المكالمة، بدأت ليلى في إعداد شنط هانيا وعمر، وكل ما يمكن أن

يحتاجوه في هذه الرحلة... ولم يمنعها انشغالها بالتفكير في كلام الحاجة ومصطلحاتها واستغراب الكثير منها... كلام جميل ومقنع ولكنه
لا يخلو من الرهبة بين كلماته... وما أثار دهشتها أكثر تأجيل الحاجة للدراسة في الجمعية لحين رجوعها من السفر... ورد الحاجة وضحكتها لها عندما قالت لها لا إله إلا الله، والضيق الذي انتابها عندما طلبت منها الحاجة عدم إبلاغ خالد بمحتوى الحديث الذي دار بينهم... وأن الحاجة أثناء كلامها عن خالد كانت كمن عين نفسه حاكما على زوجها، وكأنها تعرف شخصيته.. وإذا كان سوف يفهم ما تحدثوا فيه أم لا، خصوصًا، وأن ليلى كانت دائمة التحدث عن خالد بطريقة إيجابية مؤكدة تفهمه وعقله الواسع... وبقليل من التفكير، تأكدت ليلة من أن رانيا هي مصدر أي معلومة عن خالد؛ خصوصًا لو كانت مغلوطة.

طردت ليلى كل التفكير من رأسها، وقررت أن تهدأ تمامًا وتستعد للرحلة مع أولادها، وأن تستمر في الدعاء بأن يكون عمر سليمًا معافيًا بإذن الله وأن تستعد للسفر بذهن صافٍ تمامًا..

وفعلًا، سافروا واطمئنوا على عمر، الذي اتضح أن مشكلته كانت مجرد ميكروب أصاب معدته، وأعراضه مشابهة لأعراض فيروس خطير... واستغلوا وجودهم في المستشفى وأطمئنوا أيضًا على هانيا وعلى أنفسهم، وأجروا تحاليل عامة تم ذلك بحمد الله... قضت ليلى إجازة ممتعة مع خالد والأولاد، حيث إنها كانت المرة الأولى التي يسافروا فيها هم الأربعة معًا منذ كان أولادهم أطفالًا صغارًا.

حتى المشتروات التي قامت ليلى بها كانت محصورة في القائمة التي كتبتها من نهى؛ لأنها كانت جديدة بعهد مشتروات المحجبات... وساعدها خالد في انتقاء الكثير من قطع الملابس الفخمة والأنيقة لدرجة أنهم لم يتوقعوا أن تكون هناك هذه المجموعة الفخمة من الملابس المناسبة للمحجبات في باريس! ولفت نظر خالد أنه لم تلفت انتباهها مجموعات الملابس العادية بألوانها وموديلاتها المغرية، بل كانت فرحة بنفسها، وفي منتهى الثقة بالنفس سعيدة ومقتنعة بما تعمل، وما أقدمت عليه..... وبالفعل، كانت الأجازة كلها موفقة وقضوا وقتًا سعيدًا معًا.

عادوا من الأجازة، وبدأت ليلى ترتب للمدرسة وللجمعية وخلافه. وفي مساء يوم الأحد، اتصلت بها رانيا لتسلم عليها وتطمئن على عودتها، وتذكرها بالجمعية وموعدها.

الفصل الخامس

الجمعيّة

رانيا: «أنا بصراحة مستغربة أوي، أنا والناس اللي في الجمعية، ليه الدراسة اتأجلت أسبوع ... الحاجة قالت إنها عندها ظروف اضطرتها لتأجيل الدراسة، وبصراحة هي عملت برضو شوية تجديدات في المعلمات اللي هيبدأوا معنا... أكيد هو ده السبب علشان ما نبدأش مع حد وبعدين يتغير لأي سبب.... عمومًا ده كان من بختك يا ليلى ماشاء الله... تسافري وتتفسحي، ولما تيجي تلاقي الجمعية لسه مابدئتش فيها الدروس... ماشيه معاكي ياختي».

فضلت ليلى أن تستمع فقط، ولا تحكي لرانيا عن تفاصيل المكالمة الهاتفية، التي دارت بينها وبين الحاجة قبل سفرها واكتفت بأن قالت لها إن الحاجة كانت تريد الاطمئنان على عمر فقط ... خصوصًا وإنها كانت قد بدأ بينها وبين نفسها تأخذ كل الحذر من رانيا؛ خصوصًا بعد الكلام الذي استمعت إليه عن خالد من الحاجة.

وفجأة سألتها رانيا: «هيه وضبطّي عبايتك بقى لبكره ولا هتيجي بالجينز يا قطة؟؟؟».

ليلى: «عباية؟ معنديش عبايات غير السود بتوع العمرة».

رانيا: «أكيد مش عاوزينك تيجي بعباية حمرا يعني.... ماهي لازم تبقى سودة».

ليلى: «مش قصدي يا بنتي... أنا أقصد أنهم سادة أوي».

رانيا: «إنت رايحة مكان مافيهوش مناظر ولا منظرة، وفيه مستويات كتير أقل مننا، فمفيش داعي إنك تبقى زيادة في أي حاجة».

ليلى: «يا بنتي، أنا أصلًا لبسي بسيط واديكي شايفاني، وعارفاني من سنين».

رانيا: «ياسلاااااااام؟؟؟ والجزم والشنط السينييه، واللّي مش عارفة اسمهم إيه يبقوا إيه بقى إن شاء الله؟».

ليلى، وهي فعلًا مستغربة: «رانيا... ماتحطينيش في دماغك.... سيبيني بطبيعتي، وبعدين ما إنت كمان بتلبسي سينيه؟؟؟».

رانيا، وهي تضحك: «بس آجي فيكي إيه... خليكي ياختي.... بكره نشوف... أفوت عليكي بكره؟».

ليلى: «لأ، أنا هروح لوحدي، علشان أرجع في مواعيد الولاد... الطريق بيبقى زحمة أوي أصلًا».

ولم تضغط رانيا على ليلى؛ سمعًا لكلام الحاجة التي أكدت عليها بألا تضغط

على ليلى في أي شيء، وردت عليها: «أوك، خلاص أشوفك هناك إن شاء الله».

وبعد مكالمة رانيا بدقايق، اتصلت ليلى بالحاجة تسلم عليها: «السلام عليكم يا حاجة».

الحاجة: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته... حمدًا لله على سلامتك يا حبيبتي».

ليلى: «الله يسلم حضرتك».

الحاجة: «يارب تكونوا اتوفقتوا، والتحاليل سليمة بإذن الله».

ليلى: «الحمد لله، كل التحاليل تمام».

الحاجة: «الحمد والشكر لله».

وانتهت المكالمة على موعد بلقاء في الجمعية...

انتظرت ليلى خالد كالعادة ودخل بالأحضان والقبلات لها وللأولاد، وجلسوا معًا يتكلمون وهم يشاهدون التليفزيون، ومن وقت للآخر كان يروي لها نكتة بايخة وهي تضحك من قلبها على بواخة النكتة وقدمها... وكان كثيرًا ما يلاطفها ويغازلها حتى أمام الأولاد، وهي دايمًا كانت مستجيبة بدلع وحب حقيقي.

وكعادتها اليومية في أيام الدراسة، استيقظت ليلى في الصباح الباكر، وأشرفت على الإفطار وترتيب السفرة، التي دائمًا ما تكون في تراس حجرة المعيشة المطلة على الجنينة في الصيف، وفي تراس خاص مغلف بالزجاج الدائري من خلف المطبخ إلى الجنينة في الشتاء والبرد، وكان هذا هو المكان المفضل لها بشمسه ودفئه... الفرق الوحيد بين هذا الإفطار وإفطار الأيام الباقية أنها كانت تستعد للخروج مثلهم، ولن تدخل كالعادة لتجري المكالمة اليومية لحماتها، وهي على السرير، في جو الاستعداد للعودة إلى النوم مرة أخرى...

وبالفعل دخلت ليلى وأخذت حمامًا ساخنًا، وهي غير متذكرة بالمرة أن شعرها المبلول سوف توضع فوقه طرحة... ورغم أنها لم تستسغ الفكرة، إلا أنها كانت مضطرة حتى لا تتأخر عن الموعد المحدد... وظل معها خالد يراقبها بحب، وهي تنتقي الملابس وتمشط شعرها إلى أن رآها ترتدي عباءة سوداء قاتمة، ثم طرحة سوداء، وبالطبع كان لابد وأن يعلق على لبسها: «ليه الكآبة دي يا ليلي؟ ليه الأسود ده على راسك ولبسك كله؟».

ضحكت وقالت له: «ولا يهمك... هلبس شنطة حمرا».

خالد: «مش بحب الأسود يا ليلى؛ خصوصًا على الصبح، وكلك متغطيه بيه كده... متعوديش نفسك على كده، ومش عاوز أشوفك أبدًا بطرحة سودا».

ليلى: «حاضر، وأنا معاك هعمل لك اللي أنت عاوزة... أنا دلوقتي رايحة الجمعية ومش عارفة الناس اللي هناك مستواهم عامل إزاي، وهتلاقي

أغلبهم لابسين خمار ونقاب وحاجات كده... أروح أجس النبض النهارده بس، وبعدين نتكلم»...

قاطعها خالد: «لأ.. يا ليلى مش هنتكلم تاني، وبغض النظر عن الموجودين في الجمعية وليهم كامل الاحترام.. لكن اللبس ده اعتبريه اليونيفورم بتاعهم هم بس... ولا معايا ولا مع الولاد ولا مع العيلة،

ولا حتى مع أصحابك تلبسي كده... مش بحب اللوك دي خالص»...

أخدت ليلى نفسًا عميقًا، وقالت له: «حاضر يا لولي... أنت تؤمر... ياللا ننزل مع بعض بقى»..

وأكملت: «نسيت اسألك إنت برضو رايح اجتماع الإسكندرية ده؟».

خالد ضاحكًا: «أيوه طبعًا إن شاء الله، وهسيبك تروحي الجمعية وترجعي وتهيصي وتنامي على السرير لوحدك».

ليلى: «بس يا جبان... اتريق عليّا كمان... أنت عارف إني بخاف أصلًا... بس أنت هتيجي بكره إمتى إن شاء الله؟».

خالد: «بيننا تليفونات بقى... هشوف وأكلمك.. بس بيتهيألي مش بالليل».

وفعلًا خرجا من المنزل، وكل واحد منهما أخد عربيته من الجراج، ومشي في اتجاه.

وصلت ليلى إلى الجمعية الساعة 10، وسجلت اسمها، ودفعت الاشتراك وقابلت رانيا ومعها أكثر من سيدة ممن يحضرن الدروس بانتظام، ودخلت القاعة ووجدتها مثل قاعة السينما المنزلية... صالة كبيرة والكراسي على الجوانب... يمينًا ويسارًا، ومنصة عالية عليها مكتب وكرسي كبير وأنيق، وخلفهم سبورة وسماعات على اليمين وعلى اليسار، وميكروفون على المكتب... جو محاضرات تمام.

أخدت ليلى مكانها في أحد جانبي القاعة؛ بحيث تكون كاشفة كل المدخل، وتشاهد من تدخل ومن تخرج، ومن المكان نفسه تستطيع رؤية المكان بكامله... وكأنها جلست بالورب ودون اهتمام لمواضع الكراسي وترتيبها!!!

ذهبت إليها رانيا وعرّفتها على سيدات من المتواجدات، وكن جميعهن يرتدين عباءات سوداء وطرحًا سوداء.

ليلى سألت رانيا بشغف: «هو أنا هنا أقدر أقلع الطرحة، صح؟».

رانيا: «طبعًا تقدري.. بس ليه؟ هي مضايقاكي؟».

ليلى: «بصراحة آه... وأنا لسه مش واخدة عليها يا رانيا... وخايفة آخد برد لأن شعري مبلول، وأنا أول مرة أغطيه كده، وهو مبلول... مش متعودة أوي برضو إني أكتمه كده».

رانيا، وهي بتضحك باستهزاء: «أيوه ياعم... أموت أنا في المبلول على الصبح

ده... ماشي يا أم شعر مبلول، ياللا ورينا الحرير»...

فوجئت ليلى بشخصية رانيا المختلفة عن العادية، والفجة نوعًا ما عن طبيعتها الملتزمة!!! ولكنها بررت هذا الشكل الجديد بأن المكان والناس وعدم وجود رجال يمكن أن يكون هو السبب في أن رانيا تتكلم، بل وتتصرف على سجيتها دون رقيب... وأيضًا لأن رانيا لم تكن من صديقات ليلى المقربات، واللاتي من الممكن أن تتكلم أمامها بحرية وانطلاق... فهما حتى لم يجتمعا دون أزواجهما من قبل أيام الدروس إلا نادرًا... كل هذا لم يمنع ليلى من الإحساس بالخجل، مما قالته رانيا، واكتفت بأنها فكت دبوس الطرحة من على رقبها، وتركتها مسدلة على شعرها بطريقة بناظير بوتو.

أخذت رانيا ليلى من يدها وغيرت لها المكان، الذي اختارته لتجلس فيه وأجلستها في أول صف على اليمين؛ لتكون أمام المعلمة، ووضعت أمامها كرسيًّا صغيرًا؛ لتضع عليه شنطتها.

وقالت لها: «بصي بقى إنتِ هتقعدي جنبي هنا... على يمين الحاجة، وربنا يجعلنا من أهل اليمين.... والكرسي ده لشنطتك ضناكي ياختي.. ربنا يتوب عليكي منها بقى».

ليلى: «اهدي شوية يا رانيا.... مالك كده من ساعة مادخلت، وإنت مهيبرة على الآخر... كنّي بقى شوية من ناحية الشنط والجزم والذي منه..... انسيني يعني... وبعدين ماشاء الله الشنط والجزم السينييه ماليين المكان أهم».

رانيا: «يا بنتي بهزر معاكي... ده إنت هنا هتشوفي العجب!!!».

ليلى: «والله أنا مش عاوزة أشوف حاجة خالص...أنا عاوزة أتعلم، لو هيبقى فيه حاجة الواحد يتعلمها يعني».

رانيا: «طب ياللا ياللا صليتي الضحى؟».

ليلى: «لأ... مش متعودة أصليه بصراحة».

رانيا بسرعة: «طب بس بس ماتقوليش كده... ياللا قومي اتوضي وتعالي صليه».

رن تليفون ليلى في اللحظه دي، وكانت رنة خالد المخصوصة، والتي كانت أغنية رومانسية يحبونها هما الاثنان.

وبينما كانت ليلى بتفتح الشنطة، قالت لها رانيا بمنتهى الاستفزاز: «مين يا ليلى؟؟؟ طبعًا خالد... وإيه الرنة دي... إنت هتفضحينا هنا... يا بنتي إنت لازم تنفصلي عن العالم الخارجي خالص وإنت هنا».

وبمنتهى التجاهل، أكملت ليلى بحثها عن الموبايل، وأخرجته من الشنطة، وردت على خالد بالطريقة المعهودة: «إيه يا لولي ... أيوه وصلت الحمد لله... لأ الطريق كان معقول... طيب أوك يا حلو... إنت كمان طمِّني لما توصل

بالسلامة... باي».

رانيا: «إيه يا ليلى... ولا كأنِّي بتكلم طبعًا... يا بنتي ما تسمحيش لحد يشتتك يا ليلي».

ليلى بهدوء وتحدٍّ: «ده مش حد يا رانيا... ده خالد اللّي هو «كل حد» ومش بيشتتني... ده بيطمن عليّا»...

وأرادت رانيا أن تلطف الجو، فقالت لها باستغراب: «هو إنت بتقولي لخالد يا لولي، وهو كمان بيقول لك يا لولي؟!!!».

ليلى بحب: «أيوه... إحنا بنقول لبعض أي حاجة وكل حاجة... بندلع بعض يعني».

وأكملت، وهي مازالت متجاهلة لطريقة كلام رانيا، وفي الوقت نفسه كانت تشير إلى إحدى السيدات المنتقبات، وهي تدخل من باب القاعة قائلة: «مين دي بقى؟».

رانيا بحماس: «دي الحاجة ثريا».

كانت السيدة قد دخلت وجلست على المكتب، وبدأت جميع الحاضرات في الحركة بدافع الجلوس بطريقة منضبطة، واستعدادًا لما سوف تقوله الحاجة «ثريا».

في هذا اليوم، على وجه الخصوص، كانت ليلى في وضع الاستكشاف لكل ما هو حولها... المكان وديكوراته ونظامه والمداخل والمخارج والحمامات... حتى الموجودات بدأت تراقب تصرفاتهن، كلامهن حتى طريقتهن في النظر حولهن وطريقتهن في النظر إليها هي نفسها، وظلت تنظر إليهن من بعيد لبعيد، وتقيّم نظراتهن وردود أفعالهن وتفاعلهن وانفعالهن مع الحاجة ثريا، والموضوع الذي اختارته لتتكلم فيه، وكأنها تخبرهم بشيء جديد عليهم، ولم تكن ليلى مهتمة بهذا الموضوع بقدر اهتمامهن نفسه؛ لتأكدها من أن هذا الموضوع لا يحتاج إلى درس، وإنما هو تربية وفطرة... الموضوع كان «حسن الخلق».. موضوع جميل.... ولكن هل حسن الخلق مجهول لدرجة أن يتابع الكل الكلام المعروف فطريًّا بهذه الطريقة؟!!!

هل حسن الخلق جديد لهذه الدرجة من الاندماج، ولدرجة ان تمسك كل سيدة من الحاضرات قلمًا وكراسة، وتكتب كل حرف تنطق به الحاجة ثريا بمنتهى السرعة، التي تصل إلى العصبية حتى لا تفوتها كلمة؟!!! والغريب والمنتقد بالنسبة لها أن الكلام كله كان كلامًا مرسلًا لا يحتوي على أحاديث ولا قرآن، ولا حتى أحاديث قدسية ولا غيره؟!!!

وعادت لتسأل نفسها: هل يحتاج حسن الخلق إلى كل هذا الرغي؟؟؟ واكتشفت أن مجرد صياغة الكلام حرفة لمن يجيده... فهي تعلم بالسليقة كل ما يقال، ولكن سماعه بهذه الطريقه جعلها تنصت وتنتبه إلى أنه صفة من

صفات الأنبياء والصالحين، وأنها صفة تنال بها الدرجات وترفع بها المقامات... وهو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى عن الناس، ومدارة للغضب، واحتمال الأذى.

وبدأت الحاجة ثريا في الكلام المهم على حسب ما قالت، عندما بدأت في شرح حديث نبي ﷺ عن حسن الخلق؛ إذ انفجرت حوالي 75% من الموجودات في البكاء وكأنهن لم يسمعن أو يعرفن شيئًا عن صلة الرحم من قبل، أو كأنهن كلهن كن قاطعات أرحامهن «والعياذ بالله» !!! وبدأ سيل من الأسئلة غير المنظمة، والتي كان محورها الحماة «أم الزوج» أو أخت الزوج والسلفة وزوجة الأخ والمشكلات والغيرة ومن المتسبب ومن المضرور، وهل هناك صلة رحم معهم أم لا!!!

كل هذه الأسئلة وليلى مبتسمة ومتفرجة في هدوء، وبدأ الكسل والخمول يتسللان إليها، وبدأت تشعر بالملل من نوعية الأسئلة، وفاجأتها الحاجة ثريا بنظرة فاحصة وهي مبتسمة، وقالت لها، وكأنه سؤال عابر ولكنه مقصود: «وإنت؟ معندكيش أي سؤال؟».

ليلى، وهي مبتسمة: «لأ.. الحمد لله... أنا معنديش مشاكل من النوع ده... أنا حماتي في غلاوة أمي، وأخت جوزي في غلاوة أختي.. ده إذا ماكانش أكتر»..

الحاجة ثريا، وهي مستنكرة بابتسامة استهزائية: «غلاوتهم أكتر؟ أكتر إزاي يعني؟».

ليلى بسلامة نية: «أيوه، يعني ساعات بتكلم معاهم، وأشاركهم وأفضفض لهم بحاجات ماقدرش أقولها لأمي ولا أي حد من أهلي!».

ردت الحاجة ثريا بهدوء وثقة: «طبيعي طبعًا إن حماتك وأخت جوزك يسمعوكي أكتر... لأنهم مش بيحبوكي زي أمك وإخواتك وكل أهلك.. دايمًا الإنسان بيدور على ودن تسمعه، ويا ريت الودن دي مايكونلهاش لسان بيتكلم، ولا حتى عقل بيفكر... وطبعًا ده سهل لو المستمع قلبه مش على المتكلم... لكن لو همّا أمك أو حَد من إخواتك اللي بيشاركوكي مشاكلك، كانوا هيبقوا زي ضميرك، وكانوا هيحكموا قلبهم وعقلهم، ويحطوا نفسهم مكانك وهينصحوكي من قلبهم، وهيهمهم أوي إنك ما تقعيش في الغلط... دول صحيح حماتك وأخت جوزك، بس ده مايمنعش إنهم غُرب عنك!».

ليلى: «غُرب؟ غُرب إزاي يعني؟».

الحاجة ثريا: «أيوه غرب... مش من دمك ولا يهمهم مشاكلك، ولا حياتك بالقدر اللي تهتم بيه أمك أو أختك أو خالتك»...

ليلى مستنكرة، ولكن بهدوء وأمانة: «لأ والله إحنا زي العيلة في بعض وأكتر كمان»...

قالت الحاجة ثريا، وهي مصممة ولكن بهدوء: «إنت هتكوني ضد الطبيعة

البشرية يا بنتي؟؟؟ ده شيء بديهي وطبيعي تمامًا، مالناش إحنا دخل فيه وهو ده أساس علم الأولويات... حماتك لو كان فيه خطر جاي عليكي، ونفس الخطر جاي على بنتها، يبقى مين أولى إنها تصد الخطر عنه!!!؟؟؟ أخت جوزك لو في نفس مكان حماتك وخطر جاي عليكي، وخطر جاي على أخوها، هتصد الخطر ده عن مين فيكوا؟ اللي من دمها ولحمها
ولّا الغريبه؟ وعلي فكرة... إنت الغريبة!!!».

وأدارت الحاجة ثريا وجهها، وأكملت الكلام، ولكنها حولت عينيها عن ليلى، التي بدأت تشعر بالتوهان، وإن كانت قد احتفظت بمظاهر الثقة على وجهها، ولكنها في الحقيقة كانت قد اهتزت من داخلها تمامًا، وقد أثر الكلام فيها.

انتهى درس الحاجة ثريا التي شكرتهن، وتمنت لهن سنة دراسية سعيدة واتفقت معهن أن درسها سوف يكون مرتين في الأسبوع، وأن درس اليوم كان مجرد دلع وتسخين وحثتهم على شراء الكتاب الخاص بالدرس والبدء في قراءته قراءة خفيفة؛ حتى يكون أسهل لها في الشرح وأسهل لهن في الفهم.

اتصل خالد بها وطمأنها على وصوله، وسألها عن اليوم وكيف يسير، ولم تخبره بأي شيء لضيق الوقت ولرغبتها في التفكير فيما سمعته، قبل أن تردده كالببغاء.

دخلت بعد الحاجة ثريا حاجة تانية وحاجة تالتة، وبين كل حاجة والتانية، كانت ليلى قد بدأت تألف المكان وتتحرك بحرية، وتجري مكالمات سريعة لأمها ولخالد وللبيت لتطمئن أن كل الأمور تسير كالمعتاد، وفي وسط تحركاتها كانت تسلم على كثير من اللاتي، اكتشفت أنها تعرفهن سواء من النادي أوعن طريق معارف أو حتى من الدروس، وتعود مرة أخرى لمكانها قبل بداية الدرس الجديد...

كما كانت ليلى مراقبة لما حولها، كانت رانيا تراقب ليلى، وتنظر إليها خلسة؛ لترى مدى تأثير ما يقال عليها ومدى اهتمامها وتفاعلها مع الكلام.

وبقدر ما كانت ليلى تستمع وتهتم بما يقال أحيانًا، كانت تشعر بالتشتيت من حركة بعض الموجودات، كمن تتحدث بوشوشة سواء مع من تجلس بجوارها أو في التليفون وهي تسقط رأسها؛ حتى لا تشعر بالحرج أمام المعلمة، وبمن تحركت خلسة ودخلت الحمام أو الكافيتريا بالموبايل وغيره..

ولفتت نظرها سيدة اسمها سميرة، كانت كثيرة الحركة والكلام، وتنظر إلى كل الموجودات من فوق لتحت، وكأنها تتفحصهم، مع أنها نفسها كانت ترتدي عباءة شيك وساعة فخمة وطرحة غالية... أشكال من الماركات، التي كانت عندما ترتديها تستمع لكلام رانيا السخيف والمستفز، وسألت رانيا: «مش بتتريقي على صاحبتك ليه بقى يا ست رانيا، وتقولي لها سينيهات وغيره؟».

ولكنها فوجئت برد رانيا: «ملكيش دعوة بيها خالص... دي مصدر القيل والقال واللت والعجن والتوقيع كله... وطول النهار ترمي ودنها يمين وشمال وتجري

تقول للحاجة ومش بينجى منها غير اللي بيديها وش، بس من غير رغي طبعًا!!!».

ليلى: «هنا؟!!! قيل وقال ولت وعجن؟!!! طيب وده مش غَيْبة بقى يا حلوة ولا إيه؟».

رانيا: «مش ده القصد دلوقتي... أنا بحذرك لأنك لسه جديدة ومش عاوزاكي تاخدي وتدي معاها... الحاجة نفسها ممكن تحذرك أصلًا»..

استغربت ليلى من رد رانيا، وأعتقدت أنها لا تحب سميرة، أو أنها ليست من المقربين أو المفضلين لرانيا، أو أي شيء مشابه؛ خصوصًا أنها لم ترها في أي من الدروس، التي كانت قد حضرتها مع رانيا والحاجة، قبل انضمامها للجمعية، مع أنها كانت ترى سميرة وهي توزع القبلات والتحيات على كل واحدة من اللي داخلين الجمعية، وكمان رانيا نفسها اللي بتكلمها بكل الحب والود!!!

انتهى اليوم الطويل، وذهبت ليلى إلى البيت واتصلت بوالدتها وحماتها التي اتفقت معها أن تحضر إليها ليلًا؛ لأنها تفتقدها. ورغم أن ليلى كانت في منتهى الإرهاق الذهني والجسماني، إلا أنها اطمأنت على دخول الأولاد إلى حجراتهم ونومهم، واستقبلت حماتها التي كانت تفتقدها هي الأخرى.. وظلت معها حماتها إلى أن وصل خالد ثم ودعتهم وذهبت إلى بيتها سعيدة بالكلام مع ليلى والضحك والحكايات، التي لا تنتهي في كل شيء.. الموضة والأطفال وأماكن الخروج وبالطبع الجمعية..

وفي اليوم التالي تكرر الروتين نفسه مع الأولاد، ودون خالد، وإن تواجد معهم على التليفون، وذهب لتكملة يومه كما ذهبت ليلى للجمعية، وكان يوم درس الحاجة سامية.

ذهبت ليلى في اليوم التالي إلى الجمعية، بعد أن نزل الأولاد كالعادة.. وكان أول درس في هذا اليوم للحاجة سامية.

دخلت الحاجة سامية بطلعتها المبتسمة المتفائلة، وحيتهن كلهن وقالت لهن: «سلام عليكن حبيباتي».

كلهن رددن بحب وبردود مختلفة: «وعليكم السلام يا حاجة.... وحشتينا يا حاجة... إزاي حضرتك يا حاجة.. وردود تانية كتير».

الحاجة: «ياللا ياللا قبل الرغي وقبل الدرس.. نصلي الظهر جماعة».

وفعلًا تحرك الكل في المكان كخلية النحل... جزء في اتجاه الحمامات وجزء آخر يرتدين الطرحة ويحكمن ربطها جيدًا، وجزء يأخذن مكانهن على سجادة الصلاة.. ولكن الملفت بالنسبة لليلى كن من توضأن خارجات من الحمام والمياه تتساقط من عليهن وكأنهن لم يستعملن المناشف، وبسرعة وجهت ليلى الكلام لرانيا وقالت لها: «يا بنتي ماتجيبولهم مناديل أو فوط، بدل ما الصالة هتغرق ميه كده، ووشهم هيفلق!!!».

رانيا: «بس يا ليلى... دي سنة مؤكدة عن النبي إن شاء الله».

قبل أن ترد ليلى، ردت الحاجة، بمنتهى الحب: «إنت عارفة يا ليلى، إن تساقط الماء من على أعضاء الجسم بعد الوضوء، كأن الذنوب تتساقط، ودي سنة عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام والوش اللي خايفة إنه يفلق ده.. هينور من غير كريمات ولا عمليات ولا بوتوكس.. بالوضوء والصلاة... فكري كده في الستات بتوع زمان، جدتي وجدتك، اللي كان وشهم يفضل زي البنوره بفضل الله لحد ما يموتوا... كان بسبب الوضوء والصلاة وقلة الخروج للشارع... والاحتجاب عن الأغراب... وكثرة السجود وذكر الله»..

وأكملت الحاجة: «ياللا يابنات... الصلاااه»..

وتركت الحاجة ليلى مبهورة، تفكر فيما قالته!!!

واصطففن كلهن بمنتهى السرعة والهدوء، والذي لم يقطعه غير من كانت آتية مسرعة وعلى عجل من الحمام؛ لتأخذ مكانها في الصف المتكدس وكأنه فارغ أو كأن مكانها كان محجوزًا من الأصل... واستغربت ليلى من طريقة وقوف السيدات في صفوف الصلاة... لماذا يصطففن ملاصقات لبعضهن تمامًا، وتسجد وهي ملاصقة لمن جنبها فاردة مسافة بين قدميها وكتفيها تقريبًا مثل الرجال؟!!! ولمحت بعينيها الحاجة وهي تقف معها في الصف الأول نفسه، ووجدتها تقف بمنتهى الثقة والعظمة وأكتافها مفرودة ورأسها مرفوعة، والمساحة بين قدميها تقريبًا 50 سم، ومن كانت بجوارها كانت تقف مثلها، وهكذا الصفوف كلها، وجاءت سميرة، ووقفت إلى جانب ليلى وقالت لها: «يا قمرة إنتِ يا نوارتنا... ربنا يتقبل مننا جميعًا إن شاء الله!».

انتهين من الصلاة، وقبل أن تذهب كل واحدة إلى مقعدها، التفتت إليهن الحاجة ونظرت إليهن بحزم، وقالت: «حبيباتي... الصلاة لها خشوعها، وعلشان الإنسان يخشع في الصلاة، لابد وأن يكون عقله كله متعلقًا بالله تعالى وبالصلاة، وألا يلهيه عنها أي شيء وعلشان كده «الشهرة» اللي انتم عاملينها دي من النهارده ممنوعة تمامًا!!!».

لم يفهمن جميعًا، وعلى رأسهن ليلى، معنى كلمة «شهرة» وماذا قصدت بها الحاجة..

وأكملت الحاجة كلامها بثقة، وهي تنظر إلى إحدى الموجودات، والتي كانت ترتدي عقدًا عربيًّا جميلًا، وكان قد لفت نظر ليلى من الأساس، عندما دخلت إلى المكان، ولكنه كان يصدر أصواتًا في الصلاة وعند حركة الجسم مثله مثل الغوايش، التي كانت ترتديها ليلى نفسها، ولكن الحاجة لم تشر إليها، وقالت بمنتهى الهدوء والابتسامة على وجهها: «دي اسمها «شهرة»... والأصوات دي محرمة في الأوقات العادية، فمابالكن بقى بوقت الصلاة؟؟؟ أعتقد أني هعيد الصلاة دي في البيت إن شاء الله»..

وتلاقت نظرات الحاجة مع ليلى، التي كانت تتفحص الغوايش في يدها، وابتسمت الحاجة، وقالت لها: «ولا دول كمان يا ليلى، أشوفك لابساهم تاني.... حرام يا حبيباتي... أصواتهم بتلفت النظر وتلهينا عن الخشوع... لابد وأن تكون عينك على القبلة ماتتشالش من عليها، وتستحضري الخشوع بين يدي الله سبحانه وتعالى... المرة دي سماح لأنكم ماكنتوش عارفين.. لكن بعد كده هاتتحملوا وزر كل اللي حوليكم لو لم يخشعوا في الصلاة والعياذ بالله... ده لفت نظر ولفت انتباه، وشهرة ولا يجوز إطلاقًا على المسلمة أن تتسبب فيها!!!».

وبطريقة لا إرادية – بطبيعة الحال - وجدت ليلى نفسها تخلع الغوايش من يدها وتضعها في الشنطة ونظرت حولها، ووجدت السيدة التي كانت ترتدي العقد قد خلعته هي الأخرى.

وعادت الموجودات إلى أماكنهن، وأخذت الحاجة مكانها في وسط القاعة، وجلست إلى المكتب الموجود على المنصة.. تحدثت معهن الحاجة سامية بمنتهى البساطة عن المادة التعليمية التي سوف تدرس، وكيفية تكون نيتهن في الدراسة وتجديدها (ولم تكن ليلى متفهمة لموضوع النية كما يجب، وكان دائمًا ما يثير لديها تساؤلات عديدة) وأكدت الحاجة ضروره استعانتهن بالله تعالى في بداية السنة، وأن يفرغن أنفسهن لله وعبادته ودراسة فقهه وعقيدته، وفتحت باب الاستفسار لكل من عندها سؤال.. ولكن لطبيعتها القوية الملاحظة، لفتت نظرها إحدى الموجودات الجالسات في الصف الأول، وكانت أظافرها بها طلاء أظافر بلون وردي فاتح، فسألتها الحاجة: «عبير... إنت كنتي بتصلي معانا صح؟!».

عبير: «أيوه يا حاجة»...

الحاجة: «تصلي إزاي يا حبيبتي وضوافرك كده؟».

عبير: «ما أنا حطيته الصبح قبل ما أنزل وكنت متوضية... يعني حطّاه على وضوء».

الحاجة: «يا حبيبي يا رسول الله، ﷺ، كنت تعلم ما سيحدث لأمتك من بعدك لما قلت «النظافة من الإيمان»..... لو حصل أي اتساخ لضوافرك وهي متلونة كده ممكن تشوفيها؟ وبعدين لابد من إسباغ الوضوء قبل الصلاة، ولهذا سماه الرسول ﷺ «نور على نور»، يبقى إزاي هتسبغي الوضوء وإنت عاملة كده؟؟؟ جواز استخدام طلاء الضوافر فقط عندما يكون هناك عذر شرعي لذلك... يعني الدورة الشهرية، ويكون بلون خفيف قدر الإمكان.. وطبعًا مش لازم نعمل له إعلانًا ونعرَّف الناس كلها إن عندنا البيريود!».

في أغلب أوقات كلام الحاجة، كانت وكأنها توجه الحديث إلى ليلى... عيناها في عينيها، وهي تبتسم لها من قلبها، وكأنها تراهن عليها وعلى تفوقها وتقبلها للحياة الجديدة.

وقبل أن تختتم الحاجة حديثها، فوجئت ليلى بالحاجة سامية، وهي تقول: «عاوزة أثير معاكم موضوع على السريع كده، لأني اكتشفت إنه غايب حرمانيته على كثير منكم وهو كلمة «لا إله إلا الله» عند السلام، والرد بـ «محمد رسول الله» بالتوديع وخلافه»...

تذكرت ليلى نفسها، وهي تقول للحاجة في التليفون «لا إله إلا الله» قبل سفرها، وضحكة الحاجة – وقتها - المسألة التي لم تفهمها أو تستطع تفسيرها.

وأكملت الحاجة: «الشهادة لا تُقسم أبدًا... وقول «لا إله إلا الله» والانتظار حتى يرد الطرف التاني بـ«محمد رسول الله» حرام.... بدعة، وقول دخيل علينا على سبيل التبرك أو ظنًّا من القائلين بأن الله سوف يجمع بينهم مرة أخرى... أي أم معتادة على هذا القول لأولادها أو لزوجها أو لأحد من أحبائها وجب عليها التوبة منه وعدم الرجوع إليه مرة أخرى... ويمكن أن نستبدله بكلمات يحبها الله ورسوله مثل «في حفظ الله» و«في أمان الله» و»استودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه»..

واختتمت الحاجة كلامها بالبساطة نفسها التي بدأته بها.

وقبل خروج الجميع من المكان، ذهبن إلى الحاجة للسلام والتقبيل، وتقديم كل أنواع التحية، وكأنهن يأخذن منها البركة.

شدت رانيا ليلى من يدها وذهبت بها إلى الحاجة، وسلمت الحاجة على ليلى من قلبها، وقالت لها: «إيه يا ليلى أخبار اليوم إيه، طمنيني؟».

ليلى: «الحمد لله بس الكلام والمعلومات كتيرة أوي، والواحد كإنه ماكانش يعرف حاجة قبل كده».

الحاجة: «فعلًا يا ليلى... أحسن حاجة إنك تعرفي إن اللي اتعلمتيه في حياتك قبل كده مالوش لازمه.. إحنا هنا بفضل الله هنعلمك العلم الشرعي.. العلم الذي أراده لنا الله تعالى، وأتمه لينا نبينا المصطفى ﷺ»..

ليلى: «يا رب يا حاجة.. أنا بس قلقانة قوي.. عندي شوية لخبطة كده»..

الحاجة مستبشرة: «ماشاء الله.... خيرًا يا حبيبتي إن شاء الله... كده تبقي على الطريق الصحيح إن شاء الله.. قولي دايمًا «الله المستعان» و«اللهم إني توكلت عليك فاعني ولا تعن عليّا».. وبالنسبة للتحفظات سيبيها لوقتها.... فكل يؤخذ منه ويرد».

ليلى مقتنعه: «حاضر إن شاء الله».

وأكملت الحاجة موجهة الكلام إلى رانيا: «اديتي ليلى الأذكار والأدعية؟».

رانيا: «لسه يا حاجة، هديهم لها حالًا»....

وفعلًا هرولت إلى الخارج، وأحضرت الأذكار والأدعية وأخذتها الحاجة من يدها،

ورتبتها سريعًا، وبدأت تفتحها واحدًا واحدًا لليلي، التي كانت في شدة الاهتمام بما يحدث..

الفصل السادس

الدروس

الحاجة ضاحكة: «تعالي يا ليلى، هديكي درس خصوصي يا ستي»...

وأكملت بمنتهى خفة الدم موجهة كلامها إلى من تبقى من الموجودات: «الظاهر كده زي ما فيه كلمتين السلم، هيبقى فيه النهارده كلمتين وأدينا على السلم برضو..مين عاوز يسمع؟»؟

هلل الكل، وكأنها لم تكن تتكلم على مدار الساعة الفائتة وأكثر: «أيوه يا حاجة.... إحنا مش بنشبع من كلامك حضرتك أبدًا».

الحاجة: «خلاص يا ليلى، علشان خاطرك هنعمل اكستنشن للدرس... حلوة اللغة الإنجليزية دي؟؟؟ ياللا علشان تعرفوا بس الواحد مضحي علشانكم إزاي... وسايب الإنجليزي ههههههههه... أنا بضحك طبعًا يا بنات... الترك لله أهم ترك، ولغتنا لغة القرآن.. والحفاظ عليهم أهم الحاجات اللي لازم نحافظ عليها في حياتنا كلنا».

فتحت الحاجة ورقة الأذكار الأولى وسلمتها لليلى، وهي تقول لها: «دي أذكار الصباح يعني بعد صلاة الفجر ويستحسن قبل الشروق ودي أذكار المساء يعني بعد صلاة المغرب مباشرة ولحد بعد العشاء مثلًا بساعتين...

وأكملت: «بصي يا ليلى، الأذكار من أهم الأشياء المحصنة للمؤمن ودينه وأهله من أتمها يوميًّا ضمن الأمن والأمان بأذن الله، ومن أهملها لا يلومن إلا نفسه»..

ردت ليلى مبتسمة، وقد استشعرت صعوبة الموضوع: «حاضر، بس اللي بعد الفجر ده على طول صعب أوي.. ده الواحد تقريبًا بيصلي الفجروهو نايم.. وساعات بتروح عليه نومة»..

الحاجة: «لا حول ولا قوة إلا بالله... ماتقوليش كده يا حبيبتي... قولي إن شاء الله... من فاتته صلاة الفجر فهو آثم... الصلاة وخصوصًا صلاة الفجر هي صلة ونداء من الله تعالى إلى عبده، ولهذا يقول المؤذن في صلاة الفجر فقط «الصلاة خير من النوم» .. ينده الله تعالى على المؤمن الحق ويدعوه للقائه.. ومن فاته هذا اللقاء، فقد فاته لأن الله تعالى لا يريد أن يلقاه، وبالتالي لم يدعه فيتركه للشيطان.. إحنا لازم ننتصر على الشيطان بالاستعاذة بالله وبالتقرب إليه قولًا وفعلًا»..

شعرت ليلى بالاندهاش مما قالته الحاجة من إثم تارك صلاة الفجر، كما شعرت بالخوف وهي تستمع إلى هذه الكلمات وتتذكر كم صلاة فجر أدتها في حياتها وكم صلاة فجر فاتتها!!!

وأكملت الحاجة الكلام، وقالت: «البنات هنا أغلبهم بيصحّوا بعض قبل الفجر

تقريبًا بنصف ساعة بالرسايل أو بالواتساب علشان يشجعوا بعض»...

وبطريقة كاريكاتيرية، ضحكت الحاجة وقالت: «دي الحاجات اللي المفروض تستعملوا الواتساب بسببها مش الرسايل اللي مالهاش لازمة والنكت والتريقة... كل علم آتاه الله للإنسان يا إما حجة له، أو حجة عليه ولا إيه؟».

سرحت ليلى فيما تسمع وحاولت أن تستوعبه.. هناك مجموعات عندها على الواتساب من الصحاب أو العيلة الكبيرة حتى عيلتها هم الأربعة هي وخالد وعمر وهانيا كان عندهم مجموعة يتحدثون فيها حديثًا جماعيًّا، إذا كانوا في أماكن متفرقة.. فـ«كيف يعد هذا حرامًا؟» ما دامت ليست هناك غيبة أو نميمة أو أي مما يغضب الله؟!

وسألتها إحدى الموجودات بخفة دم: «معلش ياحاجة... عندي استفسار؟ لو أنا جُنُب وراحت عليّا نومة وماقومتش للفجر يبقى حرام أوي يعني؟».

الحاجة بصرامة لا تخلو من خفة الدم: «تاني «راحت عليّا نومة دي»؟؟؟ إيه اللي ينيمك جنب أصلًا؟!!! لابد من التطهر الكامل فور الانتهاء من الحدثين: الحدث الأكبر والحدث الأصغر»، وأكملت موجهة حديثها للموجودات كلهن: «مين منكم ممكن تنام جنب يا بنات؟».

لم تستطع ليلى أن ترد إطلاقًا، فهي تستمتع بهذا «الحدث» وبخالد، الذي يأخذها في حضنه، وينامان أعمق النوم للصباح!!! بينما وجهت إليها الحاجة نظرة ارتياب، وهي تبتسم ولكن ليلى تجاهلت النظرة، بل ولم يبد عليها أي شيء من الارتباك...

ونظرت حولها ووجدت الكثير من الموجودات رافعات الأيدي، منهم من يرفعها على استحياء، ومنهم من يرفعها فخرًا..

وأردفت الحاجة: «طب حد منكم عنده سؤال ولا استفسار؟؟».

وهنا رفعت ليلى يدها بثقة قائلة: «الإجراءات اللي حضرتك قلتيها دي ماتنفعش كل الناس.. يعني لو واحدة بتشتغل مثلًا وبتذاكر لولادها بالليل وبتراعي بيتها، وبتقعد مع جوزها، إزاي تقوم الفجر تعمل كل ده وتكمل يومها؟!!!».

الحاجة: «إحنا دلوقتي مش في مجال نتكلم فيه على الشغل والاختلاط والحاجات دي.. مع إني مش عايزة أقلل من حجم أعمال كتيرة، ممكن المرأة الصالحة تقوم بيها زي إنها تكون مدرسة في مدرسة بنات أو دكتورة... لكن أحب أقول لك إن دول استثناء.. مش قاعده وربنا سبحانه وتعالى بيأجرهم على عملهم وبيقوموا يصلوا، صحيح مش بيستمتعوا بالوقت كله، ولكن إن شاء الله ربنا بيبارك لهم على مجهودهم»..

شعرت الحاجة بما بدأ يدور في المكان، وفضلت أن تنهي الكلام في هذا الموضوع وتستكمل ما قد بدأته مع ليلى من البداية، وفعلًا قالت: «ياللا يا بنات

كنا وقفنا لحد فين؟... أيوه الآذان.. تستمعوا جيدًا للآذان وتقولوا مثلما يقول المؤذن..

«.. وتاني حاجة ندعي بكل ما أوتينا من قوه واجتهاد في الدعاء؛ خصوصًا بين الآذان والإقامة لأن الدعاء فيها يكون مستجابًا بإذن الله..

وبعد كده نصلي ركعتي سنة الفجر المؤكدة فهي خير من الدنيا وما عليها وخللوا بالك... هناك آذانين للفجر، الصلاة بعد الآذان الثاني مش الأول.. طبعًا أن نصلي الفجر مع الجماعة أفضل عند الله تعالى وأتقى... لأنها عمل عظيم وثوابه أعظم إن شاء الله».

وأكملت: «بعد الانتهاء من الصلاء نقرأ أذكار الصلاة (أشارت إلى كتيب صغير، وناولته لليلى) ومن بعدها أذكار الصباح والاجتهاد بالدعاء المطلق والذكر حتى وقت الشروق، ومن بعد الشروق نصلي ركعتين الشروق أو ما تيسر.. وياريتنا نفضل على صلة بالله تعالى كده طول الوقت... أنا بستغرب على الناس اللي بيصلوا الخمس فروض بسننهم وخلاص... مش عارفة حياتهم بتبقى ماشية إزاي أصلًا».

كانت الحاجة من الذكاء بأن تفهم أن كثيرًا من الموجودات لم يفهمن مغزى كلامها عندما قالت «الخمس فروض بسننهم وخلاص» فأكملت بثقة: «يعني الناس اللي بتنسى تصلي الضحى بشفق عليهم بجد.... واللي بيصلوا العشاء الساعة 1 بالليل، ويفتكروا إنهم كده مصليينها حاضر مش قضاء!!!».

وأكملت تلقائيًّا: «... لو هنمشي بالترتيب يا سميرة يبقى الشفع والوتر وبنغفل تمامًا عن أهميتهم الجبارة... وبعد كده نتكلم عن صلاة قيام الليل... فما أعظم أن نقف في جوف الليل بين يدي الله ندعوه ونتوسل إليه أن يرزقنا ما نريد... فصلاة الليل من المستحبات والسنن المؤكدة»...

نظرت الحاجة في الورق الذي بين يديها، وأكملت: «دي بقى أدعية مختلفة... ده دعاء الاستيقاظ من النوم.. وده دعاء الدخول في النوم.. وده دعاء الخلاء قبل دخول الحمام، وطبعًا كلنا عارفين إننا بندخل الحمام بالقدم اليسرى... وده دعاء الخروج من المنزل... وده دعاء السوق.. وده دعاء ارتداء الملابس.. وده دعاء خلع الملابس... وده دعاء الركوب»...

وأكملت موجهة حديثها لليلى: «دول يا ليلى.. كلهم باللزق من الضهر... يعني تلزقيهم على الأبواب، علشان ما تنسيش تقوليهم، وكمان إن شاء الله تاخدي ثواب اللي هيقولهم بسببك.. ياللا يا حبيبتي توكلي على الله... أنا عطلتك أكيد».

ليلى: «أبدًا يا حاجة... ميرسي أوي على كل الحاجات الجميلة دي»..

الحاجة وهي بتضحك: «ده ديننا يا ليلى، مش حاجات ولا معلومات... وبلاش ميرسي دي... خليها جزاكي الله خيرًا، أهو يبقى منها بتدعيلي ومنها إن

الملايكة يؤمّنوا على الدعاء، ويقولولك ولك مثله إن شاء الله».

ليلى ضاحكة: «حاضر... جزاكي الله خيرًا يا حاجة».

نظرت ليلى في الساعة واستأذنت الحاجة ومشيت، وركبت سيارتها وانطلقت في طريق البيت، وهي تفكر في كل اللي جرى على مدار اليوم، وأول شيء فعلته هو لصق الكارت الخاص بدعاء الركوب على تابلوه السيارة، حتى تتذكر قراءته دائمًا قبل التحرك بالسيارة، ثم اتصلت بخالد وأبلغته بأنها تحركت فعلًا في اتجاه البيت، وكانت تعلم تمامًا بأنه سوف يسألها عن كل تفاصيل اليوم، ولكنه كان مشغولًا واكتفى بالرد عليها، وإبلاغها بأنه سيكلمها عندما ينتهي من عمله... وقررت التوقف عند أحد محلات البراويز لتغليف الأدعية، بدلًا من لصقها على حوائط المنزل وأبوابه...

وصلت ليلى عند بيتها قبل ميعاد رجوع أولادها من المدرسة بربع ساعة، وفضَّلت أن تنتظرهم خارج المنزل بدلًا من الدخول إحساسًا منها بالتقصير لغيابها طوال اليوم.. وفي هذه الأثناء طلبت من حارس البيت أن يحضر لها مسامير وشاكوشًا، ودقت على باب البيت من الداخل، بعد الجنينة، دعاء دخول المنزل!!!

وصل الأولاد بالسلامة وأخدتهم ودخلوا البيت، وكانت والدتها مازالت هناك، فقررت ليلى على الفور أن ترسل السائق ليحضر والد خالد ووالدته ليقضيا اليوم كلهم معًا وكأنها مناسبة... ودخلت ليلى على الولاد ضحك ولعب وتهريج في الوقت نفسه، الذي كانت بتحكي لوالدتها على أول يوم في الجمعية، وأمها منصتة تمامًا لكل كلمة لعلها تتعلم أي معلومة جديدة، وفي النهايه قالت لها ببساطه: «بكره بقى لما تاخدي حاجة إبقي قوليلى.... اللي بتقوليه ده عادي وكلنا عارفينه!!!».

وضعت ليلى كل الأدعية على الأبواب كبراويز... أبواب الحمامات، وحجرات النوم.. حتى المطبخ، وفي حجرة نومها لصقت دعاء قبل النوم، على الكومودينو ناحية خالد ومثله ناحيتها!!!

وصل أبو ليلى، وبعده مباشرة وصل خالد ووالده ووالدته، وكلهم استغربوا من البراويز التي ملأت أبواب البيت؛ خصوصًا أمها وأم خالد، وانتقدتا الموضوع بسخرية، حتى إن أمها سألتها: الدعاء في القلب زي النية اللي محلها القلب برضو...

وردت ليلى، وكأنها عليمة بالأمور كلها: «لأ.. النية شيء مختلف تمامًا... النية لازم يبقى محلها القلب وإلّا يبطل العمل!!!».

ردت حماتها وقالت: «إزاي الكلام ده؟؟؟ إنت عاوزة تقوليلى إني لو نويت إني أصلي مثلًا تبقى صلاتي باطلة؟».

أم ليلى: «إيه التخاريف دي... لأ طبعًا».

ليلى بحدة: «أيوه تبقى باطلة!!! وأي عمل يسبقه التفوه بالنية فهو باااااطل... النية محلها القلب... الجهر بالنية فى أي عمل وفي الصلاة خصوصًا من البدع السيئة وهذا متفق عليه بين المسلمين»..

حماتها مندهشة: «التشدد ده من أول حصة كده يا لولي برضو، أُمال لما تشدي شوية هتعملي فينا إيه؟».

أمها: «وإحنا نستناها لما تشد ليه!!».

انتبهت ليلى إلى أنها كانت عنيفه فغيرت من نبرة صوتها لتهدئ الجو، وقالت: «خلاص حقكم عليا... إحنا كنا متفقين، كل ما أعرف معلومة جديدة آجي وأعلمهالكم».

الأم: «لا.. يا حبيبتي... إذا كان المتكلم مجنون، يبقى المستمع لازم يكون عاقل!!!».

ولأن ليلى كانت مازالت مجرد بغبغان، يردد كلمات الحاجة، قررت التزام الصمت لعلمها بأنها لا تملك الحجج والبراهين بعد، وأيضًا لأنها لم ترد لفت نظر خالد وأبيه لما يدور أو ما حدث في الجمعية.

وتناولوا الغداء جميعهم، وقضوا أحلى وقت معًا حتى نام الأولاد...

وكان المميز والجميل في حياة ليلى وخالد أن العائلتين كانوا أصدقاء ومقربين ومتفاهمين في وجهات النظر دايمًا.

بعد أن مشى الجميع، دخل خالد إلى غرفة المعيشة يمارس هوايته في التقليب بالريموت لكل قنوات التليفزيون، خصوصًا لو كان باله مشغولًا، وكانت ليلى مستمرة في الحديث عن الحاجة سامية والجمعية ورانيا وحكاياتها... حتى سميرة حكت له عنها!!!

خالد: «اللي بتقوليه ده يا ليلى كلام في منتهى الخطورة... إزاي تبقى طالبة علم شرعي زي ما إنتِ بتقولي كده، ومن أولى التلميذات هناك، وتبقى صفتها القيل القال؟؟؟ إزاي لم تتأدب بآداب الإسلام يعني؟ وكمان رانيا بتحذرك منها، وإنتِ بتقولي إنها بتسلم عليها وبتبوسها علشان تأمن شرها؟!!! واللي أخطر بقى إن رانيا تقول لك إنها بتجري على الحاجة بالأخبار!!! يعني الحاجة بتسمع؟!!! دي مصيبة ولو بتسمع يبقى أكيد بتتناقش وبتتأثر، وبتبني آراء بناءً على اللي بتسمعه، وده غيبة ونميمة»..

كانت ليلى منتبهة بكل التركيز إلى كلام خالد؛ لأنها تعلم تمامًا أنه صحيح!!!

ولما أنهى خالد كلامه، قامت تتفقد هانيا وعمر، وبدأت في عد الساعات التي سوف تنامها؛ حتى تستطيع الذهاب مبكرة إلى الجمعية، ودخلت على خالد، وقالت له: «ماتيجي بقى ننام»...

ضحك وكأنه فهمها بطريقه تانية، وقال لها: «ياسلاااام.... بس كده... ياللا»..

ضحكت من قلبها، وهي داخلة الأوضة، وقالت له: «مش قصدي ي ي ي ي»...

واقترب منها خالد بدلال، فقالت له: «لأ، بجد يا خالد... أنا هَصْحى بدري الصبح إن شاء الله، ومش عاوزة بقى أنزل لهم بشعري مبلول تاني... دي رانيا أول ما لقيت شعري مبلول، اتريقت عليّا أدام الموجودين كلهم، وقالت لي أموت أنا في المبلول اللي على الصبح ده»..

خالد: «الغريبة إن الناس دي كل تفكيرهم في السكس!!! ومابيصدقوا يلاقوا فرصة إنهم يتكلموا ويرغوا ويتريقوا بيه... بس الأغرب إن ستاتهم اللي بيلاقوا في العادي إن الثقافة الجنسية والمعرفة بيها لا تجوز، دا كمان كتير منهم بيعتبروها حرام، وهم أول ناس ينكتوا عليها ويستعملوها على العلن أول ما تبقى القاعدة مريّحة بالنسبه لهم!».

وأكمل ضاحكًا: «يالّلا... خلينا ننام إخوات النهارده.. لما نشوف آخرة أيامك المشغولة دي إيه!».

بدأت ليلى في الانتظام في الجمعية والتزمت بالمذاكرة والحفظ والتحضير وخلافه.. وكانت كما تنبأت لها الحاجة من التلميذات المجتهدات.. براعم المعلمات الكبار وتنبأت لها بشأن عظيم في أقرب وقت، وفعلًا، كانت الحاجة تشجعها وتشد من أزرها طوال الوقت... وكانت ليلى في هذه الفتره قد بدأت في التشدد، دون أن تشعر أو تنوي.. وكانت أصعب لحظاتها هي أوقات الصلاة، وخصوصًا لو لم تكن في البيت... في أي مكان كانت تتواجد فيه وتسمع أذان الصلاة، كانت تتنفض، وتقوم تجدد وضوءها وتبحث عن مكان مناسب للصلاة وكانت دائمًا تضع في شنطتها اسدال للصلاة أسود اللون، رغم ارتدائها الحجاب، ولكنها كانت تطبق كلام الحاجة سامية بالحرف الواحد، ودون أي تفكير.. كانت ليلى لا ترى نفسها ملتزمة - خصوصًا في ملابسها بالقدر الكافي، بسبب خالد الذي كان يكره اللون الأسود، وهي كانت تحاول أن تسترضيه لتلبس العباية السوداء طوال الوقت، ولكنها فشلت في إقناعه...

من ضمن محتويات شنطتها، كانت البوصلة؛ لأن الحاجة سامية قد ذكرت لهم أن كتيرًا من العاملين في المطاعم يتعمدون أن يوجهوا الناس للقبلة الخاطئة كرهًا في الإسلام والمسلمين!!! بالإضافة طبعًا لتأكيد الحاجة عليهم بعدم جواز الذهاب إلى الفنادق على الإطلاق لامتلائها بالفسق والفجور والمنكرات، وكان ذلك يسبب مشاكل مع خالد وأصدقائه بسبب تعودهم الذهاب على الأقل أسبوعيًّا لتناول الغذاء في فندق الفورسيزونز، ولقاء الأصدقاء والمعارف..

بدأت المشكلات تحدث لها مع خالد، الذي كان يصلي بشكل طبيعي وهادئ ودون الفزع الذي كان يحدث لها.. حتى والدتها الملتزمة، والتي كانت ترتدي الحجاب من سنين أيضًا كانت قد بدأت تعاني من ليلى وتشددها غير المبرر،

ليس فقط في المظهر والتصرفات، وإنما أيضًا في طريقة الكلام الذي وصفتها بأنها «زي السم»؛ وخصوصًا فيما يتعلق بالصلاة والمحافظة على مواقيتها.... فالتأخير فيها كان يرهب ليلى؛ لاعتقادها بأن الصلاة هي السبيل الوحيد لرضا ربنا عليها...

وفي مرة من المرات، كانت عمتها في المستشفى واتفقت مع والدها أن تذهب معه لزيارتها، وكان والدها قد أخذ موعدًا من الطبيب المسئول عن العناية المركزة حتى يفهم الحالة، وفعلًا مرَّ عليها الأب، وقابلته عند مدخل البيت، وسألته: «حضرتك صليت الضهر يا بابا؟».

الأب: «أيوه، الحمد لله».

ليلى: «طيب أنا هَصلي وآجي لحضرتك».

الأب، وهو يعلم مدى تأخرها في الصلاة: «ليلى... أنا عندي ميعاد وعمتك تعبانة.. صلي الظهر بس ماتصليش السنن... إحنا مش فاضيين يا بنتي»..

طبعًا، تجاهلت ليلى تمامًا كل ما قاله أبوها ومشيت في اتجاه حجرتها لتصلي؛ وهي تستغفر الله مما طلبه منها أبوها، وكأنه نهاها عن الصلاة من الأساس.

وانتظر الأب خارج البيت في العربية، وعندما شعر بالملل من الانتظار، اتصل بها ولم ترد على تليفونها المحمول، ثم اتصل بالبيت وردت عليه إيمي، وسألها عليها وذهبت بالسماعة لتفقدها، وردت على الأب بأن ليلى تصلي.. وبعد دقائق أعاد الكرة مرة أخرى، وكانت سوكيروا هذه المرة التي ردت عليه، وأبلغته بالكلام نفسه، وهو أن ليلى مازالت في الصلاة، وقرر الأب أن يدخل إليها بنفسه، ويصعد إلى غرفتها لأنه انتابه القلق، فلم يجد مبررًا لتأخيره عن موعده مع الطبيب، أو حتى موعد الزيارة!!!

وبالفعل، ذهب الأب مباشرة إلى غرفتها، ووجدها تصلي في منتهى الهدوء وانتظرها إلى أن انتهت، وقال لها بحدة: «إيه ده كله يا ليلي؟!».

ولم ترد ليلى، وإنما بقيت على السجادة تسبح على صوابعها، وهي في منتهى التوتر...

ونادى عليها مرة أخرى بطريقة أشد حدة: «ليلي!!».

ليلى بهدوء، وهي تقوم من السجود: «إيه يا بابا؟؟؟ فيه إيه؟».

الأب: «فيه إن عندنا معاد مهم... فيه إني بنده عليكي، وإنت مش بتردي.. فيه إني قلت لك صَلِّي الظهر بس، ودلوقتي داخلين في ساعة إلا ربع، وكأنك كنتي بتصلي التراويح.. فيه إنك خلَّصتي وأنا بنده عليكي، وبرضو مش بتردي وبتكملي تسبيح... عاوزة إيه مستفز أكتر من كده؟».

ليلى بحزم مؤدب، وهي بتلبس طرحتها: «يعني أرد على حضرتك، وأنا بَصَلي؟ وبعدين التسابيح بعد الصلاة من تمام الصلاة... أرد إزاي؟».

الأب، وهو يسير، وهي تجري وراءه في اتجاه باب الخروج: «حتى ولو الكلام ده مظبوط، وفيه ضرورة وأبوكي بينده لك يبقى طاعته أولى من التسابيح، ومن النوافل كمان»..

ركبت ليلى العربية مع أبيها والسواق، وهي بتفكر في كلام أبيها... كانت ليلى تعلم أن أباها متدين ومطلع وقارئ وفاهم في الدين جيدًا، واستغربت من استرسالة في الكلام، حتى بعد أن ركبا العربية في اتجاه المستشفى.

الأب: «إنت عارفة يا ليلى إن العلماء اجتمعوا على أن الأب والأم لو كانت صحتهم مش كويسة، وماعندهمش حد ثقة ياخد باله منهم، يبقى مفيش وزر عليهم لو منعوا ابنهم من السفرللحج؟!».

ليلى مستغربة: «إزاي بقى يا بابي... لأ طبعًا»..

الأب بحسم: «لأ؟؟؟!!! طيب أبقى اسألي الأساتذة بتوعك، وإنت تعرفي قبل ما تقولي لأ لأبوكي؛ خصوصًا وإنت عارفة إنه راجل مش بيجيب الكلام من عنده... أما بقى بالنسبة لصلاة السنن يعني النوافل، فياريت تبقي تسألي وتعرفي إن إجابة الوالد أو الوالدة أفضل من التمادي فيها والانتهاء منها... وعلى فكرة يا ليلى أولى بك أن تتعلمي في الجمعية حاجة اسمها «فقه الأولويات!».

وصلت ليلى مع أبيها إلى المستشفى وقابلا الدكتور الذي كان على وشك الرحيل، واستفهما منه عن الحالة، وإن كانت ليلى منشغلة أكثر، فيما قاله لها أبوها في العربية.

عندما وصلت ليلى إلى البيت، اتصلت تليفونيا بالحاجة وحكت لها عما حدث، وكان رد الحاجة: «ماشاء الله على بابا يا ليلى... عنده علم ومتفهم... وده بقى المبرر اللي يخليكي تفضلي زي ما أنتي ما تتغيريش؛ لأنه مهما هاجمك هيتفهم موقفك!».

ليلى: «إزاي يا حاجة؟ يعني إيه أفضل زَي ما أنا؟!»

الحاجة: «يعني هو في قرارة نفسه هيبقى سعيد بيكي بسبب علمه ومعرفته وتقواه، ولكن ممكن يهاجمك ظاهريًّا بس... إنت على الطريق الصحيح يا ليلى ماتقلقيش»..

وبقدر ما أندهشت ليلى مما قالته الحاجة.. زادت ثقتها بنفسها، وصممت على تكملة الدور الذي تعيش فيه..

من ضمن الأشياء التي بدأت ليلى في تطبيقها في الفترة الأخيرة بمنتهى الانتظام، كانت الورد اليومي الخاص بها، وقراءة القرآن التي كانت تترك كل ما كانت تقوم به لتذهب لتتوضا وتصلي ركعتين، وتظل بإسدال الصلاة لتقرأ في القرآن الكريم.. وتسبب هذا التشدد في كثير من الجدال والاشتباكات البسيطة

بينها وبين كل من حولها؛ خصوصًا خالد!

وفي مرة، قال خالد لها: «هي إيه الإجراءات دي كلها قبل قِراية القرآن؟».

قالت له، وكأنها تخبره بمعلومة ذرية: «أولًا اسمه قرآآآن زي آن الأوان كده.. ثانيًا لا يجوز إني ألمس المصحف، إلا وأنا متوضية.. ثالثًا لا يجوز إني اقرأ القرآن إلا وأنا بكامل حجابي»..

اندهش خالد جدًّا، وقال لها: «مين الأهبل اللي قال لك كده؟».

صرخت ليلى وقالت له: «ماتغلطش يا خالد.. دي...».

فقاطعها قائلًا: «بس ماتكمليش... الكلام ده مش مظبوط بالمرة... ده لو كل واحد علشان يقرا في المصحف، لازم يبقى على وضوء، ولابس لبسه الشرعي، يبقى مفيش حد هيمسك المصحف أصلًا!!».

قالت له بتحدٍّ: ««لا يمسه إلا المطهرون» يا أستاذ»...

رد بتحدٍّ أكبر: «دول المقصود بيهم الملايكة، و«الكتاب المكنون» مقصود بيها المكتوب اللي في اللوح المحفوظ..... ودي «لا» الجازمة مش «لا» الناهية، وإلّا كان أي حد حب يهد الدين، كان راح تحدى الآية ومسكه...

ليلى مندهشة: «أنت بتجيب المعلومات دي منين يا خالد؟! يعني ممكن الحائض تمسك المصحف بقى»..

خالد: «طبعًا تمسكه، وأغلبية العلماء قالوا كده، وتقرأ فيه كمان»..

ليلى: «إيه اللي أنت بتقوله ده؟؟؟ طبعًا ماتمسكوش إلّا لو فيه ضرورة، ويكون بحائل، وتقلب الصفحات بكليبس مثلًا، أو تبقى لابسة جوانتِ وكمان»...

خالد: «ماتكمليش... الكلام ده غلط... يعني الحائض لو مثلا متضايقة وعايزة تقرا قرآن تعمل إيه؟؟؟ الحائض طاهرة يا بنتي»..

ليلى: «الّلي متضايقة تقرا من الآي باد أو الموبايل، أو تحط حائل بينها وبين المصحف، وتبقى لابسة جوانتي.. لكن من غير لمس مباشر»..

خالد: «ده كتاب زي كل الكتب يا ليلى ... زيه زي الأيباد والموبايل... وياريت تقوليلي.. من قبل الآيباد والموبايل، كانت تقرا منين؟».

ليلى: «كانت تبقى حافظة يا بيه... لازم تبقى حافظة للقرآن»..

خالد: «ياسلام!!! وإنتِ حافظة إيه بقى إن شاء الله... الحفظ فرض كفاية يا ليلى مش فرض عين... الدنيا لو هتتعقد كده، يبقى مافيش حد هيقرا قرآن، أو يعمل أي حاجة لربنا».

ليلى: «ده إيه ده يا سي خالد... ماتيجي نظبطلك يوم وتدرس في الجمعية»..

خالد: «والله إنت اللي باين الجمعية دي هتوديكي سكة اللي يروح ما يرجعش.. ربنا يستر!».

وأشار لها باصبعه محذرًا: «ومش هَسْمحلك تتريقي يا ليلى... أنا هَعَدِّيها بس علشان عارف إن حجتك على قدك»...

وتركها وخرج، وكان هذا بداية الصدامات المباشرة بين خالد وليلى...

وبدأ الروتين اليومي نفسه لليلى يتكرر، ووصلت في يوم إلى الجمعية، وكانت قد بدأت تساعد بشكل رسمي في ترتيب الأوراق؛ خصوصًا المتقدمات، وتقوم بفرز الأسماء، التي غالبًا ما كانت تعرفهم شخصيًّا، وتحدد من سيتم قبولها ومن سيتم رفضها، ومن سيتم تأجيلها إلى الدورة الدراسية القادمة... وكانت ليلى قد فهمت طريقة تفكير الحاجة سامية تمامًا وأسلوبها في من تقبل دخولها في وسطهم، ومن تثق في بقائها في الجمعية، ومن ترفض وجودها أو «هكذا اعتقدت» أنها تعلم تمامًا ما تريده الحاجة... وقاطع عملها رنين تليفون الجمعية، وكانت المكالمة من الحاجة تسألها عن إحدى الطالبات في الجمعية، وكانت المكالمة كالآتي، بعد أن ردت السكرتيرة، وأعطتها التليفون مشيرة إلى أن الحاجة سامية على الخط..

ليلى: «السلام عليكم يا حاجة»..

الحاجة: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا حبيبتي، إزيك؟».

ليلى: «الحمد لله»..

الحاجة: «قوليلى يا ليلى... إنت فاضية ربع ساعة؟».

ليلى: «ممكن... أنا برتب أوراق القبول، يعني ممكن أكملها وقت تاني... حضرتك عايزاني أعمل لك حاجة؟!».

الحاجة: «صراحة آه يا حبيبتي... معلش بقى إنت عارفة أن أنا بثق فيكي إزاي»...

ليلى بفخر: «اتفضلي يا حاجة، خير؟!».

الحاجة: «فيه واحدة اسمها سها السعيد، هتيجي دلوقتي تسأل عليّا، ولما هيقولولها إني مش موجوده هتسأل عليكي وهتقول لك إن فيه موعد بيني وبينها... من فضلك هاتيها البيت عندي من سُكات كده، ومن غير حد ما يحس بيكي، ولا يعرفوا في الجمعية إني مش جاية النهارده»..

ليلى، وهي سعيدة بالثقة الممنوحة لها من الحاجة: «حاضر يا حاجة، طبعًا بس أنا معرفش بيت حضرتك!!! يدوب بس أعرف إنه في أكتوبر!».

الحاجة: «إنت بس اِوْصلي أكتوبر، وخلَّصي المحور وكلميني وأنا هَوجِّهك... بس مش هَوصِّيكي بقى».

ليلى: «لا، طبعًا يا حاجة... على طول أول ما توصل إن شاء الله».

الحاجة: «تسلميلي يا حبيبتي... جزاكي الله كل الخير».

ليلى: «جزاكي الله أكثر».

وبالفعل، ظلت ليلى تكمل ما كانت تفعله من ترتيب أوراق وأسماء، وهي سعيدة بثقة الحاجة وبائتمانها على خصوصياتها، وبعد أقل من 10 دخلت سيدة في منتصف الأربعينيات في منتهى الرقي والشياكة... مرتدية حجابًا ملتزمًا جدًّا، وهو عبارة عن عباءة سوداء أنيقة جدًّا وشنطة وحذاء ونظارة بألوف الدولارات؛ لتسأل عن ليلى.. ذهبت ليلى إليها مرحبة، وسألتها: «حضرتك مدام سها السعيد»..

ردت السيدة بمنتهى الهدوء: «أيوه.. الحاجة مش موجودة ولّا إيه؟».

ليلى بثقة وهدوء: «الحاجة سايبة خبر أول ما حضرتك توصلي هنا، تروحيلها في البيت، لأنها مش هتقدر تتواجد في الجمعية النهارده في الوقت ده»..

سها: «أوك.. مفيش مشاكل... أنا فاضية»..

وفعلًا، قادتها ليلى إلى باب الخروج، متجهين إلى سيارة ليلى، ولكن سها عرضت عليها أن يذهبا معًا بسيارتها والسائق موجود؛ توفيرًا لجهد ليلى، ولكن ليلى آثرت أن تذهب هي بسيارتها، وبالفعل استقلا سيارة ليلى، ومشي خلفهما سائق سها، وقد كان هذا اقتراح ليلى؛ حتى تتحرك كل واحدة بحرية، في حين أرادت أن تظل مع الحاجة وقتًا أطول من المفروض، أو تذهب إلى بيتها.. وفعلًا لم تكن تريد أن تتأخر عن الأولاد وعن الذهاب إلى البيت.

وبالفعل، عندما اقتربت ليلى من المنطقة، اتصلت بالحاجة التي قادتها إلى الكومباوند، التي تسكن فيه، وكان من دواعي استغراب ليلى أنه من أرقى المنتجعات في مصر؛ لأن الحاجة لم يظهر عليها أبدًا أنها من محبي التباهي والترف، بل وكانت دائمًا تنهي عنه وإن كانت ليلى قد أوجدت للحاجة العذر في أنها لم تصرح أبدًا بمكان سكنها أمام أحد، أو حتى تذكره مع أنهم من فتره كانوا قد حضروا درسًا هناك!

وبالفعل وصلت ليلى وسها، ودخلتا وفتحت لهما الباب خادمة فليبينية قادتهما إلى بهو واسع أنيق وبسيط.. وكلما خطت ليلى خطوة، ازداد استغرابها من الترف والفخامة والحياة الرغدة، ولكنها لم تستنكر ما رأته أو تنتقده، فالحاجة لم تذكر أبدًا بيتها، ولم تدع إليه أي من تلميذاتها.. وأعطت الحاجة العُذر بأنها لا تريد «المنظرة» أمام تلميذاتها!

وقدمت إليهما الحاجة على الفور، قادمة من الدور العلوي، وانبهرت بها ليلى وكأنها تراها للمرة الأولى... كانت ترتدي عباءة إماراتي مشغولة، سوداء شفافة من على الأكتاف، وبعض أجزاء من الصدر والظهر... وشعرها مهدل على كتفيها بصورة طبيعية ونعومة، وبعض الماكياج البسيط الذي يظهر جمالها ورونقها، الذي مازال موجودًا.. حتى جسدها مازال ممشوقًا متناسيًا سنوات عديدة مرت.. ورحبت بهما الحاجة بشدة وشعرت ليلى بمنتهى الحفاوة منها، وهي تقبلها الثلاث قبلات «على السنة»، كما تفعل دائمًا، وإن كانت شعرت بحب وترحاب

وثقة أكثر من المعتاد.

وبالفعل، تقدمتهما إلى صالون مفتوح على البهو الرئيس وخلفهم الخادمة الفليبينية لتقوم بواجب الضيافة، ولم تسألهم، بل تقدمت بترابيزة على عجل، وعليها طبق من الباتيهات المملحة، ومثله مملوء بالحلويات الشرقية وبراد شاي، وكل أصناف الشاي والسكر العادي والبني والدايت وخلافه... وفي أسفل الترابيزة، كان هناك رف للعصائر..

وأعطت الحاجة للخادمة إشارة برأسها، تطلب منها الذهاب، وهمت بأن تقوم هي بمضايفتهما ولكن سها قاطعتها قائلة: «ارتاحي حضرتك
يا حاجة.. إحنا مش غرب.. اللي عايز حاجة هيقوم ياخدها بنفسه والله.. خللي حضرتك مرتاحة»..

الحاجة: «إنتم مش غرب فعلًا... إنتم في بيتكم»..

ونظرت الحاجة بهدوء إلى سها، وقالت لها: «خيرًا يا سها.. قلقتيني يا حبيبتي!!».

الفصل السابع

الصَّدمات تَتَوالى

وهنا همت ليلى بالقيام والاستئذان، ولكن سها تكلمت بعد أن طمانتها الحاجة إلى أن وجود ليلى ليس به مشكلة، فهي محل ثقة للجميع.. وسعدت ليلى بهذا الإطراء، وظلت صامتة لا تعلق ولا تنظر حتى ناحيتهما، وإنما ظلت تتفقد الإيميلات والواتساب والرسائل على تليفونها المحمول، ولكنها كانت تستمع للحديث بمنتهى الشغف...

سها: «الحكاية باختصار يا حاجة أن ممدوح زوجي عنده ضائقة مالية شديدة وبصراحة أنا فكرت آخد له قرض حسن؛ لأن فيه واحدة مافيش داعي لذكر اسمها يعني شكلها بترسم عليه.. هي مطلقه وقريبتنا من بعيد ومقتدرة جدًّا وعرضت عليه إنها تسدد له الدين ده، بس أنا حاسة كده إن الموضوع وراه موضوع»...

الحاجة ضاحكة جدًّا: «إيه بقى الموضوع يا سها... سيبيها تفك له الدين ياستي.. دي شكلها هتفكهوله على شكل مهر.. يَعْني مش هيرده!!».

سها بحزن ودهشة، وكأن الحاجة تقول حقيقة مثبتة: «يعني أسيبه يتجوز عليّا ويجيبلي ضرة بعد اللي عملتهوله ده كله؟؟ ده أنا واقفة معاه وجنبه في كل حاجة.. استحملت الأهوال لحد ما وقف على رجليه، وبقى ممدوح باشا، ودلوقتي أسيبه يتجوز عليّا؟».

الحاجة مبتسمة وبمنتهى البساطة: ده شرع الله يا سها... ربنا محلل له أربعة، وطالما هيفك كرب كمان، يبقى أولى من إنه ياخد قرض حسن..

سها: «لأ.. بقى... أنا اللي هاخد قرض حسن وأسد له الدين.. وأنا اللي هكتب ورقة القرض على نفسي، وأنا اللي هتعهد بسداده... بس ساعديني حضرتك»..

الحاجة: «كل ده علشان إيه؟؟؟ هيتجوزها بالقرض أو من غير القرض يا عبيطة.. يبقى تدايني نفسك ليه؟ وإنت خليكي واعية وخلي بالك على مالك ومال عيالك»..

سها بحُرقة: «هو خلَّلى لي مال؟؟؟ ما خلاص مالي بقى ماله وضيّعه»..

الحاجة: «خلاص يبقى يعوِّضك عن اللي ضاع، مع إن كل واحدة لازم تقف جنب جوزها، طالما ارتضت بالزواج منه»..

سها، وهي تبكي: «يعوَّضني؟ عن عمري ولا عن حبي وإخلاصي وصحتي؟ وولاده.. يعوضهم عن حنانه إزاي وهم هيبقى ليهم شُركا فيه؟».

الحاجة بحسم، ولكن بإيقاع هادئ: «سها.. كل زوجة لازم تضحي، وتقف مع جوزها تقويه وتنصره.. أمّا ولادك بقى، فماتخافيش عليهم

ولا على حقوقهم.. اللي في سن ممدوح مش هيفكر يجيب عيال.. ومنار عندها ولادها من جوزها رحمه الله.. ومش محتاجة تجيبله عيال، لا علشان ورث ولا علشان تربطه»...

اندهشت سها وليلى من أن الحاجة - وبمنتهى البساطة - وكانها تقصد، نطقت بالاسم الذي لم تذكره سها... «منار».

وقامت سها من مكانها بمنتهى العصبية وقالت: «منار؟! وإنت تعرفي «منار» منين يا حاجه؟!!».

الحاجة: «معرفتي بمنار مش مشكلتك.. وزي ما إنت بتلجئي ليّا في مشاكلك، غيرك بيلجأ ليّا برضو»..

سها غاضبة، وهي تأخذ شنطتها: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. جزاكي الله خيرًا يا حاجة... كتر ألف خيرك!!».

ومشيت ودموعها تتساقط، ولم تلتفت حتى لليلى، التي كانت مندهشة أكثر منها من قوة الحاجة وهدوئها وعلمها بكل ما يحدث، وكأنه لا يحدث دون مباركتها وتعديلاتها..

أفاقت ليلى من الموقف، عندما دعتها الحاجة وقالت: «إيه يا ليلى.. وقفتي ليه؟ إنتِ ما أكلتيش حاجة!!».

ليلى، وهي تقف باستعجال: «شكرًا يا حاجة.. أنا يادوب أمشي بقى.. أنا طريقي طويل لسه»..

الحاجة: «طيب يا حبيبتي.. استودعتك الله»..

ومشيت ليلى بالفعل، واستقلت سيارتها، وهي نفكر فيما حدث، ووجدت نفسها تتصل بنجوى «حماتها» وذهبت لزيارتها..

نجوى: «أهلا يا لولي.. وحشاني والله يا مجرمة.. مالك يا حبيبتي!!».

روت لها ليلى دون تردد ما سمعته من سها دون أسماء، ودون أن تذكر لها اسم الحاجة أو رأيها، وأنهت الحوار بجملة واحدة: «يعني معانا واحدة في الجمعية جوزها هيتجوز عليها علشان مديون واللي هتديله الفلوس هي عايزة تتجوزه».

نجوى بدهشة: «وهي بتحكي لكم كده عيني عينك؟؟؟ إيه الفُجر ده».

ليلى: «لا، مش بالظبط، بس أنا فهمت كده.. هي الست معاها فلوس، وعرضت تسد له الدين بتاعه، وصاحبتنا عرفت إن الست عايزة تتجوزه، وإن جوزها مش ممانع»..

نجوى: «يبقى أكيد في بينهم حاجة.. الراجل واللي عايزة تتجوزه يعني»..

ليلى: «يا جوجا حرام عليكي، دول ناس بتوع ربنا، ومش بتوع الحاجات دي»..

نجوى: «حاجات إيه... هي دي محتاجة تفكير.. يا بنتي اللي زي دول بيحللوا

لنفسهم حاجات كتير مانفهمهاش إحنا.. يعني مثلًا مفيش مانع لزوجة تانية وتالتة ورابعة ويقول لك الشرع محلل.. وهي الست كمان، مش بعيد يكون حد هو السبب إنهم يعرفوا بعض، ويقول لك آخد ثواب إني أعفها، بدل ما هي من غير جواز كده.. وسها دي ولا على بالهم أصلًا.. ومش بعيد كمان يكونوا حاسين إنهم عاملين لها معروف بقضاء الدين، اللي على جوزها، ومش مهم بقى حياتها ونفسيتها وقهرتها وعيالها.. كل دي عوامل خارجية هايفة بالنسبة لهم.. ويا بخت من وفق راسين في الحلال!».

لم تندهش ليلى من كلام حماتها.. فقد كان كل هذا الكلام يدور في عقلها، طوال الطريق من بيت الحاجة إلى أن وصلت إلى بيت حماتها، ولكنها تأكدت، في الوقت نفسه أو لم تكن تريد أن تعترف بأن للحاجة ضلعًا في هذا الموضوع..

وذهبت ليلى إلى بيتها فيما بعد، وأكملت يومها كالمعتاد.

استمرت حكايات ليلى ونشاطاتها في الجمعية، وفي هذه الفترة، كانت الحاجة قد وضعت شروطًا للمتواجدات في الجمعية بالنسبة للمقبولات، ومع تأكيد للجميع بأنه حتى وإن توافرت كل الصفات والمقومات للقبول، فلابد لهم من عرض هذه الأوراق على ليلى؛ خصوصًا بعد أن واجهوا مشكلات كثيرة من صحافيات، سمعن عن الجمعية ونشاطها، وأرادوا القدوم والاستكشاف بأنفسهم، واعتباره كسبق صحفي لهم، فما كان منهم إلا التقديم ودفع مصروفات رمزية ثم القبول.. وتكون الكتابة والمشاكل التي هم في غنى تام عنها..

وفي يوم، دخلت عليهم سيدة جديدة، سمحة الوجه ولطيفة ومبتسمة، سألت على الاشتراكات، وطريقة التقديم للدراسة... وساعدتها ليلى في أن تملأ البيانات المطلوبة، وبالصدفة عرفت منها أنها ابنة جارة حماتها، وكانت ليلى تعرفها والدتها جيدًا من حماتها، وقد سمعت عنها وعن أخلاقها وأهلها كلامًا مشجعًا.. وبالفعل ساعدتها على تقييد اسمها في الجمعية، واتفقت معها على الانتظام، وصدّقت على استمارة التقديم الخاصة بها، بأن وضعت إمضاءها عليها، وكأنها تؤكد أنها من طرفها هي شخصيًّا.

هذه السيدة كان اسمها إيمان، عرفت منها ليلى أنها ارتدت الحجاب منذ 3 سنوات فقط، وأنها تتعامل مع الدين بمنتهى الهدوء، وأنها كثيرة السفر؛ ولذلك قررت أن تلتحق بالجمعية وتدرس العلم الشرعي؛ حتى تستطيع الرد على من يهاجمون الإسلام والمسلمين.

أعجبت ليلى بحب إيمان للدين ومنطقها في أنها تريد عزته، والرد على المستفسرين أو المهاجمين بالحجة والبرهان؛ لعلها تكسب ثوابًا وأن تكون قدوة لغيرها، وأن ترفع من شأن الإسلام والمسلمين بعلمها ووسطيتها... ودخلتا إلى الصالة الكبرى في الجمعية في انتظار المعلمة القادمة... رنّ تليفون إيمان،

واستأذنت من ليلى وتحركت بالتليفون...

جلست ليلى في مكان كل يوم، وفجأة ودون مقدمات، وجدت سميرة تقترب منها وتجلس بجوارها وقالت لها: «تعرفي يا بت يا لولا إنت إني حبيتك من لحظة ماشفتك... فيكي حاجة لله كده، مش عارفة هي إيه!!».

ليلى بكسوف وترحاب في الوقت نفسه: «ربنا يخليكي... جزاكي الله خيرًا»..

سميرة: «جزانا وإياكم يا حبيبتي إنت.. إحكيلي بقى إنت متجوزة مين؟».

استغربت ليلى أوي من السؤال... العادي بيبقى إنت عندك ولاد إيه وعندهم كام سنة... في مدرسة إيه... أو إنت بتشتغلي ولا لأ... لكن السؤال فاجأها وردت عليه، وقالت لها اسم خالد بالكامل، وبيشتغل إيه قبل ما تسألها هي..

سميرة: «ما تستغربيش من السؤال... أصل البت رانيا حبيبتي أوي أوي، وإمبارح كنا سهرانين بنتعشى بره بجوازاتنا طبعًا، وجت السيرة لما قلتلها لازم المرة الجاية تيجي معانا إنت وجوزك، فلازم بقى أعرف مين جوزك، قبل ما أعرفه بجوزي ولّا إيه؟؟؟».

ودي كانت مفاجأة تانية لـ«ليلى» في اللحظة نفسها... كيف تكون هذه التحذيرات من رانيا لليلى عن سميرة، وهي أصلًا صديقه لها، لدرجة خروجهم بأزواجهم؟!!!

وبالفعل وصلت رانيا وفوجئت بهما جالستين مع بعضهما، وظهرت على وجهها المضايقة، وقالت: «خيرًا إن شاء الله»..

تجاهلتها ليلى تمامًا؛ خصوصًا وأن إيمان كانت قد انتهت من مكالمتها الهاتفية... وقامت ليلى بتعريف إيمان على سميرة ورانيا، وعرفوا من السكرتارية أن المعلمة التي من المفروض أن تحضر، اعتذرت لظروف عائلية طارئة، وأن الحاجة في الطريق إليهم الآن..

بقدر ما كثرت الأفأفة حولهن من الانتظار، إلا أنهم كن سعيدات بقدوم الحاجة.. تحرك منهن جزء كبير، وانتقلن إلى الكافيتريا الخاصة بالجمعية لشرب النسكافيه والشاي وأكل بعض الساندويتشات وخلافه... ودخلت معهن سميرة التي قامت بتعريف جميع الموجودات بإيمان، وقالت وهي تضحك: «يا بنات... دي إيمان... دي بقى الوجه الجديد... لسه طازة!!!».

وفجأة نظرت واحدة من الموجودات المنتقبات إلى إيمان جيدًا، وسألتها، وكأنها تعرف الجواب مسبقًا: «إيه الغويشة اللي إنتِ لابساها دي؟».

وكانت إيمان ترتدي غويشة رفيعة في يدها..

إيمان: «دي اسمها السابونا.. ودي نصحني بيها واحد صاحبنا؛ علشان كان عندي ألم في ضهري، وعرفت إنها بتمد الجسم بالنحاس اللي ناقص في الجسم»..

ردت المنتقبة: «خلي بالك ... اللي إنت عاملاه ده شرك!!!».

ردت إيمان بعفوية وفزع: «إيه؟ أنا؟ شرك يعني إيه؟ يعني كفر؟ أنا؟!».

ردت المنتقبة بثبات وغلظة: «طول مإنتِ حسة إن الغويشة دي بتشفيكي يبقى شرك... طول ما إنت متخيلة إنها السبب في تحسن صحتك يبقى شرك»..

ردت إيمان: «طيب ماهو الدوا كده يبقى شرك... ولا إيه؟!».

ردّت إحدى المنتقبات الأخريات، وقالت: «لأ، الموضوع مختلف... إنت جايباها علشان حد حكالِك عليها ولا جبتيها منين؟».

ردت إيمان: «وده إيه الفرق؟ مش المهم الاعتقاد وإنّي بتحسن ولّا لأ؟».

ردت المنتقبة بسيل من الأسئلة بطريقة استفزازية، وهي تاخد «شربة» من كوباية النسكافيه اللي في إيدها: «يعني دكتور معين وصفهالك؟ جايباها من الصيدليه؟ معاكي «حتى» روشتة بتاعت حد، وبتكرريها بعد ما لقيتي الحد ده اتحسن؟»...

ردت إيمان ببراءة: «إيه الأسئلة دي كلها؟؟؟ كل ده علشان غويشة؟؟؟».

ردت المنتقبة الأولى بمنتهى القوة والثقة: «خلاص.... مادام بتقولي عليها مجرد غويشة... اقلعيها»..

إيمان: «ولو ماقلعتهاش، أبقى كافرة»..

ردت سميرة: «لأ، يا إيمان... بس كل دي درجات ممكن يجوز بيها إنك تلبسيها... من غيرها لا يجوز، وتقعي تحت مسمى المشركين»..

ردت إيمان بصدق وحزن على دينها: «أنا ماشترتهاش من صيدلية، ولّا دكتور كتب لي بيها روشتة ولا»....

وقبل ما تكمل، قاطعتها الاثنتان المنتقبتان في الوقت نفسه وقالتا: «خلاااااص يبقى لا تجووووووووز!!!».

وأكملت سميرة: «وإنت يا إيمان ليه تحطي نفسك في مجال شك؟ النبي عليه الصلاة والسلام قال «تجنبوا الشبهات»..».

إيمان بسلامة النية نفسها: «وإيه الشبهات في إني ألبس غويشة في إيدي للروماتيزم وآلام الظهر والمفاصل؟».

ردت إحدى الموجودات، وكانت هادئة ومستمعة من البداية، موجهة كلامها لإيمان:

- «بصي يا حبيبتي... إيمان مش كده؟».

هزت إيمان رأسها بالإيجاب.

أكملت السيدة بالهدوء نفسه: «فيه حاجات لا علينا في التعامل معها غير

السمع والطاعة، وإلّا يبقى والله العياذ بالله فجر وفسق، بل وشرك بالله تعالى.. الحاجات اللي بتتلبس دي وزيها مواضيع الطاقة وغيرها كلها أسباب لم يأمر بها ولم يذكرها الله سبحانه وتعالى... فالتعلق بها والاعتقاد فيها شرك والعياذ بالله... وماتزعليش منهم... هم غيرانين على دينهم
مش أكتر».

إيمان والدموع تملأ عينيها: «وأنا كافرة بقى، ومش غايرانة على ديني؟».

السيدة نفسها: «مين قال كده... إنت بس مش فاهمة.. أقلعيها وأرميها حالا واثبتي حسن نيتك، وأن الله هو الشافي المعافي، وشوفي هيحصل إيه!».

بالطبع، كانت ليلى متفرجة كالمتفرجين في ملاعب التنس... رأسها يذهب يمينًا ويسارًا مع المتحدث... ولكنها كانت مندهشة ومفزوعة بما ترى وتسمع..

فجأة، وقفت إيمان، وكانت ليلى جالسة بجوارها، فسألتها: «رايحة فين يا إيمان؟».

ردت إيمان: «هَصَلِّي».

ليلى: «تاني؟ هتصلي إيه بقى، ما إحنا صلينا جماعة، وبعدين إنت صليتي تاني... هتصلي إيه بقى دلوقتي؟».

إيمان، وهي تبكي: «هصلي استخارة يا ليلى... أنا مش مبسوطة ومش محتاجة حاجة تنغص عليّا حياتي في ديني كمان... كل واحد عنده من المشاكل ما يكفيه، وزيادة»..

ثم تركتها وأخذت شنطتها، وخرجت لتصلي، ولم تعد مرة أخرى!!!

أحست رانيا بالتوتر في المكان من حولهم، فأخذت ليلى من يدها، وقالت لها: «ياللا يا ليلى، الحاجة سامية هتبدأ»..

وخرجتا من الكافيتريا، وانتهزت رانيا الفرصة في أن تزيل التوتر من ليلى وتشغلها، فسألتها: «هي سميرة كانت بتقول لك إيه؟».

ليلى، وهي مازالت شاردة الذهن، تفكر في إيمان: «سيبيني شوية يا رانيا.. مش عاوزة أتكلم في أي حاجة دلوقتي!!».

ورجعت الأخوات كلهن من الكافيتريا، وجلسن في أماكنهن، وكانت الحاجة سامية قد وصلت وجلست في مكانها.. وكالعادة بدأت بالبسملة، وقبل أن تبدأ الدرس كانت هناك ورقة مطوية على المكتب، لونها أزرق؛ مما أوضح لليلى أنها مقطوعة من الكراسة الخاصة برانيا... قرأتها الحاجة بمنتهى العناية، ثم طوتها مرة أخرى ووضعتها في شنطتها!

أخذت الحاجة نفسًا عميقًا دون أن يظهر على وجهها أي معالم لما قرأته في الورقة، وإنما ظل وجهها جامدًا بلا ملامح، وقالت: «السلام عليكم حبيباتي.. النهارده إن شاء الله هتكلم معاكم عن موضوع التبرك.. والتبرك بما لم يرد فيه

دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، يعتبر بدعة كأن يتبرك الإنسان بملابس معينة أو سبحة يضعها في يده أو شيء يرتديه، مقتنعًا أنه وسيلة لشفائه من مرض وما إلى ذلك... وهذا من الشرك الأصغر؛ ويؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر!».

وهنا أدركت ليلى أن الورقة التي كانت على مكتب الحاجة ليست إلا ملخصًا سريعًا لما حدث في الكافيتريا مع إيمان!!! وشرد عقلها، تاركة الحاجة تتحدث، دون أن تسمع شيئًا بالمرة، وتساءلت في نفسها: من له المصلحة في نقل كل كبيرة وصغيرة بهذا الشكل وهذه السرعة؟ أم هي أوامر الحاجة؟! أهو واجب أن تعلم الحاجة كل ما يدور في الجمعية؟! ألا يعد هذا نوعًا من التجسس أو الغيبة أو نقل الكلام؟ أم هو مجرد إبلاغ الحاجة بما يتم في غيابها؟!

وأكملت الحاجة: «التبرك بكافة أشكاله حرام.. وكذلك زيارة قبر الأولياء الصالحين وآل البيت.. حتى التبرك في الطواف لا يجوز فقط إلا بتقبيل الحجر الأسود لرؤية النبي ﷺ يقبله.. منع هذا التبرك من باب سد ذريعة الشرك والفتن.. وكذلك الأمر بالنسبة للتطير «التفاؤل والتشاؤم» لمن يسعد عندما يرى شيئًا أو شخصًا معينًا أو يتشاءم كما هي العادة عند رؤية قطة سوداء أو يفضل رقمًا زوجيًّا عن رقم فردي، و.. وأشارت إلى أن المؤمن لا يتطير، وإنما يتوكل على الله سبحانه وتعالى

وكان حديث الحاجة في هذا الدرس عن التبرك والتطير في منتهى القوة والحكمة، وبالطبع أسعد المشجعات، اللاتي كان لهن الفضل في هروب إيمان من الجمعية على ألا يحملن أنفسهن أي ذرة إحساس بالذنب لما حدث..

عادت الأمور إلى سياقها الطبيعي، ونسيت ليلى ما حدث في الجمعية، في هذا اليوم.. كما تناست أشياء كثيرة مشابهة مما يحدث حولها، وبدأت رحلتها في الحياة الجديدة وفي الدروس شبه اليومية، وبدأت حياتها في تغيير تدريجي دون أن تقصد، وكانت ترى تشددات كثيرة، ولكنها كانت تتعمد تجاهلها وعدم التركيز فيها، اعتقادًا بأن كل هذه التشددات من أجل حياة أفضل، وللتقرب من الله سبحانه وتعالى، وكانت دائمًا ما تجد لنفسها ولهم المبررات لكل تصرف يحدث أمامها، أو حتى تسمع أنه حدث
ولم تراه...

في مرة من المرات، كانت ليلى عند أحد المعارف من الجمعية، وكان هناك درس. ولكن قبل وصول الحاجة، كان الكلام واللغط واللت والعجن تمامًا كما يحدث مع من كانوا يطلق عليهن الشللية، بل وأكثر منهن.. وتنبهت يومها على إحدى الموجودات، وهي تقول لهم قبل بداية الدرس مباشرة: «كفارة المجلس بقى يا جماعه ماتنسوش!!».

فجأة، وجدت ليلى جميع الحاضرات يرددن دعاء «سبحانك اللهم وبحمدك

أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك» وقد كانت هذه هي أول مرة تستمع فيها إلى هذا الدعاء.. وهو دعاء كفاره لكل ما قيل من نميمة وغيبة في المجلس الذين يجلسون فيه!!...

وتصل الحاجة أو الداعية ويبدأ الدرس وكأنهن بريئات، لم ينطقن أو يتفوهن بكلمة تخص إحدى الغائبات أو حتى الموجودات! حتى بعد الدرس، وفي مرحلة فرد السفرة ووضع الأكل والخادمات الفليبينيات أو السيريلانكيات أو الإندونيسيات.. ويبدأ الحديث عن الشغالة والمخدماتي، ثم ينتقل الحديث عن الطعام المقدم، وما إذا كانت سيدة البيت هي من قامت بالطبخ، أم استعانت بطباخ، ومن أين أتت به أو الأكل من الأصل من مكان ما ومن المتعهد وخلافه؛ بالإضافة إلى أحدث الماركات من الأحذية والشنط والطرح والعبايات وغيره كمقدمة للغو؛ حتى تصل كل واحدة منهن إلى صديقتها المقربة، ويبدأ الكلام الخاص سواء عن الأولاد أو عن الأزواج والشكاوى والانتقادات. وقد انتبهت ليلى إلى أن واحدة منهن دائمة الشكوى من زوجها، ولكنها في الحقيقة سعيدة جدًّا، ولكنها «بتخزي العين»؛ أي تخاف من الحسد فتشكو من زوجها، حتى لا تصبح الوحيدة التي لا تشكو!!!.. وأسئلة واستفسارات لا حول وقوة لها حتى ينتهي الدرس، وتنزل كل منهن إلى سيارتها وتعود إلى بيتها...

ليلى في هذه الأثناء كانت - وعلى عكس ما اعتادت من وقت زواجها بخالد قد توقفت عن السفر معه - وكانت تنتهز الفرصة لتقيم درسًا أو اتنين في منزلها... وفي أول مرة، تركت الأولاد عند أمها تحت إشراف أبيها وكانت أمها وحماتها ونهى صاحبتها بالطبع موجودين، ولكن نهى لم تشعر بالراحة من الدرس، وقالت لليلى إن بيتها مفتوح للأولاد في أي وقت، أرادت أن يكون عندها درس في بيتها؛ لأنها لن تحضر مرة أخرى!!!

وطبعًا في المرتين، كانت ليلى تبذل قصارى جهدها لتزيين البيت وتعطيره بالبخور والمسك، وكان عندها صندوق قديم أنتيك لجدتها، وكانت تتركه مفتوحًا على الأرض ممتلئًا بسجاجيد الصلاة والإسدالات.. وتنافس نفسها في تقديم أرقى وأشهى المأكولات والمشروبات وكل ما لذ وطاب.. وكانت تشعر بمنتهى السعادة والفخر، عندما يشكرها الجميع على حسن ضيافتها واستقبالها لهم.

وبعد فترة، تمت دعوتها إلى حفلة في بيت واحدة من زميلاتها، وكانت قبلها في الجمعية، وانتهزتها ليلى فرصة للاعتذار؛ لأنها دائمًا كان عندها تخوف من رفض خالد من الخروج المتكرر، وانشغالها بالجمعية وأعضائها بالإضافة إلى الحاجة سامية نفسها، مع العلم بأنه نادرًا ما كان يعترض أو يتابع تحركاتها، أو حتى يسألها عن موعد رجوعها، ليس من باب التجاهل وإنما من باب الحب والثقة المتبادلة... وعندما تواجدت مع الحاجة، كانت معها رانيا وسميرة، وبالطبع كانت الجمعية مملوءة، فقررت أن تبلغهم باعتذارها؛ لأنهم ابتدوا يدوها دور في الحفلة... هتعدي على مين وهتجيب إيه معاها، وحاجات كده، فانتهزتها فرصة؛

خصوصًا وأنها ماكانش عندها فكرة لسبب الحفلة أصلًا، فسألت الحاجة: «هي حفلة بمناسبة إيه أصلًا؟».

ردت الحاجة بفرحة: «دي نيڤين زميلتكم انتقبت.. الحمد والشكر لله، وكأن ربنا حب يكافئها، فبنوتتها كمان اتحجبت»...

ردت ليلى بهدوء: «معلش يا حاجة، بس أنا مش متأكدة إني هقدر آجي»..

سكتوا كلهم، وردت الحاجة: «ليه يا ليلى خيرًا؟ المناسبة مش أد كده ولا إيه؟».

ليلى: «لا.. والله أبدًا... أنا أصلي خايفه بقى بصراحة إن خالد يبتدي يتزرزر... الجمعية الصبح والحفلة بالليل، وكده هقضي طول النهار تقريبًا بره البيت، والولاد بقى مش متعودة أسيبهم كل الفترة دي»..

الحاجة: «لا يا حبيبتي، بصراحة أنا كمان جالي أكتر من اعتراض على ميعاد الحفلة لنفس أسبابك، بس من غير «زرزرة خالد»، وعلشان كده كنت بفكر أخلِّي الحفلة دي بدل ما تكون بكره، تبقى إن شاء الله بعد بكره، وتبقى الضهر في موعد الجمعية مش بالليل».

وأكملت الحاجة بثقة: ودي مانقدرش نقول عليها كلمة «حفلة» ده مجلس احتفالي... يعني هيكون فيه درس بعون الله، وبعدين نحتفل بيها على الجهد اللي بذلته... النقاب ده يا ليلى درجة عالية أوي من الثبات والقوة والإيمان والتقوى... والزهد.. مش أي حد يقدر يقدم على الخطوة دي أصلًا.. فاهمة يا «ليلى» يعني إيه محدش يقدر يعرفهم ولا يفرق واحدة فيهم عن التانية، ويقول دي مين أصلًا!!! منتقبات محميات من النظرات والظنون... يااااااااا الله يا رحيم بنا يا رب.. بَحِبَّك»..

اقشعر بدن ليلى، وهي تستمع إلى كلمات الحاجة سامية، وتشاهد حركاتها التمثيلية الرائعة، وكأنها عادت لتمثل فوق خشبة المسرح، وشعرت كما لو أن المشاهدين سوف ينهالون عليها بالتصفيق والهتاف!

وأكملت الحاجة موجهة حديثها إلى الباقيات: «إيه رأيكم يا بنات في الموعد؟ بعد بكره إن شاء الله نتقابل في الجمعية هنا على صلاة الظهر، نصلي ونطلع على هناك على طول»..

ومالت على ليلى، وقالت لها، وهي مبتسمة: «أنا هَرْكب معاكي يا ليلي»..

يومها، استيقظت ليلى كالمعتاد مع خالد والأولاد، ولكن استوقفها خالد قائلًا: «إيه يا حلوة؟؟؟ مش متلهوجة النهارده زي العادة يعني.. خير؟؟؟!».

ليلى بعتاب: «كده برضو؟؟؟ أنا بَتْلَهْوج؟؟؟ يعني عمري كَرْوِتَّك في حاجة؟».

خالد، وهو يضحك لها ضحكة صافية: «تقدري تكروتيني؟ ده أنا كنت قطعتك

حتت.. بس والنبي قوليلى فيه إيه النهارده أجازة، ولا قفلولكم الجمعية خلاص الحمد لله؟؟؟».

ليلى بحزم: «حرام كده يا خالد... قول بسرعه لا إله إلا الله»..

خالد باستغراب: «محمد رسول الله، بس ليه؟».

وتذكرت ليلى ذلك اليوم في الجمعية، عندما كانت تتكلم بصورة طبيعية مع الحاجة، وقالت «والنبي» وكان ردّ الحاجة: «لا يجوز يا ليلى إننا نحلف أو نستحلف حد بغير الله فمادام غلطنا، نقول: لا إله إلا الله وربنا يسامحنا بقى إن شاء الله».

ووقتها ردت ليلى ببراءة: «يا لهوي.... ده أنا «والنبي» دي على لساني على طول.. أمال أقول إيه مكانها؟ دي حتى مافيش كلمة لايقة على المحايلة غيرها».

ردت الحاجة وهي محتوية ليلى جدًّا: «علشان ماتتحايليش على حد بعد كده، غير ربنا يا ليلى.. لأنه لا يجوز الحلف بالنبي عليه الصلاة والسلام، ولا بالكعبة ولا بالأمانة، ولا بحياة فلان ولا شرف فلان.. كل هذا لا يجوز على الإطلاق، بل ويصل إلى درجة التحريم».

وأفاقت ليلى، وكانت تتمنى لو تستطيع أن تسرد كل هذا لخالد، ولكنها خشيت من رد الفعل، واكتفت بأن تقول له: «قول لا إله إلا الله... مش محمد رسول الله... حرام تقول «والنبي» دي خالص»..

خالد: «مش فاهم حاجة»...

ليلى باهتمام، وكأنها تشرح الذرة: «حرام الحلف بغير الله وأنت دايمًا بتردد «والنبي» دي... «والنبي قوليلي» أو «والنبي هاتيلي» أو «والنبي...».

قاطعها خالد بحب، وقال لها: «معقولة يا ليلى؟؟؟ إنت بتتكلمي جد؟ حلف إيه اللي بغير الله؟ وهو أنا حلفت أصلًا؟ زي ما أقول لك ودينك
ولا بذمتك ولا حاجة كده... ماتعقديش الدنيا كده زي ما هم معقدينها..

ليلى، وقد قررت أن تهدئ من الأمر، فاقتربت منه، وقالت بهدوء: «آسفة يا خالد ماتزعلش... أنا بس مش عايزاك تعمل حاجة غلط.. وبعدين كده برضو تقول لي قفلولنا الجمعية؟؟؟ هي بيت دعارة علشان يقفلوه؟ ده مكان لله يابني»..

خالد، وهو يحضنها: «ماشي يا أقوكاتو ليلى... رايحة ولا مش رايحة؟؟؟ علشان لو مش هتروحي حالًا، هاكلم المكتب وأديها غياب النهارده ونقعد نهيص!».

ليلى وهي تتهرب من حضنه برقة: «إيه ده بس يا خالد، أنا متوضية؟؟؟ وبعدين أنا نازلة بس متأخر، مفيش جمعية النهارده؛ لأن واحده من الأخوات...».

قاطعها خالد: «واحدة من إيه... الأخوات؟؟؟ مالك بتتكلمي زي بتوع نشرة

الأخبار اللي في الجزيرة كده؟؟؟».

ليلى: «خلاص، مش قايلة حاجة»..

خالد: «خلاص، خلاص قولي يا أخت... والنبي أنا وإنت اللي هنقلب إخوة وأخوات قريب».

ليلى: «تاني «والنبي» دي؟؟؟ لا إله إلا الله بقى»..

خالد: «خلاص خلاص... قولي»..

ليلى: «واحدة من اللي بيحضروا معانا انتقبت وبنوتتها اتحجبت، وعاملة درس في البيت عندها، والحاجة هتحتفل بيها».

خالد: «ياعيني على جوز الأخت بتاعتكم دي... تو إن وان؟!! «اتنين في واحد» ؟!! مراته اتنقبت وبنته اتحجبت؟؟؟ الاتنين شوطة واحدة كده؟ ده ليه الجنّة»..

ليلى ضاحكة: «اسمها انتقبت مش اتنقبت... اتنقبت يعني عملت عينيها.. اتخرمت».

خالد: «أيوه أيوه... وانتقبت يعني عملت خرم في الطرحة... أصل فيه فرق أصلًا... إنتم باين عليكم اتهبلتوا... والحفلة دي فين بقى وإمتى إن شاء الله؟».

ليلى: «في بيتها... هنتقابل في الجمعية على صلاة الظهر، نصلي ونطلع على هناك على طول إن شاء الله، وهبقى في البيت في ميعادي العادي، بس ماما هتيجي أحسن خايفة الدائري يبقى زحمة واتأخر على الولاد»..

خالد، وهو يتحرك مغادرًا: «مش بحب زيارات البيوت دي يا ليلى؛ خصوصًا لو عند ناس ما نعرفهمش»...

ليلى: «أنا عارفة بس الحاجة جاية معانا... هي جاية معايا في العربية أصلًا»..

خالد: «ماشي، بس برضو خللي بالك... مش بحب حكاية الزيارات دي»..

قبلها خالد وربت على كتفها، وقال لها: «مفيش تأخير ولا قفل موبايلات يا لولي من فضلك.. وعلى فكرة، أنا لما أبوسك أو أحضنك، وأنا ماشي كده، مش معناه إنك نقضتي وضوئك!!!».

وقبل أن تفتح فمها لترد، أخذ شنطته وخرج.

دخلت ليلى وأخذت حمامًا ساخنًا، رغم أنها كانت على وضوء، ولكن الحذر واجب! وعندما خرجت وقفت طويلًا كعادتها في غرفة ملابسها، واختارت عباءة جديدة في منتهى الأناقة، وأخرجت شنطة من الماركات المحببة إلى قلبها، ونزلت متجهة إلى الجمعية.

كانت ليلى معتادة في أثناء قيادتها السيارة أن تنهي مكالماتها الهاتفية، والتي كانت دائمًا تفتتحها بمكالمة مع حماتها ثم والدتها، وغيرهم من أصدقائها، أو متابعة أحوال البيت... وعندما كانت تنتهي من مكالماتها، كانت تقضي الوقت في الاستماع إلى الأغاني بمنتهى الاستمتاع... كما كانت ليلى معتادة أن

تستمع وحدها، أو مع خالد، إلى كل الأغاني التي تعود بهم إلى ذكريات طفولتهم وشبابهم، ولأنهما تقريبًا من سن واحدة، فكانت أغانيهم تعود بهما إلى أماكن المصيف والمدرسة والجامعة أو أغاني أم كلثوم وعبد الحليم وفيروز، وأحيانًا قليلة وردة ونجاة ومحمد فوزي وليلى مراد..

وفجأة اكتشفت ليلى أنها لم تقرأ دعاء الركوب، والذي أكدت عليه إحدى المعلمات، وقالت إنه «بركة الحركة»، ودونه لا يسلم الإنسان من المصاعب والحوادث أينما كان، فأمتدت يدها فورًا لتوقف السي دي، وقرأت الدعاء، وقرأت وراءه الفاتحة والمعوذتين، وكأنها تتأسف لله على نسيانها...وبعدها فتحت فيروز واستمتعت بغنائها مرة أخرى حتى وصلت إلى الجمعية.

دخلت ليلى ووجدت الجميع موجودات، والحاجة على وصول.. وعندما وصلت الحاجة سامية إلى الجمعية، توجهن ومعهن إحدى المعلمات «الحاجة ثريا»، وبالطبع اتجهت رانيا ناحية سيارة ليلى.

الفصل الثامن

الحرام والحلال

دخلن إلى السيارة جميعًا، ولحظة ما أدارتها ليلى، اشتغل السي دي على شدو فيروز، ولكنها فجأة تذكرت مرة أخرى أنها لم تقرأ دعاء الركوب، فأغلقت السي دي على الفور، وقالت دعاء الركوب في سرها..

انتبهت الحاجة سامية، وقالت لها: «بارك الله فيكي يا ليلى».

ردت ليلى: «إشمعنى يا حاجة».

ردت الحاجة سامية: «ماشاء الله عليكي يا ليلى، إنت داخلة في طريق الالتزام بالطريقة البسيطة، وده أسلم دخول.. قفلتي المزيكا، وقريتي قرآن في سرك أو دعاء الركوب، أو أيّا كان، وربنا معاكي يا حبيبتي»..

لم تتردد ليلى في أن تقول لها: «أنا قفلت علشان دعاء الركوب.. ولكن أنا بَسْمع مزيكا وبَسْمع أغاني، وبحبهم أوي.. ومادام مش بيأثروا فيّا يبقى مافيش حاجة، صح؟».

ردت الحاجة ثريا بحسم هادئ: «الأغاني حرام يا ليلى..... ممكن نستمع إلى الأناشيد الدينية الخالية من آلات اللهو؛ أي من الموسيقى والمزمار، وخلافه، وممكن كمان الأناشيد دي تكون اجتماعية أو حياتية، ووقتها إذا كان موضوعها مفيدًا، وأنشدت على الوجه المعروف عند العرب، ولم تكن فيها أصواتٌ فاتنة، تثير الشهوة، فلا بأس بها... أما إذا كانت الأناشيد مصحوبة بآلة اللهو كالمزامير والموسيقى والطبول، أو كان موضوعها موضوع غرام وفتنة، أو كانت الأصوات فيها مغرية مثيرة للفتنة، أو للاستمتاع بالصوت أو أنشدت على تلحين الأغاني الماجنة.. فإنها
لا تجوز».

نظرت ليلى بطرف عينها على الحاجة، ووجدتها منتبهة للكلام ومستمعة... أي إنها لو كانت معترضة، كانت تدخلت في الكلام... ونظرت على رانيا في المرايا، فوجدتها هي أيضًا مستمعة ومستمتعة بما تسمعه..

قطعت الحاجة سامية سيل الأفكار في ذهن ليلى، وقالت لها: «طريق الله سهل، ولكن الوصول إليه صعب والبقاء فيه أصعب يا ليلى... الله يعيننا على أنفسنا».

أكملت الحاجة ثريا، وكأنها تحاضر في درس دين: «ديننا برئ من هذه الأمور... وإنهم يبحثون عن أرق الأصوات وأحسنها جذبًا للقلوب، فيؤتى بها للغناء ويختارون كلامًا ويسمونه بالإسلامي، ولكن صرف النظر عن الكلام والانتباه للصوت المصاحب للطبول والمزمار هو حرام بين ومن تلابيس ابليس!!!».

تدخلت رانيا فجأة، وكانها اكتشفت الذرة: «الأناشيد دي كمان ساعات بتبقى

والعياذ بالله صوفية يا حاجة»...

ردت الحاجة بمنتهى الرزانة، ناهية عن الاستمرار في الحديث: «الاستماع إلى الأغاني بكافة أشكالها حرام ومنكر، ومن أسباب مرض القلوب وقسوتها وصدها عن ذكر الله والصلاة والعياذ بالله... وعمومًا
يا ليلى إحنا بجتهد وربنا يثبتنا!!!».

وسرحت ليلى للحظات في أصدقائها وأصدقاء عائلتها وعائلة خالد الصوفيين والذين تعشقهم من قلبها لصفائهم وصدقهم مع الله والعباد! ورنت في أذنها كلمة رانيا وهي تقول «صوفية والعياذ بالله» ولم تعترض الحاجة، بل ولم تراجعها أو تنهاها عما قالته!! واستغربت جدًّا؛ فهؤلاء الأصدقاء من أنقى الناس وأحبهم للناس دون أي قيد أو شرط!!!

وأرادت الحاجة تغيير الموضوع، عندما شعرت أن ليلى شاردة الذهن، فسألتها عن شنطة ملفوفة لفة هدية شديدة الأناقة، فسألت ليلى: «إيه اللفة الشيك الحلوة دي بقى يا ليلى؟».

ردت عليها ليلى ببراءتها وببساطتها: دول طرحتين كده ألوانهم مفرحة لديما بنت جيجي... أنا كمان أول مرة أدخل البيت، وبدل ما أدخل بإيدي فاضية..

الحاجة: «بنية إيه يعني؟ إنت دلوقتي قلتي كذا سبب لأنك جبتي هدية»..

ليلى: «من غيرنية معينة يعني... لله».

الحاجة: «مش قلت لك يا ليلى تجددي دايمًا نيتك علشان ربنا يرضى عنك ويتقبل منك؟ يعني ممكن تكون بنية إدخال السرور على قلب ديما، أو تآلف القلوب بينك وبين جيجي لأنك أول مرة تشوفيها»...

قاطعتها ليلى: «وليه ماتكونش لله وخلاص؟».

الحاجة مبتسمة: «مفيش حاجة اسمها لله وخلاص يا ليلى... كل شيء وليه سبب؛ لأن النية مهمة يا ست ليلى».

ليلى: «وهي مش النية محلها القلب؟!».

الحاجة: «لازم النية ولازم تجددي نيتك كمان .. يعني تبقى رايحة لمامتك مثلًا تقولي إنك رايحة لوجه الله ولصلة الرحم ولإحياء سنة عن النبي ﷺ، فذلك لإدخال السرور على قلب أمك وأبوكي، ولو لا قدر الله حد منهم عنده بأس (مرض يعني) يبقى بنية عيادة المريض، يعني زيارته وهكذا... لازم تتعلمي التجارة مع الله... هي دي التجارة الرابحة الوحيدة في حياتنا»..

ليلى ضاحكة: «خلاص يا حاجة... خليها بنية الصبر»..

الحاجة: «الصبر؟!».

ليلى، وهي تضحك: «آه بقى.... الصبر على النقاب... والحجاب طبعًا!!!».

نظرت رانيا إلى الحاجة وإلى الحاجة ثريا بطرف عينها، ولكن لم يعلق أحد

منهم على ما قالته ليلى..

وصلوا... وحمدت ليلى ربها أنهم وصلوا، لأنها كانت قد اكتفت من الكلام الذي كان من الصعب عليها تنفيذه، بل كان شبه مستحيل؛ خصوصًا وهي لم تكن مقتنعة، وإن كانت قد حاولت إقناع نفسها..

وكان المنزل كبقية المنازل التي يدخلونها للدروس.. بخور ومأكولات أشكال وألوان، وكل أصناف الشاي والقهوة والمكسرات، وشغالين هنا وهناك وترحيب.. إلخ.. والصوت عالي في أنحاء المكان كله.. فهن مجموعة من السيدات، كان سبب حضورهن الوحيد هو الاحتفال بصديقتهن التي ارتدت النقاب، وابنتها البالغة من العمر 13 سنة، والتي مَنَّ الله عليها بالحجاب أخيرًا، وبالتالي فكل من لها بنت في السن نفسها أو سن مقارب، فهي موجودة في المنزل للاحتفال، وربما لأن تحذو حذو البنوتة وتفعل كما فعلت، وترضي الله وتهدئ من قلب أمها وأبيها وترتدي الحجاب!!!

المذهل بقى بالنسبة لليلى في هذا اليوم، كان البنت التي ارتدت الحجاب.. كان عمرها 13 سنة، وهو عمر هانيا ابنتها نفسه... لم تمنع ليلى نفسها من الفرحة بالبنوتة، التي كانت في قمة سعادتها، وقد التفف صديقاتها وبنات صديقات والدتها حولها بالهدايا وكل منهم تجرب لفة الطرحة، ولكنها في قرارة نفسها كانت تشفق عليهن وعلى طفولتهن، مع أنها كانت تتخيل هانيا وهي مرتدية الحجاب هي الأخرى، وكيف سيكون شكلها!

قطعت رانيا تفكير ليلى، وقالت لها: «مالك!!».

ردت ليلى: «مبسوطة بالبنوتة وضحكتها وبراءتها، ولكن صعبانة عليّا... لسه بدري أوي»..

ردت رانيا: «براءة إيه.. العيال دول يفهموا أكتر مني ومنك، وبعدين بدري على إيه.. أوعى تقولي كده أو حد يسمعك بتقولي كده... ده أمر من ربنا، مادام بلغت يبقى خلاص لازم تتحجب، وهي خلاص جت لها period من شهرين»..

ردت ليلى: «طبعًا إنت بتقولي كده علشان ماعندكيش بنات يا رانيا»..

ردت رانيا: «والله أنا بحمد ربنا إن معنديش بنات.. وإلا كان أبوهم البيه وأبوه الديوث رفضوا طبعًا يخلوني أحجبهم!!».

ردت ليلى بانفعال: «إزاي تتكلمي على جوزك كده، ويعني إيه الديوث دي أصلًا؟».

رانيا: «ماتعرفيش يعني إيه الديوث؟ والله أحسن لك.. بس أكيد هتعرفيه قريب»..

لم ترتح ليلى لطريقة رانيا في الكلام، وكأنها تلمح إلى شيء بعينه..

وفجأة لقوا الحاجة فوق دماغهم وبتسألهم: «في إيه يا بنات خيرا!».

قالت لها رانيا بالتفصيل، ولم تتحرج في أنها تقول لها إنها قالت على زوجها وأبوه ديوث..

ردت الحاجة بهدوء موجهة كلامها إلى ليلى: «أعذريها يا ليلى.. أصلها تعبانة معاهم أوي»..

ردت ليلى بتلقائية وجرأة، فقد كان موقف الحاجة من كلام رانيا هو الذي شجعها: «لأ.. يا حاجة الكلام ده مش مظبوط بالمرة... الناس دول محترمين جدًّا.... أنا صحيح معرفش كلمة «ديوث» دي ولا عمري سمعتها، لكن بصراحة قشعرت لمّا سمعتها منها»...

ردت الحاجة ناهية الحديث: «خلاص مش وقته دلوقتي الكلام ده.. ياللا علشان الدرس هيبتدي»..

وبدأت الحاجة الدرس القصيرعلى شكل دردشة... أسئلة وأجوبة، وكان الموضوع الرئيسي الذي دار حوله النقاش أيضًا.... الديوث! ثم في النهاية هنأت الحاجة البنوتة، والتي سوف تكون بسبب التزامها وحجابها السبب، لأن يكون لأبيها ولأمها بيت في الجنة!

واشتركت ليلى في الحديث والأسئلة، وسألت الحاجة: «هو مش البيت اللي في الجنة ده لمّا حد من العيال «لا قدر الله» يتوفى!!».

ردت الحاجة بابتسامة مقتضبة وحاسمة لتنهي الحديث: «اسمها «يتوفاه الله» يا ليلى مش «يتوفى».. اللهم اجعلنا صحبة صالحة في الجنة إن شاء الله... ويا رب يا ليلى بيوتنا في الجنة تبقى جنب بعض بإذن الله».

وأنهت الحاجة الدرس، واستمعن جميعًا لدعائها، وكالعادة منهن من بكت، ومنهن من كانت تنظر حولها مراقبة لمن تبكي ومن تدعو ومن تخشع، بل ومن تراقب مثلها، وقال الجميع آمين.. وقبل تحركهم من مكانهم، أبلغتهم الحاجة بكم الحالات المرضية لديها في الجمعية، والتي تحتاج إلى مساعدات عدة مثل واسطة عند طبيب، يتولى الحالة بعلاجها أو بالعملية دون أتعاب أو توفير أماكن في المستشفيات، أو التبرع بالأموال، مؤكدة بأن التبرع بكافة أشكاله سيكون أجره عند الله عظيمًا إن شاء الله.

وفجأة اقترحت واحدة من الطالبات المجتهدات على الحاجة اقتراحًا مؤداه: «فاكرة يا حاجة لما كل واحدة فينا اتبرعت بحاجة من حاجتها لله، ثم للمساعدة في الحالات دي؟».

الحاجة: «آه والله يا أسماء... كان يوم جميل، وكأننا كانت تحفنا الملايكة من كل مكان»..

أسماء: «طيب مانعمل كده تاني النهارده، وأهو كله مصلحة وخير للغلابة ولينا برضو... إيه رأيك حضرتك؟ وإيه رأيكم يا بنات؟».

مالت ليلى على واحدة جنبها، اسمها أم أيمن، وكانت متحمسة جدًّا، وقالت

لها: «مش فاهمة.. إنتوا عملتم إيه بالظبط؟!».

أم أيمن: «كل واحدنا فينا اتبرعت بحاجة شخصية من حاجتها، وعملنا في الجمعية زي ماتقولي كده مزاد، والريع اللي طلع عملنا بيه عمليتين كبار، وجبنا كراسي للمعوقين، وحاجات كتير كده؟ ما نعمل كده»...

توهَّجت الموجودات بالموافقة، وكانت هناك اثنتان أو ثلاثة في حالة ليلى نفسها، لا توجد عندهن أدنى فكرة عما يحدث... ولكن فهمن التفاصيل فيما بعد... وعرفن أن كل شيء ممكن التبرع به في هذا المزاد.. وكانت عملية التقييم تتم بطريقة غريبة، فمنهن من تتبرع بخاتم، كانت ترتديه مثلًا وواحدة تقيّمه وأخرى تفتتح المزاد، وتتم المزايدة عليه إلى أن يرسي المزاد على واحدة، وتدفع ثمنه الذي يذهب لله وهكذا!».

وفعلًا بدأن يجمعن أشياء بسيطة من كل الموجودات حتى البنات الصغيرات المحتفلات بالبنوتة، التي ارتدت الحجاب.. ووضعن كل الأشياء على «ترابيزة» كبيرة وبدأن المزاد!!!

ظلت ليلى في دور المتفرجة حوالي ربع ساعة حتى جاءتها جيجي «صاحبة البيت، التي ارتدت النقاب»، وكانت رانيا تقف بجوارها، وسألتها عن طريقة تبرعها!

ردت ليلى: بصراحة مش معايا فلوس دلوقتي تقضي إني أشتري أي حاجة من الحاجات دي..

ردت جيجي: «ولا معاكي حاجة تتبرعي بيها؟!!!».

كانت ليلى دائمًا ما ترتدي الدبلة الألماظ فوق دبلة زواجها، وكانت ترتدي خاتمًا في إصبعها الصغير، وإسورة لولي قديمة تخصها من إرث جدتها، وكانت أمها محتفظة بها لضيق مقاسها، ولأنها ذكرى من والدتها، ولكنها أعطتها لليلى في آخر عيد ميلاد لها..

ردت رانيا بتريقة: «فضِّي شنطتك يا لولي وهاتيها نبيعها، وشوفي بقى هتفتح كام بيت، وتأكل كام جعان!!!».

ليلى: «شنطتك إنت كمان يا رانيا هتعمل شغل... خفِّي عني وعن شششنطي.. زودتيها أوي بصراحة!!».

وقاطعتها جيجي: «بس يا رانيا ما تفتحيش عليها فاتوحة دلوقتي... هاتي الإسورة اللولي دي يا ليلى... دي إيه فضة؟!».

ردت ليلى بحسم مؤدب، وقالت وهي تضحك: «لا.. دي لولي مع دهب أبيض... كانت بتاعت جدتي أصلًا... ماتفكروووش»..

وكانت الحاجة تراقبهم، وكأنها هي من طلبت منهم الذهاب لليلى.. ولأنها كانت قريبة منهم، التفتت ليلى إليها ضاحكة وقال: «يرضيكي

يا حاجة؟؟؟ حوشيهم عني يا حاجة... مقدرش أديهم الإسورة دي بالذات.. دي غالية عليا أوي، وأوعدك يا حاجة بكره إن شاء الله هبعت لحضرتك مبلغ يساعد في أكثر من حاجة».

ردت الحاجة وقالت لها: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ صدق الله العظيم... عارفة يعني إيه؟

ليلى وهي بترددها: تقريبًا... بس دي علاقتها إيه بالإسورة ومعناه إيه؟

نظرت الحاجة للموجودات كلهن، واطمأنت إلى أن الجميع متجمع حولها، وكان الدرس قد بدأ فاطمأنت وأكملت: «يعني في الصدقة أو التطوع، لازم يعملهم المؤمن بتقديم أغلى ما عنده... يعني مثلًا ثواب إعطاء عباية جديدة أكبر وأعظم عند الله من إعطاء عباية قديمة... وكل ما ازدادت قيمة الشيء عند الإنسان ازداد الثواب».

قاطعت رانيا الحاجة وقالت لها: «والشنط الغالية يا حاجة والطرح والهدوم السينييه... موقعها إيه بقى من الإعراب؟».

الحاجة بحزم: «الموضوع مش موضوع تهريج يا رانيا... ليلى وكلكم عارفين ان النبي ﷺ نهى عن التعلق بالأشخاص، فما بالكم بقى بالتعلق بالأشياء... أي شيء؟!».

ليلى: «يعني إيه نَهى عن التعلق بالأشخاص؟!».

الحاجة: «إن محبة الله تستلزم محبة طاعته، والله يحب من عبده أن يطيعه، والمحب يحب محبوبه أن يطيعه، ومن لوازم محبة الله محبة رسوله.. أي أن يحب الإنسان الطاعة ويعملها بحب أما التعلق بالأشياء، فأظن أنه واضح، فإن كان التعلق بالأم والأب والزوج والأبناء والتفكير فيهم والعمل على إسعادهم طوال الوقت، فهذا حرام.. فما بالكم بالتعلق بالاشياء؟!!! والاستغناء فقد ولكنه واجب... ويعني عدم التعلق بالأشياء».

طوال كل هذا الحديث، كانت الحاجة تركز عينيها على ليلى وملامح وجهها المندهشة، وقالت لها: «فهمتي يا ليلى؟؟؟ يعني لازم حبك لله ورسوله يكونوا أقوى وأرسخ من حب أي شخص على وجه الأرض.. زوجك.. أو أولادكم.. أو أمك أو أبوكي «ولله المثل الأعلى طبعًا»..

وكانت الحاجة منتبهة جدًّا لاندهاش ليلى، وأكملت: «ويا ترى لسه الإسورة مهمة عندك ولا أيقنت أن العطاء في سبيل الله هو من أرقي العبادات... وأن تثقي بأن الله سيبدلك غيرها بأحسن وأغلى منها؟ صح ولا لأ؟».

وأكملت الحاجة، وليلى في اندهاش تام: «هديكي مثال بسيط... لو جبتي شنطة من اللي بآلافات دي، وحطتيها على «ترابيزة» وفجأة حاجة اتدلقت عليها، هتعملي إيه؟؟؟.. أول حاجة هتتخضي، ده لو ماجريتيش، وسيبتي اللي في إيدك علشان تلحقيها، وكأنك بتلحقي عيل من إنه يقع من البلكونة مثلًا... الخضة دي واللهفه دي حرام!!! فهمتوا يا بنات؟!».

بالطبع، كانت المصمصة والشهقات والبكاء الحار تملأ أرجاء المكان من كل الموجودات، حتى ممن يعلمن هذا الكلام وسمعنه من قبل، وإنما كن يندمجن وتصدر منهن التعليقات تماشيًا مع الموقف..

وشعرت الحاجة بأن الحديث وصل للنتيجة المطلوبة، وقالت: «نختم بقى... ياللا الدعاء يا بنات... أخدنا من وقت البيت كتير»..

جيجي «صاحبة البيت»: «ماتقوليش كده يا حاجة... ده أنا متشرفة بوجودكم والبيت كده كله بركة»..

وبدأت الحاجة الدعاء، وكان دعاء قويًّا بالتثبيت والزيادة في الدين والعلم والخير والبركة..

وانطلقت جيجي المنتقبة الجديدة وصاحبة البيت على المطبخ للإشراف على السفرة، اللي هتترص دلوقتي بأشكالها وألوانها.

ومع كل هذه الأحداث، كان تفكير ليلى مشغولًا بالبيت الذي سوف يبنى في الجنة للفتاة، التي ارتدت الحجاب ووالديها وفي طاعة الله، التي أصبحت الطرق إليها صعبة ولكنها متعددة.. وفي أولادها وخالد وأمها وأبيها أحب المخلوقات إلى قلبها، والذين لابد أن تنزع حبهم من قلبها ليكون الله ورسوله أحب وأقرب، وإلّا لن يبارك فيهم الله!!! ولكن مع كل هذه الروحانيات لم تستطع ليلى أن تمنع نفسها من التفكير أيضًا في الإسورة الخاصة بجدتها والغالية جدًّا على قلبها، والتي اشترتها وزايدت عليها إحدى الموجودات بكل قوة وكأنها نكاية فيها... ولامت نفسها كثيرًا، لماذا لم تزايد هي نفسها عليها وتأخذها وتتعهد بدفع فلوسها لاحقًا، وفجأة وجدت الحاجة تقترب منها، وتربت على كتفها، وتسألها: «خير يا ليلى... إيه اللي شاغلك كده؟».

ليلى، وهي سعيدة، وكأنها وجدت المنقذ الإلهي: «بصي يا حاجة... الإسورة دي ذكراها حلوة وغالية أوي عندي أنا وماما... أنا هدفع فيها ضعف اللي اتزايد عليها بيه.. وهبعت أجيب المبلغ بالسواق حالًا، قبل ما نمشي من هنا، بس آخد...».

لم تكمل ليلى نطق كلمة «الإسورة» من التعبيرات التي ظهرت على وجه الحاجة من اندهاش واستغراب، فصمتت بخجل..

قالت الحاجة بمنتهى الصبر والحسم في الوقت نفسه: «ليلى.. ابعتي جيبي السواق واللي كنتي هتدفعيه في الإسورة، ادفعيه في مرضاة الله سبحانه وتعالى على اللي إنتِ قلتيه ده.. ذكري إيه وكلام فارغ إيه؟! إنتِ ماسمعتيش اللي اتقال في الدرس؟ ولّا سمعتيه ومش عايزه تفهميه؟!!!».

ليلى: «سمعته وفهمته والله... بس مش مقتنعة»..

الحاجة: «لا حول ولا قوة إلا بالله... مفيش في الدين حاجة اسمها مقتنعة ومش مقتنعة.. فيه قواعد وأسس لازم نتبعها ونمشي عليها... «اخشوشنوا

فإن النعمة لا تدوم».. فاهمة يا ليلي؟».

ليلى وهي مذهولة: «يعني إيه؟ هو ده حديث يا حاجة؟!».

الحاجة: «بغض النظر حديث ولا لأ... وماتشغليش نفسك أبدًا بالحاجات دي.. المهم إنه صح جدًّا... مفيش نعمة دايمة.. وده جاي بصيغة الأمر، وكأنه تهديد وتذكير بأن المولي عز وجل لا يترك شيئًا على حاله».

وبقيت ليلى واجمة وساد هدوء للحظات، حتى خلعت ليلى الإسورة من يدها وأعطتها للحاجة التي ردت يدها بالإسورة، وكأنها تعيدها إليها مرة أخرى، وابتسمت وقالت لها: «لازم تعملي كده وإنتِ سعيدة وراضية يا ليلى.. ده عطاء لله تعالى ونيل رضاه.. والرضى مش أي حد ينوله
يا حبيبتي»..

ليلى مبتسمة ابتسامة هادئة: «ربنا يرضى عنا كلنا إن شاء الله»..

الحاجة سامية بالهدوء نفسه: «ادعي دايمًا يا حبيبتي... ربنا يراضينا ويرضينا ويرضى عنّا إن شاء الله».

وتركت الحاجة المكان بهدوء..

بعد أن خرجت ليلى، وجدت الحاجة وهي ترد على تساؤل من ابنة جيجي الكبرى، وهي العروس المرتقبة، التي سوف يحتفلون بزفافها بعد أسبوعين، واستغربت ليلى جدًّا من إن حتى حضور الأفراح له شروط!!!

الحاجة، وهي تصفق بيديها داعية الجميع إلى الصمت: «حبيباتي الكلام ده لكل الموجودات؛ خصوصًا البنوتة اللي لسه ربنا منزل عليها رضاه وعفوه بإذن الله، وليكم كلكن يا بنات... الأفراح المختلطة لا تمت للدين الإسلامي بصله!!! فهي حرام... مش بس حرام على أصحاب الفرح.. إنما حضورها كمان حرام... الأفراح المختلطة شيء مهين للإسلام فهي مليئة بالمعاصي والخروج عن طاعة الله تبارك وتعالى... طب ما أفرح في الطاعة يعني النساء مع النساء وهنا يجوز لهم استخدام الدف مع الغناء... لكن برضوا أحب اذكركم ان الرجال يحظر عليهم الغناء أو استعمال الدف... وطبعًا ده دون اختلاط نهائيًّا... وياريت من وجود عالم جليل يذكرنا بكلام المولى عز وجل... وهنا التذكرة تكون في حسن التبعل وفضله»..

ونظرت للعروس، وقالت لها: «وبعد فرحة العروس، تبدأ حياة جديدة بالوضوء وبصلاة ركعتين وشرب كوب من اللبن الحليب، يشرب نصفه العريس ثم يأتي للعروس ويشرَّبها النصف الآخر، ويضع يده على رأسها، ويقول «اللهم ائتني خيرها وخير ما جبلت عليه ويكمل في سره «وأمني شرها وشر ما جبلت عليه»، وطبعًا مع الجملة الأخيرة دي ضحكت الحاجة والموجودين، وكأنها بتقول نكتة....

قاطعت ليلى الحديث برغبه فعلية في المعرفة، وليس بسذاجة: «وليه هو

بس اللي يِدْعي؟؟؟ وليه هو اللي يشرب نص كوباية اللبن الأول؟ ليه ما تِدْعيش هي كمان بنفس الدعاء اللي في الجهر، واللي في السر، أو يدعوه هم الاتنين مع بعض؟!».

ردت الحاجة ببساطة: «لأن الراجل هو اللي ليه القوامة يا ليلى مش الست!».

وأكملت الحاجة: «يعني إن شاء الله الفرح إسلامي، وكلنا معزومين فيه... لا يجوز أن نبدأ حياتنا بالحرام...فكل من لا يفعل هذا، فهو والعياذ بالله في النار... ومن دعا إلى خلاف هذا فهو آثم».

ساد الصمت في المكان، لا يقطعه سوى مصمصة البعض لشفاهن واستغراب البعض واستياء ليلى، التي لم تكن تستطيع مجرد التفكير بأن شيئًا كهذا من الممكن أن يحدث في عائلتها أو في عائلة خالد!

وبعد انتهاء الدرس، أخذت ليلى الحاجة سامية توصلها هي والحاجة ثناء ورانيا، وفجأة سألتهم، وكأنها نسيت حاجة: «هي سميرة فين ماجاتش النهارده!!».

نظر الجميع إلى بعضهن البعض إلى أن تحدثت الحاجة ثريا، وقالت: «أصل جيجي «صاحبة البيت اللي كانوا فيه» مش بتتفق أوي مع سميرة ورغيها وتنقيلها للكلام.. إحنا بيتهيألي ماقلنلهاش يا حاجة زي
ما حضرتك قلتي»..

قاطعت الحاجة سامية الكلام قائلة: «إنتِ بكره بقى يا حاجة ثناء تبعتيلي الأوراق اللي إحنا متفقين عليها»...

شعرت ليلى بالجملة الاعتراضية دي أن الحاجة سامية قصدت بها قطع استرسال الحاجة ثناء في الكلام... وبعد أن أوصلتهن، ذهبت ليلى إلى البيت وهي مفزوعة إلى حد ما... جرعة المعلومات وخصوصًا الحرام والحلال كانت زايدة عن الحد... وأكثر ما أثّر فيها وضايقها كانت كلمة رانيا على جوزها وأبوه، واستهزاء رانيا بها حتى ولو على سبيل المزاح.. أيضًا رانيا وهي تشهِّد عليها الحاجة، وكأنها طفلة في الحضانة وتحتاج إلى تقويم .....

وصلت ليلى إلى البيت وتوجهت للأولاد، وبقيت معهم إلى أن أنهوا كل أعمالهم وكلامهم ومناقشاتهم، ثم ناموا.. اتصلت بخالد تسأله عن موعد عودته، وأخبرها أنه سيبقى في المكتب قرابة الساعتين؛ لإنهاء بعض الأعمال.... انتهزت ليلى الفرصة ودخلت غرفة المكتب عند خالد، وأحضرت بعض الكتب باحثة عن معنى كلمة الديوث!!! فوجئت ليلى بالمعنى، فقررت أن تنقل كل الكلام المكتوب في هذه الكلمة في ملف على الكمبيوتر، وتطبعه وتحطه في عين رانيا الصبح؛ علشان تندم على اللي قالته في حق جوزها وأباه....

المعنى العصري لكلمة «الديوث» هو الزوج الذي تمارس زوجته الجنس مع رجل أخر - أو مع عدة رجال أو مع امرأة أو مع عدة نساء أو مع مجموعة مختلطة من الجنسين - سواء بعلمه أو دون علمه، ويكون في الغالب موضع سخرية

واستهزاء من المجتمع!!!

ومعنى الكلمة في الإسلام.. هو من يرضى الفجور في أهله ولا يغار عليهم.. ولاحظت ليلى اختلاف الشرح عما ألمحت إليه الحاجة، واندهشت من اختيار رانيا لهذه الكلمة التي تثير الاشمئزاز في النفس لتصف بها زوجها وأبوه!

شعرت ليلى بالصداع من توتر الأعصاب واليوم الطويل، وقررت إغلاق الكتب والكمبيوتر وانتقلت إلى غرفة المعيشة وفتحت التليفزيون، ثم أغلقته، واتصلت بـ«نهي»، عندما اكتشفت أنها لم تتصل بها أو تسمع صوتها طوال الأسبوع...

وكعادة مكالمات نهى وليلى، كانت جميلة خالية تمامًا من اللوم والعتاب، حتى أن نهى قالت لليلى: «أنا عارفة إنك مضغوطة علشان الجمعية وسايباكي تتعودي، وبعدين هَرْجع تاني أَهْريكي تليفونات وزيارات زي الأول وأكتر وهاخليكي كمان تشرحيلي اللي بتاخديه في الجمعية؛ لأن العلم الشرعي ببساطة هو أسلم شيء ممكن نتعلمه في السن ده يا لولي»..

ليلى: «طيب ليه مش بترضى تيجي معايا أي درس؟».

نهى: «ما أنا قلتلك يا بنتي قبل كده.. الدين في الكتب وفي القرآن والتفاسير والسنة كلها مكتوبة.. جرجرة الدروس واللت والعجن ده ماليش فيه، ولا بحبه أصلًا»..

كان كلام نهى دائمًا ما يقنع ليلى لما فيه من منطق وحجة، ولأن نهى كانت هادئة دايمًا، حتى في اعتراضها على الشيء.. وحب ليلى لـ«نهى» كان حبًّا غير مشروط.. يشبه حب الأخت لأختها أو الأم لأمها.. ليس فقط لأنها صديقة الطفولة، ولكن لأن تعاليمهم وعاداتهم وتقاليدهم كانت واحدة.. حتى أهاليهم كانوا أصدقاء.

وصل خالد، وليلى مع نهى على التليفون، وقبّلها على رقبتها، وسألها بصوت هامس: بتكلمي مين؟

وناولته ليلى التليفون، وهي تقول لنهى: «هسيبك مع صاحبك ترغوا بقى وهروح أوضب العشا»..

هلَّل خالد عندما عرف أنها نهى «وكأنه يسعد بأنها تتحدث مع أي شخص خارج الجمعية»، وقال لها: «إيه يا ست نهى إنت فين محدش بيسمع صوتك؟ وفين جوزك الندل؟».

خالد: «خلاص يا نهى... قولي للبيه بكره سينما وعشا وخمر ونساء هههههه... أيوه أيوه هَسْألها طبعًا ماهي جايز متهياللي يطلع عندها ارتباطات يا ستي»..

ونادى خالد على ليلى، وقال: «يا لولي عندك اعتراض نخرج بكره؟؟؟».

ليلى: «مع نهى معنديش اعتراض على أي حاجة... دي واحشاني جدًّا»..

وانتهت المكالمة، ونظر خالد لليلي، وسألها السؤال المعتاد: «إيه يا ليلى، أخبار اليوم النهارده؟».

كانا قد اعتادا هما الاثنان أن يسألوا بعض هذا السؤال؛ خصوصًا ليلى لأن خالد بحكم خروجه لشغله، كان دائمًا ما يجد شيئًا يريه ويحكيه، وهي بحكم علمها وثقافتها.. كانت دائمًا على دراية بكل الأمور الخاصة بعمله وشركته وحتى زبائنه الذين يتعامل معهم.. ورغم أنه سألها هو الآخر، وأنها حكت له مقتطفات من اليوم، إلا أنها فضّلت ألا تذكر له من بعيد ولا من قريب الموضوع الخاص برانيا والديوث، وفضلت ألّا تحمِّله من رانيا أكثر مما يحتمله أصلًا.

وفي اليوم التالي، ذهبت ليلى للجمعية وتوجهت إلى رانيا بما هو مكتوب عن تفسير كلمة الديوث، ونهرتها بأدب قائلة: «ماينفعش أبدًا إنك تقولي كده على جوزك وعلى أهله.. لا دينيًّا ولا أخلاقيًّا ولا يصح أصلًا»..

ظلَّ كلام ليلى سببا في توتر رانيا طوال اليوم، حتى عندما تقابلتا معًا، نظرت إليها بعتاب، وقالت لها: إنت يا ليلى أصلك ما تعرفيش حاجة!!

ليلى: «مهما كان اللي معرفوش، برضو عيب إنك تقولي كده، لأنك بطريقة ما بتحسسيني إن حسين اللي بشوفه مش هو حسين الحقيقي، وإن أخلاقه وحشة، وفي الحالة دي يبقى ماعندكيش غير حلين مفيش غيرهم: يا إمّا تفضلي زي ما إنت من غير ما تشوهي صورته، يا إمّا تتطلقي مادام هو وحش أوي كده!!».

قاطعتها رانيا: «إيه اللي إنت بتقوليه ده؟ أتطلق إزاي.. لا طبعًا ده شيء مش وارد.. والولاد؟».

ليلى مقاطعة أيضًا: «لاااا كده يبقى فيه حاجة غلط.. يا إمّا إنت بتحاولي تشوهي صورته يا إمّا ماسك لك زلة!! وولاد إيه اللي ترتضي إنك تخليهم يتربوا مع واحد بالأوصاف اللي وصفتيها دي أصلًا؟ أنا عارفة يا رانيا، إنك بتبالغي، ولكن اللي مش فاهمة سببه إنك تخلِّي صورته بالبشاعة دي أدام الناس!!».

تركتها ليلى وقامت من أمامها، وكانت هذه إحدى عيوب ليلى الجبارة، التي حذرها منها خالد أكثر من مرة، وكان دائمًا ما يلفت نظرها إليها.. وهي الحالة العنيفة التي كانت دائمًا تصل إليها، عندما تكون على حق ومتأكدة من موقفها، وعدم تركها أي مجال لمن يواجهها، بل تسد عليه كل طرق الرجوع، ولا تعطه حتى فرصة الدفاع عن نفسه، وكانت له مقولة «إنت
يا ليلى بتبقي وكأنك حاطة واحد في كورنر، وعمالة تلطشيله بالأقلام»..

خجلت رانيا من كلام ليلى، وذهبت وجلست بجوارها، محاولة أن تجد فرصة للكلام، وقالت لها: «الكلام ده يا ليلى بفضفض بيه، بس كده أدام الناس»..

وبقدر مضايقة ليلى من ضغطها على رانيا، وكيف كانت صعبة في الحكم

عليها، إلا أنها تضايقت أكثر من تبرير رانيا للموقف، وقبل أن تتعاطف معها، أكملت رانيا: «اوعي تقولي لأي حد وخصوصًا خالد»..

كشَّرت ليلى تاني وردت باستغراب: «هو ده الدين يا رانيا؟؟؟ إنك تكدبي وتتبلي على جوزك، وتشوهي صورته أدام الناس، وكمان تفتكري إني أنقل له الكلام وأقوله.. وهو مش بس مظلوم، ده كمان مخموم في مراته.. مش دي الغيبة والنميمة ولا حاجة تانية؟... روحي بقى قولي لكل الناس دول اللي يرضي ربنا عن جوزك»..

رانيا: «إيه يا ليلي؟ كل ده ليه؟! أنا بس مش عاوزة لسانك يفلت بسلامة نية حتى ادام خالد أو غيره»..

ليلى: «إنت يا رانيا كل ما تييجي تظبطي حاجة تبوظيها... لو دي أخلاقي ماكانش زماني هنا، بحاول أعرف اللي ناقصني وأعمله»...

رانيا: «خلاص.. خلاص.. أستحلفك بالله ما تزعلي، أنا مش قصدي بس»...

قاطعتها ليلى: «مفيش بس ولا خلاص... حصل خير»..

رانيا: «خلاص النهارده الخميس... لو عاوزة بجد تثبتيلي إنك مش زعلانة مني، تعالي النهارده بعد الدرس، نروح أي حتة نشرب قهوة،
ولا ناكل حاجة حلوة»..

ليلى: «لأ.. الخميس والجمعة والسبت دول بتوع خالد والولاد، وإحنا بصراحة خارجين مع نهى وأحمد هنروح السينما، وبعدين نتعشي بره أو العكس.. لسه مش عارفة!!».

وكالعادة امتعضت رانيا وتغير وجهها لما سمعت اسم نهى، وقالت لليلى: «خلاص إن شاء الله تتبسطوا بس... ما تحاولوا تخلوها عشا بس... بلاش السينما دي... حرام يا ليلى والله.. حتى اسألي الحاجة»..

ليلى: «من غير ما اسأل حد... أنا مش مقتنعة، والأهم من كده إني مش هَزَعْل خالد مني لأي سبب»..

رانيا مستنكرة وهي متقمصة دور الحاجة في هدوئها: «من طلب رضا الناس بغضب الله، غضب الله عليه وأغضب الناس عليه»..

ليلى: «إيه يا رانيا ده.... ناس مين؟؟؟ ده جوزي يا بنتي، وبعدين إيه اللي هيخلِّي ربنا يغضب عليّا لما أرضي خالد؟؟؟ والحرمانية جاية منين؟».

رانيا: «الاختلاط والأفلام والكلام والمناظر اللي بتيجي فيها، وبتثير الغرائز يا ليلى، و...».

ليلى: «لالالالا.... استني بقى.. واحدة واحدة... وهو الاختلاط في السينما مش في العشا؟ وبعدين أنا مش شايفة أصلًا إيه الفرق بين الفيلم اللي في السينما، والفيلم اللي في التليفزيون؟؟؟ وغرائز إيه يا أم غرائز؟؟؟ إنت

بتهرجي، ولا إيه، وهو أنا رايحة السينما علشان أثيرالغرائز بتاعتي؟؟؟ إنت إزاي بتفكري كده؟».

رانيا: «مش أنا اللّي بفكر ولا بقول وبجيب الكلام من بيتنا... وخلِّلي بالك الحاجة رأيها في دخول السينمات والمولات زي بالضبط حضور الأفراح المختلطة!!!».

ليلى: «إبقي خلّلي حد غيرك ينصحني.. انصحي نفسك إنت الأول، وروحي استغفري ربنا على اللي بتقوليه على جوزك».

رانيا: «تاني؟ إحنا مش قفلنا الموضوع ده، ووعدتيني مش هتتكلمي فيه مع حد؟».

ليلى: «وهو إنت حد؟ أنا مش قادرة أشيله من دماغي.. ومش متقبلة منك نصايح»..

وقبل أن تستكمل ليلى، رّن تليفونها رنة خالد العاطفية... فقالت لرانيا وهي بتطلعه من الشنطة وتضحك: «أهي الأغنيه دي بقى بتثير مشاعري جدًّا»....

الفصل التاسع

البقاء لله

خالد: «إنت فين يا ليلى؟».

اتفزعت من صوته وردت: «خير يا خالد، أنا في الجمعية!!».

ردّ بهدوء: «ماتتخضيش، مفيش حاجة.. لكن مش لاقي مفتاح الخزنة اللي في البيت وعاوز منها حاجة مهمة جدًّا، ومش هقدر استني لما ترجعي... تقدري تيجي؟».

دون تفكير ردت: «طبعًا حاضر... هعتذر للحاجة وآجي على طول»..

وفعلًا دخلت أخدت شنطتها، وتركت خبرًا للحاجة مع رانيا بما حدث مع خالد، واضطرارها للذهاب إلى البيت.. وبالفعل مشيت مسرعة، وهي تحمد الله بأن رانيا لم تجري وراءها محاولة إعطاءها درسًا في الأخلاق عن اعتماد خالد الكلي عليها، وفقه الأولويات بأن الجمعية أولى من خالد وأنها بالضرورة تغلق التليفون لحظة دخولها الجمعية؛ تفاديًا لهذه النوعية من المواقف... إلخ.

وبعد أن تحركت ليلى بالعربية، بدأت تفكر لماذا لم يرسل خالد أحدًا من المكتب ليأخذ منها المفاتيح؟!! وتذكرت أن خالد كان عنده اجتماع بجوار الجمعية، فلماذا لم يمر عليها هو؟!! وقبل أن تبدأ بالقلق مرة أخرى، اتصل بها وردت مسرعة: «إيه يا حبيبي أنا خلاص على الكوبري أهو، بس...».

قاطعها خالد: «كويس أوي.. أنا هقابلك عند منزل الكوبري، وآركب معاكي علشان أنا عربيتي مش معايا... أدامك وقت أد إيه وتبقى هناك؟».

ردت: «مش أكتر من 10 دقايق... الكوبري فاضي.. الحمد لله أهو!!».

وفعلًا في دقائق كانت قد وصلت إلى خالد، وفوجئت أكثر عندما وجدته بعربيته وسائقها!!! ونزل خالد من العربية وسلم عليها، وقال لها: «انزلي، هسوق أنا...».

وأكمل كلامه للسواق، قبل أن يركب العربية، قائلًا: «استني هنا لحد ما أشوف هنروح على فين»..

نزلت ليلى من العربية لتترك خالد يقود، وبالفعل ركب خالد مكانها، والتفت إليها وهي لا تفهم شيئًا مما يحدث، وقبل أن تهم بالكلام، أخذ يدها وقبلها..

ليلى بمنتهى القلق: «إيه يا خالد... في إيه؟!!!».

خالد: «أنكل سعد توفى»..

أنكل سعد ده كان والد نهى وحبيب ليلى وحبيب الكل... وكان صاحب والد ليلى الأنتيم وعشرة العمر.. حتى خالد عندما تعرف عليهم في بداية معرفتهم، كان يظن أنه من العائلة، وأنه بالفعل عم ليلى، وليس «أبو» صديقتها أو صديق

«أبوها».

انهارت ليلى في البكاء، وأخدها خالد تحت دراعه، وطبطب عليها.. ثم اتصل بأحمد زوج نهى، وعرف منه أن صلاة الجنازه سوف تكون في السيدة نفيسة، وتوجها إلى هناك.

طلبتها رانيا في التليفون، فرد عليها خالد: «أيوه يا رانيا، أنا خالد»..

رانيا بتأفف: «السلام عليكم يا خالد... هي ليلى مش معاك؟!».

خالد: «لأ، معايا بس مش قادرة تتكلم... أنكل سعد والد نهى توفى، وإحنا رايحين دلوقتي الجنازة على طول»..

رانيا: «لا حول ولا قوة إلا بالله... توفاه الله.. توفاه الله»...

رد خالد باستغراب: «بتقولي إيه؟».

رانيا: «مش بقول حاجة... صلاة الجنازة فعلًا أهم حاجة دلوقتي... هتصلوا عليه فين؟».

خالد: «في السيدة نفيسة»..

سكتت رانيا، وقالت: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. لأ... خلاص...طيب... البقاء لله... بلغ تعازينا لـ«نهى» ولليلى، وأنا هبقى أعرف من ليلى لما تروق العزا فين إن شاء الله»..

انتهت المكالمة، وخالد مندهش من طريقة كلام رانيا.. ووصلا المسجد وقابلا والده ووالدته، بعد أن أحضر سائقه، وبالطبع قابل والد ليلى ووالدتها..

عند لقاء نهى وليلى، كان يصعب معه التفرقة بين الصديقة ومن فقدت أباها، فكانتا الاثنتان وكانهما أختان فقدتا أباهما.

صلوا صلاة الجنازة، ولما خرجوا، ذهب والد ليلى إلى نهى وأخدها في حضنه، وظل يصبرها، وكأنه يصبر نفسه في أنه فقد صاحبه وصديق عمرة وركبت نهى ووالدتها مع والد ليلى، وركبت ليلى مع خالد ووالده ووالدته..

لم تذهب والدة ليلى ووالدة خالد إلى المدافن مع الباقين، بل ذهبتا إلى بيت العزاء لترتيبه وتجهيزه بالفعل، وكأنهم عائلة واحدة متماسكة..

رد خالد على موبايله على نمرة مجهولة؛ ظنًّا منه أنها من حامد زوج نهى؛ لأنه كان في فرنسا في هذا الوقت، لكنها كانت رانيا... أشارت له ليلى بيدها أنها لن تستطيع التحدث، ولكنه عندما أخبر رانيا أعطى ليلى التليفون مستنكرًا وقائلا: «رانيا بتقول معلش لازم تتكلمي؛ لأن الحاجة عاوزاكي ضروري!!!».

ليلى بتضرر: «ألو..».

الحاجة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا ليلى»..

ليلى: «وعليكم السلام يا حاجة»..

الحاجة: «البقاء والدوام لله وحده يا حبيبتي... أنا مش هطول.. أنا حاولت أتصل بيكي كتير أوي؛ علشان ألحقك قبل ما تدخلي المسجد، ولكن للأسف قدر الله وماشاء فعل»....

استغربت ليلى واعتقدت أن الحاجة حاولت تحضر صلاة الجنازة هي ورانيا، فسألتها: «معلش يا حاجة.. أنا حتى معرفش تليفوني فين.. هو حضرتك في المسجد؟».

الحاجة: «لا يا حبيبتي في المسجد فين؟؟؟ أنا كنت عاوزة أقول لك ماتدخليش المسجد... الصلاة في مسجد السيدة نفيسة غير جائزة بالمرة، بل وتصل للحرام»..

ليلى، وهي تمسح دموعها، ومش فاهمة حاجة: «إزاي؟ وليه يا حاجة؟».

الحاجة: «لأن فيه ضريح يا ليلى، ولأن النبي ﷺ نهى عن البناء على القبور واتخاذها مساجد»..

كانت ليلى في موقف لا تحسد عليه، وهي تحاول ألا يفهم خالد ما يحدث فكانت تحاول عدم الرد بوضوح، بكل طريقة ممكنة، وهي في الوقت نفسه منهارة من البكاء، ولكنها تماسكت، وقالت للحاجة بحسم مؤدب: «بإذن الله يا حاجة.. ربنا يسهل».

ردت الحاجة: «خلاص يا حبيبتي الله المستعان إن شاء الله... أقدر أعمل لك أي حاجة؟!».

ردت ليلى: «ربنا يكرمك.... متشكرة جدًّا».

سألت الحاجة: «طيب وإنت فين دلوقتي؟».

ردت ليلى: «رايحين المدافن».

الحاجة شبه صارخة: «لا حول ولا قوة إلا بالله... أوعي يا بنتي تروحي المشوار ده»..

ليلى باستنكار: «يعني إيه؟؟ مش فاهمة؟!».

الحاجة وكأنها تحاضر: «ورد عن رسول الله ﷺ أنه لعن زائرات القبور، ونهى النساء عن اتباع الجنائز تمامًا فلا يجوز للمرأة على أي الأحوال، ومهما كانت درجة القرابة بينها وبين الميت أن تذهب إلى الدفن وأن تتبع جنازة ... بلاش يا بنتي تروحي المدفن... اعتذري بأي عذر!!!».

وأكملت الحاجة: «أنا آسفة يا ليلى إني بقول لك الكلام ده دلوقتي.. لكن يا حبيبتي أنا مش عاوزاكي تاخدي أوزار... إنت الحمد لله، لسه في أول الطريق، ومش عاوزة حاجة تلتبس عليكي.. إن الميت لا يصل إليه إلا الدعاء ومن أي مكان... يعني لا يشترط أن تكوني في المدفن علشان يصل دعاكي إلى

الميت».

ظلت ليلى طوال المكالمة تهمهم دون كلمات واضحة على شاكلة: هه.. آه... حاضر... إن شاء الله... بإذن الله..

وانتهت المكالمة، بعد أن تمنت ليلى مليون مرة أن يقطع الخط، وحمدت ربنا إن الطريق للمدافن كان طويلًا إلى القطامية، وإن خالد كان يبدو منشغلًا مع أبيه في الحديث، مع أنها كانت متأكدة أن كل آذانه مصغية لما يحدث!!!

وصلوا إلى المدافن وقابلت ليلى نهى ووجدتها تنهي عمتها، التي كانت تبكي بصوت مرتفع؛ لأن البكاء بصوت عالٍ والنحيب على الميت وما إلى ذلك حرام، وظلت نهى مع والدتها وعمتها تعيد لهما الكلام، الذي ذكرته الحاجة لليلى، ولكن بمنتهى الهدوء والحب ودون إنذارات ولا تهديد
ولا وعيد.. فكان البكاء بقدر ما هو حار ويدمي القلب بقدر ما هو بأدب..

كان خالد عاقلًا جدًّا، فلم يحاول أصلًا أن يسأل ليلى عن أي حديث كان في المكالمة، ولكنه استطاع أن يفهم من طريقتها في الردود أن هناك شيئًا مريبًا وغير منطقي...

طوال الوقت الذي قضته ليلى في المدافن، كانت تشعر بأنها بتعمل حاجة «غلط»، مع أنهم كانوا بعيدين عن مكان الدفن، جالسين في حجرة جنب باب المدفن، يقرأون قرآن «اللي الحاجة قالت لها إنه لا يجوز» ومنهم من يدعي وظلت هي تدعي في سرها لأنكل سعد.. وللمرة الثانية وجدت نهى تقول لأمها بأن الدعاء أولى من قراءة القرآن!!

وبعد أن أنهى الرجال عملية الدفن، رأت ليلى خالد، ودموعه تغرق وجهه من هول الموقف.. ثم جاء المقرئ وجمعهم كلهم، وبدأ الدعاء، وكان صوته مؤثرًا وقويًّا، لدرجة أنها بدأت تشعر برعشة في جسمها كله، ورهبة شديدة لدرجة أن خالد أخدها على جنب، وظل يسألها: «مالك
يا ليلي؟ حاسة بحاجة؟».

كانت ليلى تشعر بفزع شديد، وكأنها ترى «عفريت» إلى أن أدارت وجهها وتقيأت حتى شعرت بالإعياء الشديد... وبهدوء، أخدها خالد وأجلسها في العربية، وكانت صامتة تمامًا.. كانت فقط تسترجع كلام الحاجة، رغم كل ما قالته نهى، والتي كانت بالمفهوم والمعنى نفسيهما ولكن بدرجة حب إلهي أشد..

وانتهت مرحلة الدفن، وذهبوا إلى البيت عند نهى، ودخلت هي ونهى ووالدة نهى وكتير من الأهل والمعارف، وكان البيت على أهبة الاستعداد... كانت والدة ليلى رتبت كل شيء حتى الأولاد، أرسلت إليهم السواق، بعد أن اتصلت بالمدرسة وأبلغتهم أن أولاد نهى وأولاد ليلى لن يركبوا أتوبيس المدرسة، ولكنهم سوف يركبون مع سائق خالد وليلى، وبالفعل ذهبوا إلى بيت خالد .. بل وذهبت والدة خالد لتنتظرهم، وتظل معهم، وتشرف على إطعامهم وواجباتهم

إلى أن تصل ليلى وخالد..

كان البيت عند والد نهى قد بدأ يمتلئ بالناس؛ خصوصًا الأهل، ومرّ اليوم كذلك اليوم الذي تلاه في حالة من الحزن الشديد والضعف الأشد من نهى ووالدتها وأيضًا ليلى.

في ثالث أيام العزاء، ذهبت رانيا تعزي في البيت هي وحسين، وقابلا خالد وليلى... كانت نهى قد بدأت تتحسن قليلًا، وكان كل اهتمامها بوالدتها والحالة النفسية السيئة اللي كانت بتمر بيها...

جلست رانيا جنب ليلى، وقالت لها: «ماتتأخريش بكره بقى على الجمعية الصبح».

ردت ليلى: «جمعية إيه يا رانيا... البيت لسه مفتوح للعزا... وبعد بكره أصلًا العزاء في الحامدية»..

قاطعتها رانيا: «حامدية؟!!! ...أنا افتكرتكم هتكتفوا بعزا البيت».

ردت ليلى: «آه الحامدية الشاذلية إن شاء الله!».

اندهشت رانيا وقالت: «تاني؟؟؟ لا حول ولا قوة إلا بالله»...

ردت ليلى: «هو إيه اللي تاني وتالت؟».

رانيا بهدوء بعد انتباهها إلى أن صوتها كان مرتفعًا عن العادي:

«يا ليلى، الحاجة قالت لك على وزر الصلاة في مسجد فيه ضريح، والحامدية الشاذلية دي مش بس فيه ضريح.. ده بتاع أصحاب الطريقة الشاذلية يعني والله مكان ما يدِّخل أصلًا... لو هم مصممين خلاص سيبيهم هم ياخدوا الوزر، وإنت انفدي بجلدك يا بنتي»..

ليلى: «جلدي إيه اللي أنفد بيه؟؟؟ إيه اللخبطة دي... بصي يا رانيا... أنا مش قادرة أفهم المواضيع دي ومش مقتنعة بيها.. دي بيوت الله، وبصراحة ده مش مكان لمناقشة الحاجات دي... العزا بكره في الحامدية الشاذلية، واللي مش عاوز ييجي مايجيش.. أنا هقوم أشوف نهى»..

وقبل أن تتحرك ليلى من مكانها، حاولت رانيا تهدئة الموقف، فسالتها: «طيب إيه رأيك.. الحاجة تيجي تدي درس هنا لو كانوا عاوزين، وأهي بالمرة تاخد الثواب وتبقى عملت واجب العزاء؟!».

ليلى: «والله يا ريت.. بس لازم أشوف طنط لو كانت مستعدة نفسيًّا ولا لأ.. بس خلّيني أقوم أشوفها دلوقت وأرد عليكي»..

رانيا: «بس على طول، علشان مانقولش للحاجة على آخر لحظة.. بس إنت متأكدة إنها هترضى تيجي»..

ليلى: «أكيد هترضى.. هو ده مش ثواب برضو ولا إيه؟».

رانيا: «طبعًا طبعًا.. أولًا الحاجة في عمل الخير مش بتتأخر أبدًا، وثانيًا وده

الأهم إن الحاجة مش هتحب تقول لك لأ أبدًا..».

وفعلًا رتبت ليلى لدرس الحاجة، وأبلغت الناس، وعملت أوردر الأكل، وتركت أولادها وأولاد نهى مع والدها ووالد خالد، وأخدت البنات المساعدات لها في البيت، وفي بيت والدتها مع الموجودين عند نهى ووالدتها، ومعهم مشرفة، يستعينون بها دائمًا من مطعم متخصص في العزائم النسائية.. وكل شيء كان على أكمل وجه..

وصلت الحاجة سامية، وقامت بواجب العزاء والناس كلهم جلسوا في أماكنهم وكان عدد من جاء للعزاء كبيرًا، ولكن أكثرهم كان لمشاهدة الحاجة والاستماع لها.. وبدا الأمر وكأنه فيلم والكل يتهافت على قطع التذاكر...

كانت بداية درس الحاجة عن الصبر والابتلاء، وقالت: «إن بعض الناس الذين لا يصيبهم البلاء في الدنيا، تطمئن قلوبهم من شدة الغرور إلى حب الله ورضاه عنهم، وهذا عكس للحقيقة.. لأن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه.. بل إن هناك الصفوة من المؤمنين يدعون الله بالابتلاء ليثبتوا صبرهم على هذا الابتلاء وينولوا رضي ربنا سبحانه وتعالي خصوصًا بعد الصبر والاحتساب!!!».

كانت نهى منتبهة جدًّا وإن لم يكن الكلام على هواها؛ لأنها بطبعها غير متشددة بالمرة، وترى أن الإسلام دين السماحة واليسر، ولكنها لم تكن تريد التعليق حتى لا تحرج ليلى، ولكنها عندما سمعت حديث البلاء والابتلاء، لم تتمالك نفسها، وقالت لـ«ليلى» بصوت منخفض: «أمال إزاي رسول الله ﷺ قال: «إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ومن لا يحب»..».

سمعت الحاجة تعليق نهى، ولكنها تجاهلت الجملة وأكملت الحديث.. وسألتها والدة نهى عن عدة المتوفي عنها زوجها، فردت الحاجة بخفة دم وإسهاب:

- «بالنسبة لحالتك، فعليها أن تلزم بيتها، الذي مات زوجها وهي ساكنة فيه حتى تنتهي العدة، وهي أربعة أشهر.. لا تخرج إلا للذهاب إلى الطبيب، أو لإحضار الطعام.. وأن تتجنَّب التطَّيب فلا تتطيب وكذلك التجميل فليس لها أن تكتحل ولا ما يكون في معنى الكحل من التجميل للوجه؛ خاصة الذي قد يفتن الناس بها.. ولا ترتدي أي ثياب فيها شيء من الجمال، وأن تتجنب الحليّ من الذهب والفضة والماس واللؤلؤ، وما أشبه حتى تنتهي العدة».. وبطرف عينها نظرت إلى والدة نهى، اللي قاعدة جنبها، وقالت لها: «وعلى فكرة حضرتك، الدبلة دي لا تجوز!!!».

بالطبع، كان ذهول الناس رهيبًا في كل النقاط لدرجة أن واحدة صاحبة نهى وليلى قالت: «يعني إيه دبلة جوازي حرام لبسها؟؟؟ أقلعها يعني؟؟؟ طيب دي حتى بتحوش معاكسات وبلاوي والله»..

ردت الحاجة بخفة دمها المعهودة: «إحنا مش بنقول الأصول؟؟؟ إيه بقى اللي

هيخليكي تتعاكسي، لو إنك ملتزمة بزيك الشرعي، ومش بتتعرضي للاختلاط؟!!!».

ردت والدة نهى: «بس دبلتي دي لابساها من أكتر من 40 سنة.. ليه أقلعها؟!».

الحاجة: «اللي إنت بتقوليه ده أصلًا غلط.. ارتباطك بيها نفسه غلط.. الدبلة ما هي إلا قطعة من المعدن والتعلق بيها بدعة لا داعي ليها إطلاقًا.. ودي الأمور اللي يجب أن تُحفظ في أمر من مات عنها زوجها»..

انتهى الدرس وختمت الحاجة بالدعاء، ولكن المرة دي كان لأنكل سعد، والد نهى، وكان الدعاء رائعًا لدرجة أن الكل مقدرش يمسك دموعه...

بعد الدرس والعشا، خرجت ليلى مع الحاجة إلى الباب الخارجي، توصلها للعربية وانتهزتها الحاجة فرصة، وقالت لها: «يا ليلى، البيت ده مافيهوش ملايكه يا حبيبتي!!».

ليلى بفزع: «إزاي يا حاجة؟؟؟».

الحاجة: «البيت مليان تماثيل وبراويز صور يا بنتي... وده لا يجوز شرعًا أصلًا، كما أن والدة نهى تحط الصورة الكبيرة دي للمرحوم وتبص عليها كل شوية... ده بقى غريب عنها دلوقتي، ولا يجوز لها تبص عليه أو تفتكره.. يالله بقى.. ربنا يرحمه ويرحمهم ويغفرلهم جميعًا»..

وانصرفت الحاجة وتركت ليلى في حالة ذهول سيئة للغاية، ودخلت البيت ووجدت نهى، التي كانت مع خالة زوجها عند الباب قبل خروج الحاجة، وبالصدفة استمعت إلى كلام الحاجة مع ليلى...

وبمنتهى الهدوء، أخذت نهى ليلى جانبًا، وسألتها: «هو ده الدين اللي بتتعلميه يا ليلي؟؟؟ ده مش ديننا... إنت حياتك كده هتتدمر.. لا إنت ولا أنا ولا اللي زيينا أد التشدد ده!».

ليلى: «دي وجهات نظر يا نهى، ودي وجهة نظر الحاجة و...».

نهى: «لأ لأ.. ماتقوليش كده... وجهات النظر مش بنحكم بيها على الناس... ومافيهاش قال الله وقال الرسول... مش بنحكم فيها مين هيخش الجنة ومين هيخش النار... ما تخليش الإنسان يحلل ويحرم على مزاجه... دي نظريات وبيحاولوا يطبقوها على الناس اللي مش مثقفة ومتفتحة زيك!!! وبعدين الكلام ده لو مظبوط، ماكانتش السيدة عائشة غارت من سيرة السيدة خديجة لما النبي عليه الصلاة والسلام كان بيجيب سيرتها»..

لم ترد ليلى ليس فقط لأنها كانت تريد تصديق نهى قولًا وفعلًا، ولكنها كانت قد وصلت إلى مرحلة من الإرهاق النفسي والجسماني تمنعها من الكلام..

حتى والدة ليلى وحماتها اللتين حضرتا الدرس، ولم تستمعا إلى الحوار الذي

دار ليلى ونهى حذراها التحذير نفسه.

انتهت أيام العزا، وليلى لم تفارق نهى ووالدتها غير في مواعيد النوم، وتولت والدتها وحماتها الأولاد تمامًا.. كانت ليلى فعلًا مرهقة جدًّا لدرجة أنها فكرت في عدم الذهاب إلى الجمعية اليوم التالي، بل ستظل في البيت وتفطر مع خالد في الجنينة، وتنام على أي كنبة، دون الالتزام بأي شيء.. وفعلًا دخلت وألقت نظرة على الأولاد، وذهبت إلى خالد، الذي كان في غرفة مكتبه، وقالت له: «الجو حلو أوي.. تعالى نقعد بره شوية»..

وفعلًا شعر خالد بأنها محبطة... وبالإضافة إلى معرفته بعلاقتها بأنكل سعد وارتباطها به، إلا أنه كان متأكدًا أن مع الحزن أشياءً كثيرة في خاطرها..

وجلس خالد معها، ولم يحاول أن يتكلم أو يسألها؛ لأنه كان يعلم أنها هي التي ستبدأ بالحديث، وربما تحكي له ما يشغلها.. ولكنها بعد أن شعرت بأنها سوف تتحدث، وأنها لن تتقبل أن تستمع إلى محاضرات جديدة من خالد، بها الكثير من اللوم والعتاب، آثرت الصمت والدخول للنوم.

مر اليوم خفيفًا دون أي منغصات.. بين مكالمات مع نهى ووالدتها وحماتها وخالد ونزول الاولاد إلى المدرسة ورجوعهم منها... يوم من أيامها العادية القديمة التي حُرِمت منها..

رجعت ليلى إلى الجمعية والدراسة والواجب والتحضير، وكانت قد بدأت تجتهد جدًّا في الدراسة، وتمتحن وتنتظر النتيجة، والتي دائمًا ما كانت مشرفة... ولكن في الوقت نفسه، كانت ليلى قد بدأت تبتعد عن خالد واهتمامًاته وخروجاته، وتختلق حججًا كثيرة لتظل بعيدة عنه وعن حياته..

وصلت ليلى إلى الجمعية متأخرة مرة وكان يوم خميس، وكانت صائمة، وسألتها المعلمة «الحاجة أم أيمن» التي كانت موجودة يومها، وتدرس السيرة النبوية: «خير يا ليلى اتأخرتي ليه؟!».

وقبل أن تتكلم ليلى، ردت رانيا: «أصل ليلى لازم تتمم على الولاد، وأبوهم وتفطسهم بوس وأحضان، قبل ما تتحرك»..

ليلى باستنكار وهدوء: «وهي فيها حاجة لما أبوس جوزي وولادي؟!».

أم أيمن: «ولادك ماشي.. لكن جوزك فيها قولان... بوستيه على خده ولا..؟».

ليلى وهي في منتهى الخجل: «يعني إيه؟؟؟ بوسته في خده وبوسته على شفايفه».

أم أيمن: «شفايفه؟!! إنت طبعًا مش صايمة النهارده، صح؟!».

ليلى: «لأ.. الحمد لله صايمة!».

أم أيمن: «لأ، قولي بقى "كنت" صايمة... مش بتقولي بوستي جوزك؟».

ليلى: «إزاي يعني.. ما النبي ﷺ كان بيقبل زوجاته في رمضان».

أم أيمن: «الكلام ده غير صحيح ومع ذلك إنت ما كنتيش تعرفي، والإنسان لا يحاسب على شيء يجهله.. لكن من دلوقتي رفع عنك الجهل وتحاسبي على كل أعمالك»..

ليلى بدهشة باندهاش وأسى: «يعني أنا دلوقتي فاطرة؟».

أم أيمن: «إنت بوستي جوزك، تبقي فاطرة لا جدال في ذلك، ووجب عليكي الوضوء... ولكن لو قبلتيه وقبلك من الفم في الأوقات العادية، وجب عليكي التطهر!!!».

رانيا لأم أيمن: «من فضلك يا حاجة خلينا نتكلم النهارده شوية على فقه الطهارة خصوصًا في الحاجات اللي الناس فيها بتلجأ للآراء المختلفة للعلماء».

ردت ليلى بمنتهى الزهق، وهي بتنفخ: «هو مش اختلاف الأئمة رحمة برضو ولا إيه؟».

ردت أم أيمن: «أولًا وجب هنا الاستغفار؛ لانك نفختي، وده حرام، زي ما كلنا عارفين.. وثانيا اختلاف الأئمة نقمة مش نعمة»..

قبل أن تفكر ليلى حتى في ما تتحدث فيه أم أيمن، كانت التانية قد طرحت بالفعل استفتاءً عن نوعية الأسئلة أو بمعنى أصح الأجوبة اللي هم محتاجينها، وواقفين عندها.. وانحصرت في الاغتسال بعد التطهر من الجنابة، التي وصفتها باللفظ بأنها نوع من أنواع «النجاسة»، وأكدت أن الاستحمام مش كفاية وإنما كمان الوضوء بعد الاستحمام!!!

استغربت ليلى وسألت بسلامة نية: «وهو يلزم الوضوء ليه إذا كنت داخلة استحمّى، علشان أتطهر من الجنابة وأصلي يعني نيتي هي الوضوء؟».

قاطعتها واحدة من الموجودات، وهي بتضحك: «النية في البطانية يا ليلى»..

نظرت إليها ليلى، وقالت: «ماشي في البطانية في البطانية، بس يعني العمل إيه؟».

ما كان يلفت نظر ليلى هو أن كثيرًا من الموجودات كن بيتكلمن ويقاطعن المعلمات كلهن، ولكن في الأمور البسيطة؛ وخصوصًا لو كانت خارجة عن الأخلاق!

مالت عليها سميرة التي كانت تجلس خلفها وقالت لها: «شكله يهمك أوي موضوع فقه الطهارة ده... ياعم ياعم ياللي لسه بتتشاقي!!!».

قالت أم أيمن مقاطعة الحديث والنظرات: «زي ما قلت لك.. التطهر من النجاسة شيء والوضوء شيء آخر، لابد وأن يحافظ عليه المسلم في كل الأوقات»..

ليلى: «وهي نجاسة ولا جنابة؟».

أم أيمن: «تقريبًا مفيش فرق... من ليس على وضوء، فهو جُنب؛ أي غير طاهر، وأنتم عارفين طبعًا كلكم المصدر، سواء كان السائل المنوي أو حتى المزي»..

ليلى: «يعني إيه مزي؟».

طبعًا ماسلمتش من الضحك..

ردت أم أيمن: «ساعات تعاني بعض السيدات من مشاعر مثيرة؛ بسبب قبلة أو كلمة والعياذ بالله؛ خصوصًا لو لم تكن مختنة، تتسبب في نزول سائل لونه أبيض يسمى المزي»..

فضلت ليلى أن تلتزم الصمت وألا تتدخل في هذه النوعية من الأحاديث.. بينما أكملت أم أيمن: «إن الرجل والمرأة بطبيعتهما إذا شعرا بشيء من الشهوة وشيء من اللذة الجنسية بالتفكير أو الكلام مع الزوج مثلًا أو بالنظر، فكل ذلك يثير الشهوة في النفس، فيخرج حينئذ (المزي) من الرجل ومن المرأة سواءً بسواء.. وللمرة المليون، وجبت معهما الاثنان الطهارة الكاملة احتياطًا»..

واستلمت إحدى المعلمات الحاضرات دفة الحديث من أم أيمن وأكملت: «السبب في هذه المشاكل أحيانًا تكون الملابس المثيرة التي ترتديها المرأة في بيتها وعدم احترامها لنفسها وللملائكة الموجودين معها في البيت... والغفله عن أن العورة لا تٌكشف الا للأم فقط!!!!!!!!!!!!!!!».

فأكملت أم أيمن: «عندك حق طبعًا... ما يظهر من المرأة غالبًا في البيت، ليس هناك ما يدل على جوازه من كتاب أو سنة، وهو أيضًا طريق لفتنة المرأة والافتتان بها من بنات جنسها!!!».

ونظرت للموجودات وتأكدت من انتباه الجميع، وأكملت بمنتهى الثقة: «إننا نغفل عن شيء مهم جدا في حياتنا، وهو عورة المرأة أمام النسـاء والمحارم، كثير مننا افتكروا إن عورة المرأة بالنسبة للمرأة كعورة الرجل بالنسبة للرجل ، أي ما بين السرة إلى الركبة!!! رأي باطلٌ تمامًا.. فالمرأة كلها عورة فلا يجوز مع هذا الإطلاق أن ندخل عليه قيدًا من عند أنفسنا إلا بنص من كتاب ربنا أو سنة نبينا صلى الله عليه وسلم..

كما أننا نغفل عن أشياء كثيرة، من أهمها والعياذ بالله أن تكون الخادمة ليست على ديننا الحنيف، وهنا فإن ما يظهر أمامها، كأنه ظهر أمام رجل أجنبي.. ونتحرك أمام هذه الخادمة وكأننا كاسيات عاريات وهو ماحذر منه نبينا الكريم.. وهو أن تكتسي المرأة ما لا يسترها فهي كاسية ومعنى الحقيقة عارية مثل من تلبس الثوب الرقيق، الذي يشف بشرتها أو الثوب الضيق الذي يبدي تقاطيع جسمها، أو الثوب القصير، الذي لا يستر بعض أعضائها؛ فالمتعين على نساء المسلمين التزام الهَدْي، الذي كانت عليه أمهات المؤمنين ونساء الصحابة رضى الله عنهن... كما يجب على نساء المسلمين الحذر من الألبسة، التي فيها تشبه بالكافرات والعاهرات طاعة لله ورسوله، ورجاءً لثواب الله وخوفًا من

عقابه، كما يجب على كل مسلم أن يتقي الله فيمن تحت ولايته من النساء، فلا يتركهن يلبسن ما حرمه الله ورسوله من الألبسة الخالعة والكاشفة والفاتنة..... نسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين، وأن يهدينا جميعًا سواء السبيل، إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم عن نبينا محمد وعلى آله وصحبه».

بالطبع، صدم هذا الكلام ليلى وفاجأها، وتسبب في إبعادها أكتر وأكتر عن حياتها؛ خصوصًا عن خالد، الذي أصبحت تختلق له الحجج والأعذار حتى لا يلمسها في أي وقت.. حتى وقت العربية والتي كانت معتاده هي وخالد أن يقضيا فيها أسعد لحظاتهما، وهم يتشاركان في تكملة أغنية لأم كلثوم بعد مشوار طويل، ممسكًا يدها أصبحت تتحاشاه، وتحاول النزول من العربية بمجرد وصولهما..

ورغم أنها كانت لا تتنازل عن الجلوس بجواره في العربية، فقد أصبحت تجلس في الخلف، عندما يكون معها أمها وأبوها أو حماها وحماتها متفادياه؛ لأنه كان دائمًا ما يمسك بيدها، بل ويقبلها، وكانت هي الأخرى تمسك بيده وكأن يديهما تتحدثان، ولكنها بعد أن استمعت للحاجة، وهي تشدد على ضرورة البقاء على وضوء في أي وقت، وليس وقت الصلاة فقط، وأن مجرد اللمس والإحساس بأي شيء ينقض الوضوء!

امتد تشددها لكل ما هو حولها، حتى شمل ابنها عمر الذي شعر بتوعك في يوم وقت الفجر، ودخل عليها حجرتها في يوم، وكانت قد انتهت من الصلاة والتسبيح، وكانت ترتدي الإسدال فوق قميص النوم، وكانت توشك بأن تخلع إسدال الصلاة، ولما رأته فزعت تمامًا، وصرخت في وجهه قائلة: «دَّور وشك يا عمر ماتبصش!!!». وأعادت ارتداء الإسدال مرة أخرى، ورغم أن الضوء كان خافتًا في الأصل، وأنها لم تكن ترتدي شيئًا عاريًا أو شفافًا، إلا أن الولد اندهش لما فعلته أمه، وعندما استيقظ خالد على صوتها، لم تجد ما تقوله له غير أنها فزعت؛ لأنها وجدت عمر في الحجرة!

حتى إيمي الفليبينية، والتي تعمل عندها وتعيش معها منذ أكثر من عشر سنوات، والتي كانت محل حبها وثقتها، بدأت تفكر في ألا تعيدها من الفلبين.. بل إنها كانت ترفض أن تعطيها لأحد من صديقاتها؛ فهذا إثم؛ لأنها سوف ترضى لغيرها مالم ترضاه لنفسها... وفكرت أن تعطيها لأي صديقة من صديقاتها المسيحيات، ولكنها فضلت انها تسأل في الأول!!!

وبالفعل اتصلت بالحاجة في التليفون، وسألتها واندهشت من جواب الحاجة: «إنت أصلًا مش المفروض يكون ليكي علاقة بنصارى»..

ليلى مستفهمة: «نصارى؟!

الحاجة: «أيوه... اللي بتسموهم مسيحيين.. وبعدين فين عورة المرأة على

المرأة الأجنبية؟ ما أخدتوش الدرس ده ولا إيه؟».

ليلى: «أخدناه.. بس مش عارفة أعمل إيه؟».

الحاجة: «تسفريها بلدها إذا كنتي مش قادرة تقنعيها أن تُسْلِم!!!».

الفصل العاشر

البُعْد جَفا

في هذه الفترة، كان خالد في مؤتمر سنوي في أمريكا، وكالعادة اعتقد أن ليلى سوف تكون معه كعادتهما كل سنة، ولكنها رفضت متعللة بانشغالها بالأولاد والجمعية، ولكنها في قرارة نفسها كانت تطيع الحاجة التي وصفت السفر إلى هذه البلاد، دون سبب قوي، بأنه سفر إلى بلاد الكفر والفجور!!!

من وقت عودة ليلى للجمعية بعد عزاء والد نهى، وهي مهتمة بأن تعرف موضوع الدبلة «دبلة الجواز والتي قالت الحاجة أن ارتداءها مكروه جدًّا» وبالفعل بمجرد رؤيتها للحاجة تدخل من الباب، انطلقت إليها تستفسر عن الموضوع؛ لأنه لم يكن واضحًا بالنسبه لها على الإطلاق.

وبالفعل قابلت الحاجة التي أخذتها إلى داخل الصالة المملؤة بالسيدات، وجلست ليلى مكانها، وبدأت الحاجة الدرس بمحاضرة عما سألتها ليلى بخصوصه..

قالت الحاجة: «اختصارا للكلام الكتير ومنعًا للبلبله أنا هقول لكم الموضوع نقلا عن الشيخ ابن عثيمين.. إن الدبلة للرجال أو النساء ليست من الأمور المبتدعة بس، وربما تكون من الأمور المحرمة، وده لأن بعض الناس يعتقدون أن الدبلة سبب لقاء المودة بين الزوج والزوجة، وأحيانا بعضهم والعياذ بالله يكتب على دبلته اسم زوجته وتكتب على دبلتها اسم زوجها، وكأنهما بذلك يريدان دوام العلاقة بينهما، وهذا نوع من الشرك لأنهما اعتقدا بأنها سبب لم يجعله الله سببًا لا قدرًا ولا شرعًا، ومنهم أيضًا من يتشاءم لنسيانها في حالة خلعها للاغتسال مثلًا، أو لأي شيء وهذا التشاؤم حرام... فما علاقة هذه الدبلة بالمودة والرحمه أو المحبة، وكم من زوجين دون دبلة، وهما على أقوى ما يكون من المودة والمحبة، وكم من زوجين بينهما دبلة، وهما في شقاء وعناء وتعب.. فهي بهذه العقيدة الفاسدة نوع من الشرك، وبغير هذه العقيدة تشبه بغير المسلمين؛ لأن هذه الدبلة متلقاة من النصارى واليهود!!!

كانت ليلى طوال الدرس شاردة في الطريقة التي ستقنع بها خالد لتخلع دبلتها؛ خصوصًا وأنها لم تحركها من يدها من يوم خطوبتها.. حتى التاريخ المكتوب عليها بجانب الاسم، هو تاريخ أول مقابلة لهما وليس حتى تاريخ خطوبتهما أو زواجهما!!!

وفعلًا بعد أن ذهبت إلى بيتها وجلست مع خالد، تعمّدت أن تسأله: «إيه رأيك يا خالد.. أنا عاوزة أقلع دبلتي الدهب، وألبس مكانها دبلتي الألماظ»..

خالد باستغراب خفيف: «بدل دبلتك الدهب؟ ليه؟ إشمعني!!».

ليلى: «خلاص يا خالد... أنا مش عارفة أنا سألتك ليه أصلًا... أنا لو كنت قلعتها،

عمرك ما كنت هتاخد بالك».

خالد: «ومن إمتى بقى بتعملي حاجة مهمة من غير ماتاخدي رأيي ولا تسأليني؟ ده على اعتبار إني كنت لما بمسك إيدك في العربية، مش بقعد ألعب في الدبلة ولا نسيتي زي ما نسيتي إن إحنا متجوزين؟!!!».

وتركها خالد وقام من المكان.. لم تكن ليلى منشغلة فقط بموضوع الدبلة، ولكنها كانت منشغلة أيضًا بالبحث عن الطريقة التي سوف تصرف بها إيمي من العمل عندها.. فقررت أن تقلص من دورها؛ خصوصًا مع الأولاد وغرف نومهم وملابسهم ومتعلقاتهم الشخصية وبالذات هانيا؛ لأنها كانت معرضة لتغيير ملابسها أمام إيمي، وهي حرمة بنتها، التي لابد أن تحافظ عليها.. وبدأت تجعل أعمالها خارج البيت بقدر الإمكان مثل الاهتمام بالجنينة والحمامات والصالونات والمكواه... حتى الطبخ قلصت دورها فيه؛ لأنها تستعمل يدها الشمال، وهي محرم استخدامها، وكأنها خلقت لتكون للزينة وكذلك البسملة التي لفتوا نظرها بأنه لا يجوز أن نأكل من يد غير الكتابيين أو أن تضع إيدها في ما نتناوله.. حتى نظافتها الشخصية أصبح مشكوكًا فيها!!! ونسيت السنين الطويله اللي خدمتها فيهم هي وزوجها وأولادها وأهلها كلهم، بكل الحب والاحترام والنظافه!!!

ومرت الشهور، وليلى من درس إلى آخر ومن داعية إلى أخرى، ولكن الأولوية طبعًا كانت للحاجة سامية، ليس فقط بالنسبه لليلى، ولكن لكل من يريد حضور درس ويستمع ويرى.. وكان «يا بختها» من توافق الحاجة سامية على أن تذهب إليها أو أن يكون الدرس أو حتى العزاء في بيتها!! واقتربت ليلى أكثر فأكثر من الحاجة حتى أن «شلة» الجمعية أدركوا أهميتها، ورأوا درجة تقربها من الحاجة، وأصبحوا يتوددون إليها، وكأنهم يريدون أن يستعملوها كواسطة للحاجة في درس أو قبول اسم جديد، يدخل إلى الجمعية أو خلافه... وأصبحت هي من نفسها تعرف ما الذي سوف توافق عليه الحاجة وما الذي سوف ترفضه..

وبالطبع، كانت للدروس استعدادات وطرق مختلفة؛ خصوصًا في البيوت، فالحاجة سامية لم تكن توافق أبدًا على الانتظام، في درس أسبوعي في بيت من بيوت تلميذاتها، مهما كانت درجة حبها لها... فكانت دائمًا تفضل الجمعية حتى يكون لها رونقها، وتحتفظ بأهمية دروسها التي كانت أقوى من أي درس آخر، ولكن كانت توافق على درس رقائق كل شهر أو حتى شهرين في بيت، تكون على معرفة تامة بأصحابه، وكان هذه ما يميزها عن غيرها من الداعيات، بالإضافه طبعًا إلى الشخصية الجذابة والعلم الواسع.

في هذا الوقت نفسه، انتشرت «ديدي» وهي داعية أخرى صغيرة السن، وكانت لها دروس شبه يومية في أكثر من بيت.. وبدأتها بدروس للبنات صغيرات السن، وسرعان ما تحولت جلسة الأسئلة إلى درس أسبوعي دائم، وارتفع عدد الحاضرات من اربع أو خمس بنات إلى عشرين وأحيانا ثلاثين بنتًا... وبالطبع بهر هذا الكثير من الامهات، التي طلب الكثير منهن الاستماع إلى ما تستمع

إليه بناتهم، بل وسؤالها هي شخصيًّا عن رأيها في كثير من الأمور المهمة لحياتهم، وكانت هذه هي بدايتها... وبدأت المجالس تعقد يوم الاثنين في القطامية، ويوم الأربعاء في 6 أكتوبر، ويوم الأحد في مصر الجديدة.. وكان لها مريدوها أيضًا في كل مكان، حتى أن بعض من كن يحضرن درس الأحد يذهبن إلى درس الأربعاء أو الاثنين والعكس و.. هكذا...

كانت ديدي نفسها تحضر دروس الحاجة سامية، وتتواجد فيها بحكم تفرغها وأحيانًا كانت توليها الأهتمام أكتر من دروسها هي نفسها، وكان هذا منتهى الذكاء منها لأن دروس الحاجة سامية قليلة نادرة، والكل كان يرغب في حضورها على عكسها هي.. فلم تكن تجد حرجًا في إلغاء أحد دروسها، ودعوة المقربين والذهاب إلى درس للحاجة «بعد الاستئذان طبعًا».. وكانت تجلس وكلها آذان صاغية للحاجة وللدرس، وبالطبع الاهتمام والأسئلة كانت دائمًا توجه للحاجة، وهي مستمعة ومنصتة وكأنه اتباع لقول «إذا حضر الماء بطل التيمم»، ولم تكن تغضب أو تشعر بالغيرة لعدم سؤالها هي، وإنما كانت تستمع إلى السؤال، وتستمتع بالإجابة وطريقتها..

كانت ديدي في نفس عمر كثيرات ممن يحضرن درسها، وإن لم تكن أصغر، وكانت مختلفة تمامًا عن جميع الداعيات في هذا الوقت.. كانت ترتدي العباءة السوداء والطرحة السوداء وكانت تضع بعض الماكياج البسيط، لتنفي تزمتها وتعطي فرصة لمن حولها بأن يشعروا بأنها مثلهن، بسيطة وسلسة ولا تحرم ولا تمنع..

وفي مرة، وأثناء حالة وفاة شاب صغير، استنجد أهل الميت بليلى بأن تحضر لهم من تتحدث إلى الأم وتهدئ من روعها، ونظرًا لأن الوقت كان متأخرًا، فلم تشأ ليلى أن تفكر حتى في أن تتصل بالحاجة سامية،
ولا أي أحد من أتباعها، وفضلت الاتصال بديدي حتى تذهب هي إلى بيت العزاء... وفعلًا ذهبت واستقبلتها ليلى، ولكن بعض المتشددات في البيت رفضن الاستماع لها ووصفنها بالمتبرجة!!! ولكن ولأن الأم لم تكن في حالة تسمح بالكلام والشد والجذب، انصاع الجميع، وجلست ديدي وتكلمت في الابتلاء والصبر، وكان لها ثواب تهدئة الأم ولو مؤقتًا..

كان لدى ديدي مريدوها هي الأخرى، وكانت معظم معلوماتها من الكتب العادية ومن دروس الحاجة سامية.. وكانت دارسة تجويد بسيط؛ حتى تتمكن من أن تكون الإمام في الصلاة، ولكنها لم تكن دارسة للعلم الشرعي.. لم تنتبه ديدي لما انتبهت إليه الحاجة من وضع حدود بينها وبين مريديها وكان هذا هوالخطأ الذي وقعت فيه.. فنتيجة لدخول ديدي هذه البيوت، اعتبرت أن هؤلاء السيدات صديقاتها وبدأت بالاستماع إلى مشاكلهن الشخصية، والتدخل في خصوصيات بيوتهن «برغبتهن»، دون أي قلق أو خجل واعتبرن أن الحديث في كل المواضيع معها ما هو إلا حق مكتسب لصاحبة المشكلة والمستمعة إليها..

هذه العلاقة جعلتهم يتقربون منها أكثر، وجعلها هي على دراية بكل مشاكلهن وشخصياتهن، وسهل لها طريقة التعامل مع كل واحدة، ومعرفة ما يضايقها وما يرضيها.. وتوطدت العلاقات أكثر، فأصبحن يتهافتن على دعوتها في الخروجات وحتى السفريات، وساعدهم على ذلك تفتحها، فهي لم تكن منغلقة على نفسها مثل الداعيات الاخريات كلهن، بل كانت تدعو في الكافيه وعلى البحر، وفي البيوت وفي كل مكان، وكان لهذا أثر جيد على الكثيرات اللاتي شعرن بأن الدين ليس كله أبيض وأسود، وحلال وحرام فقط..

من مميزات ديدي أيضًا، كانت عدم الفتوى فيما لا تعرفه، وإن أصر عليها أحد في فتوى أو رأي صعب كانت تتملص بأدب، وتطلب مهلة حتى تسأل، وعندما كانت تعود بالإجابة أو بالفتوى، كانت تقول المصدر حتى
لا تقع في شرك الفتوى وتحمل مسئوليتها.

لم تكن الدروس مقتصرة على الداعية فلانة أو الحاجة علانة، وإنما كان للشيوخ أيضًا نصيب الأسد منها، وكذلك انتشارهم على الفضائيات الذي شجع على إعطاء الدروس المختلطة في البيوت، وهو ما كانت كثير من الداعيات تحرمه مثل الحاجة سامية وتلميذاتها، وكن يقولن «ده مش درس ده خلطة والخلطة غلطة» وكثيرًا ما كانت الحاجة تحذر الحاضرات في مجالسها من الحضور إلى هذه الدروس المختلطة..

وفي هذه الفترة، تعرض الكثير من هؤلاء الشيوخ والداعيات للظلم؛ خصوصًا عندما كانوا يُحرّمون شيئًا ما أو يحذرون منه كثيرًا، فماكان لهذا المنع إلا أن يقابل من بعض الحاضرين بالاستهزاء والهمز واللمز... ومنهم من كان يعرض أحيانًا مشكلة من المشاكل، تتطلب جمع التبرعات لحلها، فكان يقابل بالهجوم والرغي من تحت لتحت، والتلميح بأن هذه التبرعات تجمع لتساعد وتمول عمليات مجهولة الهوية ولا تأتي على الدولة إلا بالفساد والدمار.. وعلى الصعيد الآخر، كان كثيرون منهم يقومون باستضافة هذه الدروس في بيوتهم، كنوع من أنواع البركة، التي سوف تعود بالنفع على أهل البيت والحاضرين إن شاء الله..

في هذه الفترة ودون قصد، تطبعت ليلى بطباع كثيرة، ودون أن تشعر بدأت في تكرار ما تسمعه دون التفكير فيه، وكانها بغبغان؛ مما كان يتسبب في صدامات كثيرة مع كل من حولها؛ خصوصًا خالد وأبيها. ورغم أن خالد قد دعي إلى الكثير من هذه الدروس المختلطة، ولبى الدعوة، إلا أنها كانت تذهب معه على استحياء بعد تحريم الحاجة للذهاب، ولكنها كانت تحثها ألا تترك زوجها يذهب وحده؛ لوجود الكثير من السافرات في هذه المجالس بحجة سماع الدرس، إلا أن غرضهم الأساسي هو اصطياد زوج مناسب.. وبالطبع خالد بالنسبة للكثيرات ما هو إلا «لقطة»!

كثرت الصدامات بين ليلى وخالد وكل من حولها على أشياء تافهة، تصر على فعلها وعلى إجبارهم عليها مثل إن أي ذكر لله أو التسابيح، لابد وأن يكون

بهمهمة أي بتحريك الشفاه ولا يجوز أن يكون في السر... كما أن السفر أصبح محرمًا؛ خصوصًا في فترة الصيف إلى الساحل مع خالد والأولاد وأهلها وأهل خالد..!! فالسفر لوحدها كما كانت تفعل أصبح محرمًا لعدم وجود محرم معها لو كانت وحدها.. ولو كانت مع السائق فلا يجوز لأنه غريب عنها.. وكثرت الاختلافات لأنها كانت تترك الأولاد مع أهلها وأهل خالد، وتعود للقاهرة حتى لا تترك خالد وحده، كما كان ذهابها أحيانًا بعد ضغط شديد من أهلها، وتعهدهم لها بأن يتركوها في خلوة وحدها.. وبالفعل كانت تذهب ولا تتحرك من البيت إلا إلى البحر في أوقات، تتأكد فيها من عدم وجود أي أحد هناك.. وكانت تجلس أمام البحر وتذكر الله وتسبح وتستغفر وتقرأ القرآن فقط.. ولم تكن تتحرك خارج هذا الإطار، إلا إذا علمت أن هناك درسًا في أي مكان لإحدى الداعيات أو للحاجة سامية، التي كانت تتواجد هناك بحكم الدعوة والهداية لمن هم في هذه الأماكن، والغافلات عن ذكر الله!

ولم تكتف ليلى بتطبيق ما تعلمته على نفسها والقسوة عليها، بل بدأت تطبقه على كل من حولها... فأصبحت تحدد الألوان المسموح بارتدائها طبقا لتعاليمها والبعد التام عن الألوان الزاهية بما فيها الأبيض .. فأثر هذا بالكآبة، ليس فقط على مظهرها، وإنما أيضًا على طريقة تصرفاتها وأسلوب حياتها..

وبعد عودة حماتها من إحدى سفرياتها، ذهبت ليلى لتسلم عليها، وكانت معها والدتها.. كانت نجوى والدة خالد عائدة من باريس، وتعلم جيدًا مدى تعلق ليلى بأحدث خطوط الموضة العالمية، حتى من بعد ارتدائها للحجاب، وأحضرت لها إيشاربات للرأس من أرقى الماركات وحذاء من أرقى الماركات!! وكانت المفاجأة في عدم تقبل ليلى للهدايا تمامًا!

قالت ليلى بهدوء واستنكار: «معلش يا طنط، مش هقدر آخد الحاجات دي؛ خصوصًا الحذاء لاني مش هقدر ألبسها!».

حماتها، وهي مستغربة: «ليه يا ليلى... دي آخر موضة ومقاسك ولّا مش عجباكي؟».

ليلى بعد إصرار حماتها ونظرات أمها الثاقبة: «أنا ماعدتش بعرف بقى الألوان الموضة.. لكن لو على المقاس، هي مقاسي أكيد يا طنط.. لكن مش دي المشكلة... القضية إن أنا خلاص الحمد لله ماعادش ينفع ألبس حذاء لونه غير أسود ده إذا كمان استثنينا إنها بكعب رفيع، وده مكروه!!!!!».

استغربت الأم وبحدة الحماة، وردت أمها بحدة: «مكروه يعني إيه؟؟؟ هو إنتِ غيرتي كلمة «حرام» لما لقيتيها بتستفز الناس، وبقيتي تقولي «مكروه» ولا إيه؟».

ردت ليلى بقوة: «لا، يا مامي... اللي حضرتك ماكنتيش تعرفيه إن الست المحترمة لازم مشيتها تبقى معتدلة، ولا أثر ولا صوت ليها على الإطلاق؛

خصوصًا للي بيلبسوا الكعوب العالية اللي هي غير جائزة شرعًا؛ علشان كده «الجزم» المغلقة واللي بدون كعب على الإطلاق في المشي، هي اللي ممكن نلبسها»..

الأم: «إنت مالك قلبتي كده، كأنك بتسمَّعي؟ وهي اللي بتلبس الكعب العالي بتبقى مش بتمشي على استحياء؟ بتبقى فاجرة يعني؟!».

ليلى: «الكعب العالي حرااااام ولا يجوزإطلاقًا لأسباب كتيرة منها لفت النظر والتعالي، ويعتبر من التبرج اللي ربنا سبحانه وتعالى نهى عنه.. وممكن يعرض المرأه للوقوع والكسور أو آلام الضهر، وده مخالف لأمر الله تعالى اللي معناه ولا ترموا بأنفسكم إلى التهلكة ... وعلى فكرة ده مش رأيي ولا رأي أي معلمة من المعلمات، اللي إنتم مش بتعترفوا بيهم.. ده رأي الشيخ ابن عثيمين رحمه الله!».

الحماة: «الضرر ده يقع يا ليلى يمكن قصده، لو إنتِ لابساها، ومش بتقلعيها خالص من رجلك.. لكن لو على أد المشوار ولا الخروجة إن شاء الله ولا هتقعي ولا ضهرك هيوجعك»..

الأم: «إيه يا نجوى اللي بتقوليه ده.. إنت هتسايريها في الكلام ده؟! وحتي لو حصل.. مش برضو ربنا كاتب إنه هيحصل حتى لو كنتي حافية؟».

ليلى: «مامي... أنا مش هجادل حضرتك لأنه حرام»..

الحماة بأسى: «طيب خلاص يا ليلى بلاش الجزمة.. الإيشاربات والبرفان برضو لأ؟».

ليلى باستهزاء، بعد أخذ نفس عميق: «يا طنط الطرح دي «شهرة»..».

الأم: «شهرة؟ شهرة لمين يعني؟!».

ليلى: «مامي.. كفاية بقى.. البتوع دول والعياذ بالله شبه الكاش مايوهات.. البسهم على راسي إزاي يعني بألوانهم دي؟».

وأكملت، وهي تبكي: «يا جماعة بصراحة إنتوا تَعَبْتوني أوي.. بدل ما تفرحوا بيّا وتشجعوني على طاعة ربنا، عمّالين تكسروا في مقاديفي!!».

ظلت الأم مذهولة، وهي تنظر إلى ليلى.. أم ليلى وحماتها مذهولتين تمامًا بالإنسانة الجديدة... غير مصدقتين بالمرة أن هذه هي ليلى، التي كانت حياتها كلها لهم تحبهم وتودهم وتعطف عليهم، وتملأ البيوت بالبهجة والفرحة.. وظلوا ينظرون إليها غير مصدقات لعيونهن، والأهم أن الأم والحماة لم يكن عندهم من الحجة ما يردون به على ليلى، بل كانوا يشفقن عليها من قسوتها على نفسها وعليهم.

نجوى: «وحاجات هانية وعمر هي كمان حرام؟».

ليلى: «يا طنط أنا مش عايزة أزعل حضرتك.. هدوم هانيا عريانة والمايوهات

بيكيني ومستحيل ألبِّسها بيكيني تاني.. خلاص.. حاجات عمر عادية مافيهاش حاجة.. وعمومًا ميرسي والله على تعب حضرتك»..

نجوى بأسى: «خلاص يا ليلى الحاجات جت على اسمكم، وهي حاجات بسيطة وهايفة أوي، إننا نعمل عليها المشكلة دي... خديهم
يا حبيبتي، وابقي حطيها في الدولاب أو هادي بيهم حد من أصحابك»..

ليلى باستغراب: «أهادي بيها حد من أصحابي؟!!! الحاجات الهايفة البسيطة دي كفيلة بإنها تشويني في نار جهنم.. وبعدين إزاي أرفض الوزر على نفسي وأرضاه لغيري؟ وبعدين...».

الأم بنرفزة: «ولا بعدين ولا قبلين... آل حرام آل... حرام إيه يا أم حرام إنت؟؟؟ كلمة حرام دي كلمة كبيرة أوي... حرمت عليكي عيشتك..».

فزعت ليلى من حدة الأم ودموعها، وردت بقوه ومن غير نفس.. ولكن في محاولة لإرضاء أمها وحماتها، قالت: «أنا آسفة بس إنتم اللي ضغطتّوا عليّا بصراحة»...

المواقف المشابهة تكررت أكتر من مرة وفي أكتر من موقف، ومع الأم والحماة؛ لاسيما في موقف وفاة عم خالد، إذ ذهبت ليلى لصلاة الجنازة في مسجد السيدة نفيسة بالعافية، بعد أن استأذنت الحاجة لأنها كانت متأكدة بأن خالد سوف يصعّد المشكلة، ولم تكن تستطيع إقناعه تمامًا كما لم تقتنع هي أيام عزاء والد نهى... وذهبت للمسجد متضررة، واعترضت على كل شيء في صلاة الجنازة، ابتداء من المكان والبنات الموجودات في المسجد، وملابسهن المخالفة والبنطلونات المحرّمة التي يرتدينها.. والسيدات كبيرات السن؛ إذ لم تتكفل أي منهن بحكم ربط الطرحة على رأسها، مؤكدة أنهم بتلك الأفعال يزيدون من عذاب الميت..

وجاء موعد العزاء في الحامدية الشاذلية، فاعتذرت ليلى لحماتها عن عدم استطاعتها الذهاب لاضطرارها إلى الجلوس عرفت أنه مع هانيا لمساعدتها في أمور مهمة تخص المدرسة.. وأصبحت حماتها تتقبل كلامها دون نقاش؛ خوفًا من أن تخسرها، وكانت دائمًا ما تقنع نفسها بأن ليلى في مرحلة حرجة، وسوف تخرج منها إن شاء الله...

عندما علمت أمها ما دار بينها وبين حماتها، تجاهلت الأمر واتصلت بها وكأنها لا تعلم شيئًا..

الأم: «إيه يا ليلى... إنتِ فين؟!».

ليلى: «في البيت يا ماما.. خير؟».

الأم: «فيه إيه يا ليلى؟ أنا كل ما اكلمك دلوقتي تقوليلى خير؟ أنا بطمِّن عليكي، مش عاوزة منك حاجة... هعدّي عليكي بالسواق الساعة 6 ونص كده علشان نروح العزا مع بعض».

ليلى: «بقول لك إيه يا ماما.... أنا مش هأقدر أروح.. أظن طنط قالت لك»...

الأم: «يعني إيه؟».

ليلى: «يعني حرام يا أمي، وإنت مايرضيكيش إني أبقى طالبة علم شرعي وآخد وزر عظيم كده.... ده أنا نفسي إن إنتم كمان ما تروحوش»..

الأم: «علم شرعي؟!!! والله العلم الشرعي ده هيجيبك ورا... دلوقتي الحامدية الشاذلية بقى حرام... ده إحنا فيه كل يوم.. إيه الجديد؟».

ليلى: «الجديد هو العلم... الجديد إني ربنا عافاني، وعفى عني ونوَّر طريقي»..

الأم: «هو إنت رايحة تصلي فوق المقام؟ إنت مش هتصلي أصلًا»..

ليلى: «مامي.. مش جاية.. حراااااام»..

الأم: «بلاش كلام فارغ.. ما ينفعش ماتجيش عزاء عم جوزك»..

ليلى: «لأ، ينفع... أمال اللي ينفع نار جهنم اللي عاوزني أتشوي فيها... علشان أبسطكم؟».

الأم: «وهي طاعة ربنا إنك تقولي لأمك لأ، وتكلميني بالقسوة دي أصلًا؟!».

ليلى: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق يا ماما»..

الأم: «بس أنا مش بس مخلوق يا ليلى يا هانم يا بتاعت العلم الشرعي.. أنا أمك، والنبي عليه الصلاة والسلام قال «أمك» 3 مرات، وعمومًا براحتك»...

وقفلت السكة في وشها لأول مرة في حياتها!!

وطلبت الحاجة تسألها عما يجب عليها أن تقوم به، وبعد مناقشات ومداولات ومحاولات من الحاجة لإقناعها بعدم الذهاب، ومحاولات وليلى، وخوفها من أن عدم ذهابها يتسبب في مشكلة عائلية، قالت الحاجة لها: «خلاص... روحي يا ليلى والزمي الاستغفار... إحنا مش عاوزين أمك تغضب عليكي وتبلغ جوزك والمشكلة تكبر، ويقول لك ماتروحيش الجمعية... وحاولي ماتقعديش كتير، واوعي تصلي هناك تحت أي ضغط... والزمي الاستغفار وربنا معاكي!!!».

وفورًا طلبت ليلى حماتها ووالدتها، وعملت كونفرنس زي زمان:
«يا طنط أنا هَفوت على ماما بعد صلاة العشا، ونروح العزا إن شاء الله»..

قالت الأم في عجالة وفي تجاهل لليلى: «أنا نازلة دلوقتي يا نجوى مع السواق هعمل مشوار، وأجيلك على المسجد على طول.. ومش هستني للعشا.. ياللا أشوفك هناك بقى..»، وقفلت السكة متجاهلة ليلى تمامًا... وأكملت حماتها المكالمة معها قائلة: «براحتك... يا ليلى تعالي وقت ما أنتي عايزة.. ياللا باي، علشان أنا مشغولة»..

شعرت ليلى وقتها بالبعد عن أمها وحماتها، بعد أن كانا أقرب الناس لقلبها.

وفعلًا، وصل خالد وكانت «ليلى» منتظراه على الغذاء، وأكل سريعًا وقال لها: «أنا داخل أنام شوية علشان أنزل على طول على العزا... ماينفعش أتأخر... هتنزلي معايا ولا هتيجي مع طنط ولا هتعملي إيه؟».

ليلى: «لأ، هآجي أنا لوحدي.. إنت هتروح بدري قوي كده ليه؟!».

خالد: «ده عمي اللي اتوفى يا ليلى... أروح متأخر إزاي!!».

قاطعته: «اسمها «توفاه الله» يا خالد.... مش «اتوفى»..».

خالد: «ليلى.... ارحميني شوية وحياة أبوكي... أنا بجد زهقت أوي... كفاية بقى «قل ولا تقل» و«افعل ولا تفعل» اللي إنت معيشانا فيها دي....عاوزة تطبقي حاجة من الجمعية المجانيني بتاعتك دي يا إمّا تطبيقها على نفسك بس، يا إمّا تختاري الوقت المناسب إنك تتكلمي فيها وتفهميها للي أدامك، وهو بقى اقتنع أو ماقتنعش.. دي ترجع له هو!!!».

كانت ليلى على وشك أن تقترح عليه أن يصلي في البيت قبل نزوله، ولكنها تركت له الأمر متفادية وقوع مشكله أخرى.. وأرسلت إلى أمها رسالة مفادها أنها سوف تمر عليها بعد صلاة العشاء، وتذهب معها إلى المسجد، ولكن أمها لم ترد.

ودخل خالد نام، وعندما استيقظ، لم يتحدث مع ليلى، وقضى وقته على التليفون في ترتيب للنزول مع أولاد عمه، وأبيه واتجهوا إلى المسجد..

انتظرت ليلى حتى انتهت من صلاة العشاء وصلتها وصلت السنة وقرأت الأذكار، ثم اتصلت بوالدتها في البيت، فعلمت أنها قد نزلت فعلًا، ولم تنتظرها كما كانت متوقعة..

وطلبت ليلى أمها على الموبايل: «إنت فين يا ماما؟».

الأم: «في العزا واقفلي التليفون بدل ما أقفله في وشك تاني!!».

ليلى: «مش قلت لحضرتك إني هآجي معاكي؟».

الأم: «أنا ماكانش ينفع أقعد مستنياكي كل ده...ده واجب يا ست هانم... وياريت ماتضيعيش وقت... كل اللي بيدخل بيسأل عليكي»..

وذهبت ليلى إلى العزا بعباية سوداء وشنطة آخر شياكة وحذاء دون أي كعب!!!

وكان هذا هو أول ظهور لـ«ليلى» بالعباية «السوداء» في وسط مجتمع خالد وعائلته وأصحابه، ولم يكن مفاجأة لخالد، ولكنه لم يكن سعيدًا، وفي الوقت نفسه، لم يكن الوقت مناسبًا للوم والعتاب.

لما وصلت ليلى، كانت نهى هناك في مدخل المسجد جالسة بجوار عمة خالد ووالدته وزوجة عمه المتوفى، وقالت لها: «إيه يا ليلى اللي أخَّرك كِده؟!».

ليلى: «على ما لبست وصليت العشا يادوب».

نهى: «كنتي صليتي العشا هنا... إحنا كلنا صليناه في المسجد».

ليلى: «أنا مش عارفة إنت إزاي ماتعرفيش إن الصلاة في مسجد بمقام حراااااام!!».

نهى: «لا يا ماما ده لو بتصلي عند الضريح.. لكن إنت بتصلي في ساحة المسجد، وده مش حرام، وبعدين الموضوع في الأول والآخر اعتقادات ونية خالصة لوجه الله».

لأول مرة لم يرق كلام نهى لـ«ليلى»، وفضلت أن تصمت ولا تعلق عليه..

نهى: «خالد سأل عليكي مرتين علشان فيه واحدة صاحبتك جت عزت وإحنا كلنا مانعرفهاش، وبعدين راحت سلمت عليه قبل ما تمشي، وواحد صاحبه جه هو ومراته.. وبعد الربع ما خلص، جه ياخد مراته ويسلم عليكي، وبرضو ماكنتيش لسه جيتي».

ليلى: «مين ده كمان اللي كان جاي يسلم عليّا؟ أنا أصلًا بطلت أسلم على أي راجل.. أنا اتخنقت من الحرام اللي إحنا عايشين فيه!!».

نهى بصرامة: «يا ليلى النبي عليه الصلاة والسلام قال: «إنما الأعمال بالنيات».. فماتضيقيش الدنيا على نفسك أوي كده، علشان ما تتخنقيش»..

ليلى: «لأ، بقى من غير تضييق أنا زهقت، وخالد حاططني في دماغه اليومين دول وبيتلكك ليّ على أي حاجة... أنا كنت جاية مع ماما، وبعدين اتقمصت مني إمبارح، وجت لوحدها و...».

فقاطعتها نهى: «خلينا في خالد يا ليلى... طنط مافيش أطيب منها، وهي بس زعلت لما كسرتي بخاطرها، وقلتيلها إنك مش جاية العزا... حتى لما غيرتي رأيك، كانت خلاص بقى بتحبُك عليكي القمصة يا ستي... سيبيها تدلع عليكي شويه... لكن خالد بقى هو اللي إنت بقيتي واحدة تانية خالص معاه... أنا طبعًا ماكلمتوش، ولا هو كلِّمني.. بس شكلكم باين جدا إنكم متوترين طول الوقت»..

ليلى: «أنا مش عارفة أعمل له إيه... ما هو يا أغضَّبه يا أغضب ربنا!!».

نهى: «إيه اللي إنت بتقوليه ده؟!!! ده يتقال لو جوزك بيطلب منك حاجة لا سمح الله حرام... لكن رضا جوزك ده سكتك للجنة يا عبيطة... أنا اللي هعرفك ده؟!!! وبعدين خالد راجل محترم ومتدين وقاري ومثقف و...».

ليلى: «ماتكمليش.... ما هو قاري ومثقف دي اللّي جايباني ورا... كل ما أكلمه في حاجة يحللها ويفسرها على مزاجه..».

نهى: «لأ، وإنت الصادقه ده لولا إنه قاري ومثقف، كان زمانه طق وهج منك من زمان.... على فكرة إنت بقيتي لا تُطاقي!!!... يا ليلى ده إحنا كنا بنتعلم منك حُسن التبعل، اللي بالفطرة ومن غير ما تدرسيه»...

ليلى: «حُسن إيه؟ لا لسه مادرستوش!!! وده إيه بقى إن شاء الله!!».

نهى: «معاملتك لخالد زمان... إنك تراعي ربنا في زوجك وتحبيه وتخلي بالك منه وتدلعيه... هو ده حسن التبعل... ياللا القرآن اشتغل.. استغفري يا ليلى... خالد رضاه دلوقتي هو الأهم»..

لم يكن من الممكن أن تتقبل ليلى هذا الحديث من أي شخص غير من نهى فقط لثقتها فيها، وفي حبها الخالص لها ولعائلتها، ولأنها متأكدة أن مصلحتها تهم نهى في المقام الأول، كما مصلحة نهى تهمها..

انتهى العزاء وذهبت ليلى إلى حماتها وحماها الذين كانا يقفان على السلالم بعد سلامهم على المعزين، وقدمت لهما واجب العزاء. ورغم اندهاشه من شكلها بالعباية، إلا أنه اندهش أكثر، عندما اقترب منها أحد المعزين كبار السن، وتقدم ليسلم عليها مع زوجها وحماتها، ولكنها لم تقدم على السلام عليه، وارتبكت وقالت بمنتهى الاضطراب: «أنا آسفة
يا انكل، أنا مش بسلم!!!!».

وسادت لحظة من السكون والدهشة؛ خصوصًا من خالد، إلا أن الأب تمالك نفسه ونظر إلى زوجته، وكأنه يمنعها من إبداء أي تعليق... وأخذ الأب صديقه من يده وذهب به بعيدًا عنهم.. ثم ذهبت ليلى إلى أمها وأبيها وسلمت عليهم، ثم توجهت ناحية السيارة مع خالد.

لم ينطق خالد بكلمة، وكانت تشعر بالاستفزاز من والد خالد، بعد أن أخذ صديقه جانبًا، عندما رفضت السلام عليه، وبدلًا من أن تصمت، استدعت كل قواها وقالت لخالد: «أنا زعلانة من أنكل أوي... ليه أخذ أنكل عزيز، ومشيوا يتوشوشوا كده؟!!!».

نظر إليها خالد بطرف عينه، ولم يرد عليها، ولم يعرها أي اهتمام.

ليلى: «إيه البصة دي يا خالد؟!!! بدل ما تقول لي معلش ماتزعليش.. ولّا أكيد مش قصده ولا...».

قاطعها وقال: «لأ.. ياريت تحسي وتزعلي... ولأ طبعًا كان قصده وكتر خيره كمان، وإلا كانت هتبقى فضيحة... إنت مش بتشوفي نفسك بقيتي عاملة إزاي؟ ومش بس في المظهر، لكن كمان في الـ attitude ... تصرفاتك بقت موضع انتقاد، ومش مقبولة، وكل يوم تطلعيلي بتقليعة وكأنك بتزهقيني منك... بس اطمني.. أنا خلاص قربت أوي أزهق.. وأبيع القضية كلها.

ليلى مندهشة، مدافعة عن نفسها: «إيه شغل قلب الحقايق ده؟ بدل ما تفرح إني بصون نفسي وبصونك، وبطلت ألفت النظر في لبسي، وبطلت أسلِّم على رجاله أغراب و...».

خالد بمنتهى الازدراء: «بس بس بس والنبي... تصوني مين بالعباية دي والمنظر ده؟ إنت اكتر واحدة لفتي نظر الموجودين كلهم، فلو كان ده غرضك، يبقى برافو.. أما بقى بطلتي تسلمي على رجالة دي جديد، بس من إمتى؟؟؟

ولا وليدة اللحظه؟؟؟ بس هو فين الراجل ده أصلًا؟ أنكل عزيز؟ اتجننتي رسمي ده عنده 75 سنة... التمييز يا حاجة!!».

ليلى: «الماسك على يد امرأة أجنبية كالماسك على جمرة من النار يا سي خالد».

خالد: «لكل مقام مقال يا ست الحاجة.. بقول لك إيه إنت ابتديتي تسودي الدنيا في وشي، زي ما سودتيها في وشك.. وماعدتيش بتشوفي إلا السئ بس.. نية سيئة، تصرف سيئ أي حاجة سيئة ومسيئة، وهقولهالك يا ليلى وفكري فيها براحتك.. الدين هو إنك تحبي ربنا وتتعبدي فيه وتخلصي في عبادته.. الدين هو الابتعاد عن الحرام وفعل الحلال مش الابتعاد عن الحياة!!!».

وقبل أن تفتح فمها لتكملة الحديث، أكمل خالد: «مش عايز ولا كلمة في المواضيع دي تاني، ومفيش عبايات تاني على الأقل في الأوقات البسيطة، اللي بنقضيها مع بعض.. وغالبًا هتبقى في العزاءات أو الزيارات العائلية الطارئة».

صمتت ليلى متجنبة فتح أي مجال للحديث، حتى وصلا إلى البيت، وكان كل رأسها مشغولًا في أشياء كلها متناقضة؛ كلام خالد وإنذاراته... كلام نهى... حماها... أمها وحماتها... الولاد... الجمعية... إلى أن شعرت بثقل الضغوط، متجاهلة أنها هي نفسها من وضع نفسه في وسط هذه الضغوط!

عندما وصلا البيت، تركها خالد وذهب إلى أبيه؛ يتفقده بعد العزا وتركها، وانتهزتها ليلى فرصة للاتصال بالحاجة؛ لتحكي لها ما حدث بالتفصيل الممل، ومن وجهة نظرها بالطبع، وقالت لها الحاجة: «يا ليلى اللّي زي جوزك ده، لازم ييجي بالراحة يا حبيبتي، كده ممكن يمنعك إنك تيجي الجمعية!!».

ليلى: «طب أعمل إيه يا حاجة.. ده مش طايقني خالص».

الحاجة: «معلش بقى.. أمرك إلى الله... إدعيله بإخلاص جامد.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. حايليه وتقربي منه وراضية بأي شكل.. المهم تعدي الليلة، وبعدين ربنا يفرجها من عنده إن شاء الله»..

وفي وسط مكالمة الحاجة، رن تليفون البيت عند ليلى، فاستأذنت الحاجة وأنهت معها المكالمة؛ لترد لأنها كانت متوقعه أنها أمها أو حماتها، ولكنها كانت نهى..

فرحت ليلى وشعرت إن نهى هي ملاذها الوحيد لمصالحة خالد...

نهى: «إيه يا لولي... عامله إيه دلوقتي؟!».

وجدت ليلى - ودون أن تشعر - نفسها تبكي وتقول: «اتخانقت أنا وخالد خناقه كبيرة أوي وإحنا مروحين... حتى طلع على مامته وباباه، وما دخلش معايا على البيت»..

نهى: «هدِّي نفسك يا ليلى... أنا جايالك حالًا».

وفعلًا لم تنقض دقائق قليلة، إلا وكانت نهى وأحمد زوجها عند ليلى في البيت في انتظار خالد... وفي هذه الفترة، انتهزتها ليلى الفرصة وحكت لأحمد ولنهى ما حدث.. ورد عليها أحمد: «بصّي يا ليلى من غير زعل كده، إنت غلطانة... خالد بيحبك وطول عمركم رمز لكثير من المتجوزين حواليكم، حتى اللي لسه على وش جواز بيقولوا عايزين نبقى زي خالد وليلى.. ولكن إنت في الفترة الأخيرة تشددتي دون مبرر واضح... وبصراحة كمان بتختاري أوقات مش مظبوطة، تفاجئي خالد فيها بحاجات جديدة...».

لم ترتح ليلى للكلام وقاطعته: «حاجات جديدة زي إيه اللي فاجئته بيها دي؟».

أحمد: «إنت اللي بتحكي.. أنا مش جايب الكلام من بره... العباية في وسط عزا أهله وهم مافيهومش واحدة محجبة وإنت عارفة إنه مش بيحب العبايات السودة... وصاحب أبوه اللي عنده ولا 80 سنة، وفجأة النهاردة قررتي ما تسلميش على رجالة... طب ما إنتِ سلمتي عليّا وأنا داخل دلوقتي!!!».

ليلى بسلامة نية: «ما هو أنا خفت ما أسلمش عليكي، تتريق عليّا، وتقول لخالد والموضوع يكبر».

أحمد بحدة مؤدبة: «إيه المقاييس المقلوبة دي؟ خايفه أتريق عليكي ومش خايفة من ربنا؟ طب ده أنا أولى بقى من الراجل أبو 80 سنة، اللّي اتكسف في وسط الشارع... وبعدين إنت لو دارسة قرارك ده ومتأكدة منه، وعندك حجة تردي بيها على الناس ماكنتيش رجعتي فيه وبرضو دون تفكير»...

نهى: «ليلى إنت عاقلة طول عمرك... من إمتى بتلغي عقلك كده؟ ماتخليش حد يحركك... واعملي اللي إنت مقتنعة بيه وفاهماه... بلاش تمشي ورا حد وتقلديه لمجرد إنك فاهمة إنه على حق»..

ووصل خالد وكانت ليلى غارقة في دموعها... وسلّم على نهى وأحمد بسعادة وحب حقيقيين، وقال: «إيه المفاجآت الحلوة دي... بقالنا كتير أوي ماتجمعناش.. لأ ومرتين في يوم واحد»...

وبنظرة فهم خالد أن القصد من هذه الزياره هي إجراء عملية مصالحة بينه وبين ليلى... وبعد نقاشات وحوارات هادئة لخالد، بينه وبين أحمد ونهى، اقتربت منه ليلى وقبلها على جبينها، وكانت تجلس بجواره، فلف يده حول رقبتها، وأخذها تحت ذراعه وسند ظهره على مسند الكنبة، وهي لم تقاوم فقط حتى لا تحدث مشكلة، ولكن شفتيها كانتا تتحركان بالاستغفار، وعقلها يفكر في ضرورة أن تستحم وتتطهر من لمسات خالد!

لاحظت نهى شفاه ليلى التي تتحرك، وعرفت أنها تدعي أو تهمهم بشيء، ولم يكن يبدو عليها شيء على الإطلاق، فانتهزت فرصة انشغال خالد وأحمد في الحديث، وأخذت ليلى؛ لتدخل بها في مكان آخر، وتتحدث معها على

انفراد..

نهى: «إنت بتهمهمي كده. بتقولي إيه يا ليلي؟!».

ليلى: «بستغفر يا نهى.. فيها مشكلة دي؟».

نهى: «تستغفري وإنت قاعدة جنب جوزك؟ ليه؟».

ليلى: «اسكتي يا نهى وحياتك.. كفايه إني هدخل آخد دش قبل ما أنام، وأنا أصلًا عندي جمعية الصبح بدري»..

نهى باستغراب: «لأ، مش فاهمة»..

ليلى: «لازم أتطهر.. كان جري إيه يعني لو باسني على رأسي من بعيد كده وخلصنا.. لازم ياخدني في حضنه وتحت دراعه والمناظر دي بقى!!».

نهى: «إنت هتاخدي دش علشان كده؟!! إنت مجنونه ولّا اتجننتي على كبر!!».

ليلى: «ده فقه الطهارة يا نهى!!».

نهى: «فقه إيه يا أم فقه إنت؟؟؟ هو إنتِ عملتي intercourse؟ ده إنت قاعدة مع جوزك.. حلالك يا بنتي .. وأدام صحابكم.. مفيش الكلام ده خالص أصلًا.. ده مش مذكور في أي كتاب فقه ولا غيره»..

ليلى: «طالما بحبه وبحس بحضنه، يبقى لازم أتطهر؛ علشان أعرف أصلي والّا أبقى نجسة ووجب...».

نهى مقاطعة: «مين الحمار اللي قالك كده؟؟؟ إنت هتخليني أغلط في الناس.. الكلام ده غلط... نجسة؟ ده إنت حتى لو جُنَب واضطريتي تعملي أي مشوار، مش بس تنامي ليكي عذرك... دي الـ sperm نفسها مش نجسة!!!».

ليلى: «إيه القرف اللي إنت بتقوليه ده؟».

نهى، وهي تتحرك للخروج من الحجرة بعصبية واستهزاء بكل ما تقوله ليلى: «قرف؟!!! هو إيه اللي قرف؟ طب اسألي.. اقري .. افهمي بدل ما أنت ماشية وراهم زي البهيمة كده... ده فيه حديث مش فاكرة عن مين... استني»...

وبمنتهى السرعة، أخرجت تليفونها المحمول من شنطتها، وبدأت تقرأ لليلى أن النبي ﷺ قد أقر بأن الوضوء يقضي على المذي دون شرط الاغتسال وأن نضع الماء على الثياب إذا كان رطبًا أو فركها إذا كان يابسًا كافيًا لذلك.. وبناء عليه فالصحيح القول بطهارة المني .

وجلست نهى قبالة ليلى التي كانت مصدومه تمامًا وقالت لها: «يبقى إيه حالك بقى وإنت في حضن جوزك وأدام أصحابكم، والراجل مالمسكيش لمسة بطالة مثلا ولا قلعك هدومك... بجد يا ليلى حسبي الله ونعم الوكيل في الأفكار اللي بيقولوها دي... دي ولا شياطين الجن اللي بيفرقوا بين الراجل ومراته»...

وتركتها نهى وخرجت، وهي مازالت مذهولة ومرهقة من كم المعلومات، التي

لم تعد تستطيع أن تفرق بين الصواب فيها والخطأ... وخرجت على الفور وراءها ووجدت خالد وأحمد مازالا يتحدثان، وكل منهما كان مستلقيًّا على كنبة، ونظرت إلى نهى في عينيها، ووجدت نظرة شفقة منها لم تقبلها، فأدارت وجهها عنها..

انتهت الزيارة وذهبت نهى وأحمد وتركاها مع خالد، الذي اكتفى بأن ربت على كتفها في طريق خروجة من حجرة المعيشة، وقال لها: «تصبحي على خير!».

لم تستطع ليلى أن تقتنع بكلام نهى.. فطالما قالت لهم الحاجة إن الإنترنت ليست بمصدر للمعلومات الحقيقية والصحيحة.. وأن هناك الكثير من المواقع التي لا تريد أن يعم الإسلام والإيمان على العالم، فيعطونهم أخبارًا مغلوطة ونتائج بحث كلها بدع!!

وكانت النتيجة هي دخولها الحمام والاستحمام والتطهر التام!!!

تداخل ليلى في جو الجمعية وناسها جعلها تشعر بأنها أصبحت خبيرة «من وجهة نظرها على الأقل» في الدروس وفي الشيوخ الفلاني والعلاني.. ولكن ما كان يؤرقها هو التناقضات، التي كانت تسمعها من نهى أو خالد
أو أبيها..

وكانت مناقشات ليلى وخالد بخصوص السفر قد عادت مرة أخرى بعد أن اعتقدت ليلى بأنه قد نسيها لأنه لم يعد يتكلم فيها، بل وكان قد بدأ يسافر بمفرده حتى دون العرض عليها.. ولكنه أخبرها بما لا يدع لها مجالًا للتفكير بأنها سوف تسافر معه إلى أمريكا.. ولكنها كانت رافضة لفكرة السفر بسبب الدراسة في الجمعية، ولأن عندها اختبارًا ولأن هناك مسابقة في حفظ القرآن الكريم.. وأرادت ليلى أن تأخذ رأي الحاجة فربما تؤجل لها الاختبار، أو حتى تختبرها قبل الموعد المحدد والسفر.. وانتظرت إلى أن أنهت الحاجة الدرس، وذهبت إلى مكتبها، ولكنها وجدت ثلاث معلمات أخريات في المكتب..

شعرت الحاجة بأن ليلى تريد أن تتحدث معها، وبالفعل أشارت لها بالاقتراب منها، وسألتها إذا كانت هناك حاجة ضرورية تدعوها للانفراد بها، ولكن ليلى أساءت الحكم على الموجودات، وأبدت للحاجة أنها تريدها في شيء عادي، وأنها لا تمانع من مناقشتها أمام الموجودات..

ليلى ببساطة: «أنا بس كنت عايزة أقول لحضرتك إني مسافرة مع خالد إن شاء الله أمريكا.. فلو تقدري تأجليلى الامتحان بتاعي، أو حتى تقدميه.. مش مشكله أمتحنه قبل ما أمشي»..

ولم تلتفت ليلى إلى أن الحاضرات تبادلن النظرات غير المفهومة..

أخذت الحاجة نفسًا عميقًا وسألتها: «هو السفر ده ليه أصلًا يا ليلى؟».

ليلى: «خالد عنده شغل كام يوم وإحنا متعودين نسافر مع بعض دايمًا... بصراحة أنا مش متشجعة أوي علشان الامتحان.. لكن لو حضرتك هتأخريهولي أو حتى تقدميه، أسافر».

الحاجة: «والسفر ده على فين؟».

ليلى: «أمريكا»..

الحاجة: «بصي يا ليلى.. السفر إلى بلاد الكفر والعربدة دي غير جائزة بالمرة شرعًا.. وإنت يا ليلى ما شاء الله عليكي.. تقدمتي في العلم والمذاكرة وبقيتي من الأوائل هنا.. يعني ما ينفعش واحده زيك تسأل السؤال ده».

وردت إحدى الحاضرات: «هم الرجاله كل ما هيلاقونا بنتقدم في حاجة، هيرجعونا لورا تاني... يعني أنا جوزي مش عاوزني آجي الجمعية كل يوم، وبقى بيتزرزر عليّا جدا لما يعرف إني جاية».

وأكملت معلمة أخرى ردًّا على المعلمة التي تذهب إلى الجمعية دون رغبة زوجها: «ده لأنك بتتقدمي في حاجة هو مش على علم بيها، ولأن ربنا يسر لك طريق هو لسه ما مشيش فيه، ومايعرفش إنه هيعود بالنفع على كل من علم وعمل فقط .. ولأن دي طاعة واجبة وصعبة وربنا الفتاح العليم اللي قدرك عليها.. لكن معلش بقى احتسبي واقضي أي مشوار مهم الأول قبل الجمعية، أو في الآخر بعد الجمعية زي السوبر ماركت مثلًا، ولما يسألك رحتي فين النهاردة، قولي له رحت السوبر ماركت.... بكده ولا بتضايقيه ولا بتكدبي وبتاخدي العلم بتاعك!!!».

ردت الست بسلاسة، وليلى مذهولة تمامًا من اللي بتسمعه: «ما هو ده اللي أنا بعمله فعلًا... وربنا يوفقني يارب»..

الحاجة مقاطعة تفكير ليلى، وكأنها انتبهت لما يقال: «خلينا نرجع للموضوع اللي كنا بنتكلم فيه.. سفر ليلى.. أنا قلت لك يا ليلى الصح والغلط وإنت شوفي بقى هتعملي ايه.. إنت أخيرًا هتفوقي لنفسك، وهتعرفي طريق ربنا، بدل ما إنت مهلوكة بين عيلتك وعيلة جوزك وعيالك»..

وقامت الحاجة من على مكتبها وتحركت في اتجاه ليلى، التي كانت تقف بميل بجوار الباب، وكأنها على ثقة من أنها سوف تأخذ موعد تقديم أو تأجيل الامتحان، ثم خرجت ببساطة وأخذتها تحت ذراعها، وقالت لها: «إهدي يا ليلى وماتضغطيش نفسك يا حبيبتي... أنا والله ما أنا عارفة جوزك بيعمل كده ليه؟ واحد غيره كان طار بيكي طير مش جابلك إحباط كده!!».

وفي وسط بعض المصمصة الصادرة من أفواه المعلمات صديقات الحاجة، سلمت ليلى على الحاجة، واستأذنت وخرجت متجهة إلى البيت.. وبينما هي في الطريق للبيت، تلقت مكالمة من نهى، وعرفت منها أن نهى ووالدتها كانوا في زيارة عند والدة ليلى، وإنها كان من المفروض أن تكون متواجدة، ولكنها نسيت كالعادة... لم تنتبه ليلى إلى ما تقوله نهى، بقدر اهتمامها أن تأخذ رأيها فيما سمعته من الحاجة بخصوص السفر..

ليلى: «نهى .. أنا خلاص داخلة الكومباوند... استنيني أنا عاوزة أشوفك...

خللي طنط لو عاوزة تروح مع سواقك، وأنا هبقى أروحك»..

وفعلًا انتظرت نهى في بيت ليلى، التي لم تمض دقائق، إلا وكانت قد وصلت إلى بيتها واتجهت إلى التراس حيث كانت نهى تنتظرها، وقالت لها على الحوار، الذي تم بينها وبين الحاجة، وأنها لن تسافر مع خالد!!

ردت نهى بواقعية: «المصيبة إنك فعلًا مش عاوزة تسافري، ومش لاقية ضرورة لأنك اقتنعتي باللي الحاجة بتاعتك دي قالتهولك، مع إنه غلط.. وهعمل زيها بقى وأقول لك إنه حرام شرعًا، عارفة ليه يا ست هانم ياللي بتدرسي الدين؟ علشان طاعة الزوج واجبة طالما، فيما لا يغضب الله سبحانه وتعالى وهي دي سكتك للجنة يا ليلى.. وبعدين يا حسرة إنتم بتعملوا إيه لمّا بتسافروا؟!!! ده إنت بتتسحلي شوبنج، وهو لو عنده شغل بيخلصه وياخدك تروحوا سينما ولا مسرح ولا عشا وبعدين تروحوا تناموا.... يعني الغرض من السفرية هو الفَصَلان... وهو عاوزك تفصلي من كل اللي حواليكي... عاوز ليلى بتاعت زمان اللي حبها واتجوزها وده حقه... إنت اتغيرتي
يا ليلى .. اتغيرتي معانا كلنا... مش مع خالد بس.. لأ.. وكمان مع الولاد وطنط وانكل حتى أهل خالد اتغيرتي من ناحيتهم... إنتِ اتغيرتي معايا أنا كمان.. وبصراحة أنا مستغربة لكن مدياكي العذر!».

كانت ليلى تعلم جيدًا معظم الكلام الذي تحدثت به نهى، بل ومقتنعة به، ولكنها كانت لا تستطيع مواجهة نفسها بهذا الحقيقة، وكانت تفضل الاستماع إلى كلام الحاجة.. حتى ردودها على نهى كانت هي ردود الحاجة التي أثرت فيها، والتي كانت تختزلها وترددها بسرد ودون توقف، وكأنها على دراية واقتناع كاملين بها حتى فوجئت نهى نفسها من الطريقة الجديدة عليها، وعلى ليلى التي أكملت:

- «وهي سحلة الشوبنج دي اللي صح يا نهى؟ مش ده وقت ضايع تمامًا بدون ذكر لله؟ والأكل اللي بنخرج ناكله ده مش حرام؟! ولا هتعملي زيي زمان لمّا كنت بكتفي إني أطلب لحم بقري أو فرخ أو حتى سمك وأبقى مبسوطة وفاكرة إني مش بعمل حاجة حرام، وأنا أصلًا ماعرفش البيه اللي بيطبخ جوه ده نصراني ولا هندوسي ولا بوذي، ولا أي نوع من أنواع الكفرة... والسينما والفسح دي كلها اختلاط وحرام بين... حتى الأوضه اللي في الأوتيل والسرير، أنا عارفة مين اللي نامت عليهم من قبلي؟
ولا عملت عليهم إيه هي والبيه اللي كان معاها؟؟؟ بس يا شيخة بلاش قرف... والأهم من كل ده إني باسافر إلى بلد كفر وضلال، وأجمع
ولّا أقصر في صلاتي وأصلي كروتة.. ده حتى ورد القرآن بتاعي، هبقي مش عارفة أقراه أصلًا؛ لأن كل الأماكن نجسة!!!».

نهى، بمنتهى الذهول: «أنا مش مصدقاكي يا ليلى... أنا كأني سامعه صوتك بس مش شايفاكي... ده مش إنتِ؟ إزاي اتغسل مخك كده؟!!! وإزاي مصدقة

اللي إنتِ بتقوليه ده؟ اللي بتقولي عليه ده كله إكستريم... تطرف ومنتهى التطرف كمان.. أنا بس هاسألك سؤال.. هو ربنا عمل لنا رخص في الأكل والصلاة وكمان في السفر ليه لو هو حرام؟!!! ربنا خلق الرخص دي كلها علشان عارف إنها هتحصل و«إن الله يحب أن تؤتي رخصه « ده لو هنتكلم على الجمع والقصر والأكل وخلافه، وإذا كانت عندك شكوك في موضوع الأكل كلي عيش وجبنة ولا صحيح الجبنة مشكوك فيها... خدي معاكي ربعين جبنة رومي وكيلو بقسماط
يا ستي ياللا... والضرورات تبيح المحظورات... يا ست هانم، سفرك فيه ضرورة، وهي إن جوزك عاوز ياخدك ويسافر يستجم.. وطاعة الزوج واجبة، وإذا كان السفر لبلاد بره حرام، فالبهوات بتوعك محرمين بلاد جوه كمان... يعني هنا حرام وبره حرام.. وبعدين سيبك بقى من كل ده... أمك اللي كانت مستنياكي النهاردة دي وماجيتيش، تقولي إيه فيها بقى...
ولا صلة الرحم ماأخدتيهاش وبر الأم والخوف من زعلها والعياذ بالله مش حرام؟!!! حرمت عليهم عشيتهم... وبصي بقى، أنا هقول لك كلمة أخيرة بخصوص خالد بالذات... خالد سافر من غيرك كتير.... ما تخليهوش ياخد على عدم وجودك يا ليلى وإلا هتندمي!!!!».

فوجئت ليلى بكلام نهى التي قامت فجأة، وخطفت شنطتها من على الكرسي وانصرفت ذاهبة... وشعرت ليلى بالصراع وقد اشتد من حولها واسترجعت كلام الحاجة، وهي تقول لها: «كل الناس هيبقوا ضدك؛ خصوصًا أقرب الناس ليكي... خليكي صبورة... إنت ماشية على طريق الله كما يرضي الله... إنت على طريق الصواب وكلما زاد الصواب زادت الابتلاءات وساعتها تتأكدي إنك على الطريق الصحيح... اسأل الله أن يجعلك من الصابرات يا حبيبتي!!!

ذهبت نهى إلى بيتها وهي قلقة على ليلى، والحالة التي وصلت إليها.. وبقيت ليلى وهي تحاول أن تقنع نفسها بأنها على صواب، وبأن الجميع على خطأ.. بل واستمرت على إحساس بأنها الضحية.. وصل خالد إلى البيت بهدوء وسلمت عليه ليلى سريعًا ودخلت غيرت ملابسها، وألقت نظرة على المطبخ وتأكدت من أن كل شيء على ما يرام، بل واتصلت بسائق الأولاد، وهو شيء اعتادت فعله منذ زمن، ولكنها مع انشغالها في الجمعية كانت قد توقفت عن ذلك، واطمأنت إلى أن الأولاد في الطريق.

الفصل الحادي عشر

صِدام جديد

دخل خالد إلى غرفة المكتب الخاصة به، وبقيت ليلى تتحرك في البيت، وكأنها لم تره.. مع العلم بأنها في الأوقات العادية كانت تستقبله بكل الحب والابتسامة تعلو وجهها، وتسأله عن يومه وعمله وسبب حضوره المفاجئ وتركه العمل.. وهو أيضًا لم يكن ليأتي إلى البيت، دون أن يتصل بها
أولًا ليتأكد من وجودها أولًا، وإن لم تكن في البيت، فقد كان يذهب ويأخذها من المكان، الذي تتواجد به حتى لا يذهب إلى المنزل دونها...

ومرت ليلى من أمام الباب الزجاجي لحجرة مكتبه في الوقت نفسه، الذي كان خالد يفتحه ويهم بالخروج منها.. ونظرا إلى بعضهما البعض نظرة بلا معنى.. والتفتت إليه وقالت ببلاهة: «إيه.. في إيه؟».

انتهزها خالد فرصة وقال لها: «أنا عاوز أحسم موضوع السفر ده دلوقتي يا ليلى... إحنا بقالنا كتير ولا سافرنا ولا حتى قعدنا مع بعض، وبسافر لوحدي وسايبك تتحججي بالحجج الفارغة بتاعتك، ومش بيفرق معايا، ومش هَغْصِب عليكي في يوم من الأيام.. بس أنا في السفرية دي بالذات عاوز أعرف هتيجي معايا ولّا لأ؟».

ليلى بحدة، ولكن بهدوء: «في إيه يا خالد؟؟؟ مالك؟!».

خالد: «أنا اللي مالي يا ليلى؟ إنت مش شايفة نفسك ولا إيه؟ مش شايفه بقيتي عاملة إزاي؟ إحنا تقريبًا بطلنا نتكلم مع بعض... إنت أصلًا بطلتي تتكلمي مع حد زي الأول... إنت حتى نسيتي تسأليني أنا رجعت بدري ليه النهاردة؟».

ليلى: «بص يا خالد... واضح طبعًا إنك بتلمح للسفرية.. وأنا مش شايفة لها أي لازمة... مفيش ضرورة يعني... سافر أنت، وأنا هقعد مع الولاد»..

خالد: «ولاد إيه يا ليلى؟؟؟ هو إنت بقيتي تقعدي مع الولاد زي زمان... ده حتى التمرين بقيتي توديهم وماتبصيش عليهم... بتبقى بتكتبي ولا بتقري في حاجة.... فين تشجيعك ليهم وتصويرك ليهم، وهم بيلعبوا ومتابعتك لكل اللي بيعملوه؟».

ليلى صارخة ومدافعة عن نفسها: «آه لازم أبقي الأم المهيبرة الهبلة، اللي بتصرخ وتقول واو برافو... جو جو جو... والتصوير الحرام ده لو تفهموا وزره، والله ما كان يبقى فيه في بيوتنا ولا صور مترمية على الحيطان ولا حتى كاميرا.. أنا طبعًا بقعد مع الولاد كل يوم من أول ما بييجوا من المدرسة لحد ما بيناموا»..

خالد مقاطعا: «أيوه أيوه.... الحرام اشتغل بقى والصور حرام وتشجيع التمارين حرام، ولما بتبقوا في البيت، وبتقعدي معاهم بتبقي مركزة معاهم ولا بتعملي إيه ؟ بتسمَّعيهم زي الأول؟ بتتكلمي معاهم؟؟؟ ولا بتقعدي وبتحطي كتبك

اللي محتاجة منتهى التركيز ومافيش واحد فيهم؛ حتى ممكن يتحرك في البيت بحريته طول ما إنت قاعدة مقطومة على الكتب كده... وطبعًا يا ويلهم لو حب حد فيهم يفتح التليفزيون.. يتذل لحد ما توافقي، ويتفرج على حاجة هايفة وتافهة.. إنت حتى بطلتي تكلمي أمك مش بس أمي... ومعدتيش بتفتكري تكلميهم»..

ليلى مدافعة: «إيه بقى كل ده ومين اللي بيديك الإخبارية اليومية إن شاء الله... وخليني أرد عليك بقى زي ما سمعتك... القطمة اللي أنت بتقول عليها دي هي اللي جايبة البركة للبيت؛ والتليفون مع مامتك أو مامتي، بطلته لأنه كفاية بقى أوزار ولغو، ولأن أكيد بتيجي فيه سيرة حد يا عن طريق أمك.. يا عن طريق أمي، ولكن مش قاطعة رحمي، لا سمح الله، مأدية واجبي نحوهم»...

خالد: «بركة؟ ليه وأنا كنت مانع البركة من البيت؟؟؟ ولّا الجمعية بتاعتك اللي جابت لنا البركة وبعدين إيه الإسلوب العدائي اللي بتتكلمي بيه ده وإيه المصطلحات دي قاطعة رحم؟! مأدية واجبك؟! أمك أمي؟ إيه الكلام ده؟ إنت أصلًا ماكلمتيش أمي بقالك ولا أسبوع.. هوا إنت فين أصلًا من حياتهم»..

قاطعته ليلى مرة أخرى: «على فكرة يا خالد، كلامي ده صحيح وواقعي... بالنسبة لماما وبابا دول دمي ولحمي وبرهم وصلة رحمهم واجبة ومفروضة عليّا فيما لا يخالف شرع ربنا، ومافيش بيني وبين أمك غير كل الخير.. وده علشانك، مع إنه مفيش بيني وبينها صلة رحم.. يعني أكلمها ولا ماكلمهاش مش مشكلة.. المهم إن لمّا هي تكلمني ولا تيجي البيت هنا أستقبلها وأحسن ضيافتها!!!».

وأكملت بحدة: «وحكاية إنتِ فين دي، أنا مش فاهماها أصلًا.. أنا هنا أهو يا خالد... واللي مش شايفني، تبقى المشكلة عنده مش عندي أنا»...

خالد: «لاااااا... إنت كده تبقى بتحسبي الحسبة غلط... رضا أمي عنك ده فضل ليكي ودعاها ليكي من حبها ليكي، ودي كلها تتقل ميزانك عند ربنا.. لكن اللي إنت بتفكري فيه وبتعمليه ده تبقى بتخسرينا واحد واحد يا ليلى... أنا خايف بس تخسريني أنا، وتخسري نفسك، وتخسري الحب اللي بيننا»..

ليلى: «حتى لو خسرت الدنيا كلها، هَبْقي كسبت ديني»....

خالد: «فوقي لنفسك.. إنت مش عارفة إنت بتقولي إيه!!».

ليلى، وهي تستعيد كلام الحاجة: «اللي أنا مش عارفاه أنت بتعمل معايا كده ليه؟؟؟ واحد غيرك كان فرح بيا وشجعني، وهو شايفني على طريق ربنا، بدل ما أنزل أسرح عند الكوافيرات وفي الأيروبيكس والنوادي، ومن الديفيليه ده للسفرية دي، وأهمل جوزي وولادي وبيتي»..

خالد: «إنت لو كنتي من دول ما كنتش اتجوزتك أصلًا، إنت طول عمرك معتدلة ومحترمة ومراعية أهلك وبيتك وولادك وجوزك.. لكن دلوقتي معدتيش مراعية أي

حد، ومن ناحية الإهمال، فاطمني إنت مهملة في حق جوزك وولادك وأهلك، وبيتك كمان»..

ليلى، وهي تصرخ: «أنا؟؟؟ أنا يتقال لي إني مهملة فيك وفي أولادي؟!!! ليه يا بيه.. بقصر معاكوا في إيه؟ ولادي أهم زي الفل.. جعانين ولا ساقطين ولا فاشلين، لا سمح الله... حرام عليكم والله.. ده أنا باجي جري من بره بلبسي وبطرحتي، أجري على المطبخ أتمم لهم على أكلهم، وعلى الأكل اللي يعجب سعادتك كمان، قبل أي حاجة»..

خالد بهدوء مستفز واستهزاء: «أكل؟؟؟ هي الحياة بقت أكل وبس ولا إيه؟!!! بقى الحاجة الوحيدة اللي بتفكري فيها هي الأكل... على رأي صاحبتك الأكل ده اللي آخرته التواليت مش كده؟!!!».

ليلى: «أنا غلطانة فعلًا إني كنت بحكيلك اللي بيتقال لي.. أنا اللي استاهل... ياما اتقال لي هيذلك بالحاجات اللي هيعرفها عنك وعن صحابك، ولكني كنت فاكراك مختلف!!!».

خالد: «بس بس بس ماتكمليش... تستاهلي إيه وغلطانة في إيه؟!!! إحنا طول عمرنا كنا بنتكلم ونحكي علشان ماكانش عندنا عقد... وإنتِ فعلًا «كنتي» بتحكي، ودلوقتي مش بتحكي؛ لأن الكلام اللي بيدور حواليكي ما يتحكيش أصلًا، ولو إنتِ مش مكسوفة منه ما كنتيش خبيتيه، وأنا اللي مش عاوز أسمعه ولا أعرفه أصلًا»..

ليلى: «إيه اللي انت بتقولو ده؟ كلام إيه اللي مايتقالش.. أنت بتألِّف ولا بيتهيألك ولا بتقول كده علشان تستفزني وأحكيلك على اللي بيتقال؟».

خالد: «لا.. يا ماما ما تحكيليش حاجة وحياة أبوكي... أنا ما يلزمنيش أسمع الهبل اللي إنت مخبياه ده أصلًا... لو كنتي مقتنعة بيه أصلًا، كنتي قلتيه.... أنا بس بفكرك لما كنتي مبسوطة في الأول، وقلتي لكل اللي حواليكي إنك أي حاجة هتتعلميها هتيجي تعلميها لهم وتقوليلهم عليها.. ولكن واضح إنك ماتعلمتيش حاجة تتقال ولا عرفتي حاجة من الأصل»..

ليلى: «لا.. يا بابا، أنا الكلام اللي بتعلمه بجد بيفتح عنيّا على حاجات كتير أوي، وكل يوم بكتشف أن طريق ربنا صعب مش سهل وإن ربنا بينتقي الناس اللي تدخل في طريقه وتنول رضاه... اللي زيك أنت واللي حواليك صعب تفهموا الكلام ده أصلًا!!».

خالد: «طبعًا صعب نفهمه علشان عندنا مخ بيميز بين الصح والغلط.... صعب نفهمه علشان إحنا بنعقله الأول وبنفكر فيه، مش زيك إنت واللي حواليكي مقتنعين بأننا ماشيين في الطريق الغلط، وإن اللي بيتقال لنا وجديد علينا ده، ما هو إلا الصح واللي لازم نتبعه!!!».

ليلى: «والله واضح إن كل كلامي ماعادش عاجبك، فبتقول أي حاجة وآخرها

إنك تتهمني بالتقصير».

خالد: «لأ.. يا ليلى أنا مش بتهمك... إنت فعلًا مقصرة، وبقيتي مقصرة في حق نفسك قبلنا كلنا»..

ليلى: «لأ.. يا خالد بيه... إنتم اللي أخدتوني for granted (بالضمان)، وحطيتوني في جيبكم مستخصرين فيّا إني أفوق لنفسي، وأعرف ديني وأطبقه... لا حول ولا قوة إلا بالله»..

خالد: «دينك؟ وإنت كنتي من غير دين؟ وأي دين ده اللي بتتكلمي عليه؟!!! دينك بيقول لك اهملي جوزك؟ دينك بيقول لك إن جوزك ما قربش منك بقالوا أكتر من شهرين دلوقتي؟»...

ليلى مقاطعة بسخرية: «آآآآآآآآآه قول كده بقى... أنا مهملة فيك علشان السكس طبعًا... مافيش في تفكيرك غير كده... يعني القصة دي كلها علشان الموضوع ده؟!!! بجد أنا مش مصدقاك»...

خالد: «إنت باين عليكي اتجننتي يا ليلى... مخك اتلحس.. أنا مش مصدق إن تفكيرك انعدم لدرجة إنك تفتكري إن دي هي المشكلة!!!».

ليلى: «أمال إيه.. ما تفهمني.. أنا بعمل واجبي معاك بما يرضي الله.. ومش منطقي ولا مطلوب مني إني أنام معاك عمّال على بطّال، ويبقى تضييع وقت على الفاضي!!».

خالد: «ولا أفهمك ولا تفهميني... وبالنسبة لعلاقتي بيكي ولتضييع الوقت اللي بنعمله، أنا. مش هعلق على كلامك؛ لأن العلاقه دي خلاص ماعادتش لازماني... مش أنا اللي مراته تنام معاه علشان بتعمل اللي عليها وبتأدي واجبها.. خليكي يا حبيبتي.. اذكري الله واغضبي جوزك وشوفي بقى ساعتها ربنا هيرضى عنك إزاي.. وخللي الجمعية تنفعك... وعلى فكرة، لو عاوز أمنعك من الجمعية همنعك يا ليلى، بس أنا هسيبك لما تتقرصي وتتعلمي بالهارد واي.. بس هيبقي ڤري هارد، وهتشوفي، يا ليلى»...

وخرج من البيت وتركها وحدها تفكر فيما قيل وما حدث.. ووصل الأولاد من المدرسة ودخلوا، وهي تراقبهم من بعيد، وكانها غير موجودة... تركتهم يشاهدون التليفزيون ويتحركون بحرية.. بل إن هانيا أخذت تليفونها المحمول الحديث وخرجت إلى الجنينة، ترسل رسائل واتساب وفيسبوك، دون أن تعترض أو تسألها مع من تتكلم أو ترسل الرسائل.. وعمر بعد أن أنهى طعامه خرج وذهب إلى جدته وجده بعد أن سألها، ولم تبد أي اعتراض أو تحثه على المذاكرة.. حتى هي نفسها لم تفتح أوراقًا أو كتبًا أو تذاكر، أو حتى تقرأ أي شيء، وإنما ظلت تفكر فيما يحدث لها، وهي صامتة وتتحرك كالإنسان الآلي.. وانتبهت إلى أنهم لم يأخذوها بالحضن، أو يقبلوها عندما دخلوا البيت.. وأدركت

انها هي التي بدأت بالسلام الرسمي معهم، دون أحضان وقبلات وضحك ولهو، مثلما كان يحدث من قبل.. وقبل أن تنفعل وتبكي استحضرت كلام الحاجة عندما قالت لها: «محدش هينفعك غير دينك في الآخر، ولا ابن ولا بنت ولا زوج ولا حتى أم وأب».

أخذت التليفون واتصلت بأمها.. واكتشفت، وهي تطلبها أنها من فترة لم تتصل بها!

وردت الأم عندما رأت الرقم: «هانوشتي حبيبتي»..

ليلى: «لا يا ماما... أنا ليلى!».

الأم بحسرة: «يااااه لسه فاكرة إن ليكي أم؟ ده أنا كنت قربت أنسى صوتك، وكنت خلاص بعود نفسي على أن هانيا وعمر وحتى خالد، هم اللي بيطلبونا ويسألوا علينا، أنا وأبوكي».

ليلى: «ليه كده يا ماما، هو أنا قصرت معاكي في إيه؟».

الأم: «قصَّرتي؟ لأ ماهو أنا ماكنتش هسيبك لحد ما تبقى مقصرة يا متعلمة يا بتاعت قال الله وقال الرسول... التقصير للابن العاق وماعتقدش إنك ممكن تبقى عاق يا حبيبتي... بصي يا لولي أنا هقفل معاكي دلوقتي علشان أنا عندي القرآن النهارده، وكنت بكلمك بقالي كام يوم علشان أقول لك تيجي زي ما كنتي متعودة، أهو تاخدي الثواب، وكلهم بيحبوكي وبيحبوا يشوفوكي».

ليلى: «معلش.. أنا آسفة ما أخدتش بالي... كده كده إحنا هنتقابل يوم الجمعة يا حلوة ولّا مش هتعزمينا زي كل سنة؟».

الأم: «إزاي يا حبيبتي.. أنا مأكّدة على نجوى كمان، وهستناكوا كلكم تنوروني إن شاء الله... ربنا ما يقطع لنا عادة يا حبيبتي.. بس ده معناه إنك مش هتيجي النهارده؟!!

ليلى: «معلش يا ماما.. إعفيني أنا النهارده.. أنا عندي حاجات في البيت، عايزة أعملها».

الأم برجاء: «طيب يا ستي عدّي علينا واحضري الدعاء.. هكلمك أول ما نخلص قراية وتيجي على الدعاء على طول»...

ليلى على مضض: «حاضر يا ماما»..

وخلصت المكالمة وليلى تشعر بالاضطراب لما هي فيه.. لم تكن سعيدة ولا مستقرة نفسيًّا.. ما حدث بينها وبين خالد كان يسبب لها منتهى التوتر.. وما حدث مع نهى.. وما حدث الآن مع والدتها التي كانت لطيفة معها، ولم تعاتبها أو تؤنبها، وهي لها كل الحق، وشعرت بالذنب لأنها لم تذهب إلى الخَتمة، كما كانت معتادة.. وشعرت بالذنب، عندما تذكرت خالد الذي ترك البيت، وخرج بمشكلة لأول مرة بعد 17 سنة...

لقد كانت حياتهم دون مبالغات.. فيها الحلو وفيها المر، ولكن بهدوء وحب واحترام، دون أن يتعدى أي منهم حدوده... وقررت ليلى بينها وبين نفسها أن تتصل به وتصالحه، وبالفعل اتصلت به على تليفونه المحمول أكثر من مرة، ولكن التليفون كان مغلقًا وجرّبت واتصلت في المكتب الذي أخبروها أنه خرج من المكتب الساعة 1 ظهرًا، بينما كان قد وصل إلى البيت حوالي الساعة 4 عصرًا وقررت أن تكتب له رسالة حب لتقول له ما يتأخرش، وأنها مستنياه علشان ياكلوا مع بعض.. ولكن فجأة تليفون البيت قاطع قرارها.. وتوقعت ليلى أن المتصل أمها أو أبوها أو حماتها، ولكن المكالمة كانت مفاجأة؛ فقد كانت من الحاجة، التي قالت: «السلام عليكم يا حبيبتي».

ليلى: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا حاجة»..

الحاجة: «بقولك يا ليلى... بكره إن شاء الله يا ليلى، أنا عايزاكي ترتبي عربية، تطلع المطار لاستقبال الدكتورة فضيلة»...

كانت ليلى قد نسيت تمامًا أن الدكتورة فضيلة صديقة الحاجة والداعية المغربية سوف تصل في الغد، رغم أن الحاجة كانت قد كلفتها بكل إجراءات استقدامها وحجز سيارة خاصة لها؛ لتساعدها على التنقل من مكان إلى آخر، أيضًا كانت ليلى هي التي اقترحت على الحاجة أن تسأل شهيرة، الطالبة معهم في الجمعية أن تحجز لها ولزوجها في الفندق الخاص بزوجها، والذي يطل على النيل في الجيزة.. وبالفعل، تحدثت ليلى مع شهيرة، التي لم تتأخر عن تقديم أفضل سويت في الأوتيل وتجهيزه قبل وصولهما بأسبوع..

الحاجة: «على فكرة يا ليلى.. اوعي تكوني اتفقتي مع شهيرة على فلوس.. هي أكيد هتديه للأستاذة فضيلة هدية».

فوجئت ليلى، ولكنها ردت بسرعة: «بصراحة، يا حاجة أنا ماجبتش سيرة فلوس ولا هي كمان»..

الحاجة ضاحكة: «خلاص.. ماتسأليهاش، وسيبي الموضوع يمشي كده وإلا هتدفعي إنت يا حلوة!!».

وبالفعل، قررت ليلى ألا تسأل.. ولكن إذا سألتها شهيرة عن الفلوس، فسوف تتولاها هي بدلًا من الإحراج.

وأكملت الحاجة مقاطعة تفكير ليلى: «أنا مش عاوزاكي تتأخري، وتأكِّدي على رانيا كمان علشان د. فضيلة مصممة تيجي على الجمعية مباشرة»..

وأكملت: «رتبتي الغدا؟».

ودون تفكير، ردت ليلى: «اطمِّني يا حاجة.. كله هيبقى تمام إن شاء الله.. بس إحنا هنبقى كام واحدة؟».

الحاجة: «إحنا هنبقى حوالي 10 بس.. هي حتى هتتكلم بكره إن شاء الله مع مجموعتنا المقربة، حتى ولو في أوضتي.. وبعد ما تخلص بقية المجموعات

وتمشي، هنبقى نعمل لها إعلان كده بينا وبين حبايبنا كلهم، وتدي درس أو اتنين كبار على آخر الأسبوع.. لكن لسه مش محددين إذا كان الدرس ده هيكون في الجمعية، ولا في بيت من بيوتكم... وبرضوا نبقى ختمنا بالأستاذة فضيلة، قبل ما نبدأ في دورة حفظ القرآن»..

ليلى: «حاضر يا حاجة إن شاء الله.. اطمّني»..

الحاجة: «صوتك مش عاجبني يا حبيبتي.... خيرًا إن شاء الله».

حكت ليلى للحاجة اللي حصل بينها وبين خالد.. بس دون تفاصيل والحاجة استمعت إليها بكل تركيز واهتمام، وقالت لها: «هوا إنت غلطتي في الكلام، أو الطريقة مع زوجك يا ليلى؟!».

ليلى: «لأ.. خالص... هو كان متعصب وزعلان دون أسباب... أنا عاملة الّلي عليا وزياده والله يا حاجة، معاه ومع الولاد».

الحاجة: «لا حول ولا قوة إلا بالله... خلاص يا حبيبتي إنت تهدي خالص.. ولما ييجي تكلميه وكأن مفيش حاجة.. حتى دون اعتذار... القلب مسامح إن شاء الله... خلاص بقى روّقي ولا فيه حاجة تانية مزعلاكي؟».

ليلى: «مش أنا اللي زعلانة.. دي ماما كمان، اللي ربنا يسهل بقى، وماتكونش زعلت مني هي كمان»..

الحاجة: «إيه يا ليلى شكلك ماينفعش تكوني مزعّلة كل الناس منك... إلا رضا الوالدين يا حيبتي، خيرًا إن شاء الله»..

ليلى: «ولا حاجة.. بس ماما بقالها أكتر من 15 سنة، هي وصحابها بيتلموا في بيت من بيوتهم، يوم في الأسبوع، وبيعملوا ختمة قرآن ويدعوا، والنهارده كانت عند ماما وأنا مارحتش بس والله غصب عني... نسيت تمامًا»..

الحاجة: «الحمد لله إنك مارحتيش يا ليلى.... ده ربنا اللي أنساكي حاجة زي كده؛ علشان مش عاوز يغضب عليكي.... ختمة القرآن الجماعية والدعاء من بعدها حرام... دي بدعة».

ليلى: «لكن يا حاجة ده قرآن يعني قراءته ليها ثواب لوحدها».

قاطعتها الحاجة: «ليها ثواب لو كل واحد بيقرا لوحده يا ليلى»...

كلام الحاجة لليلى قضى على كل أحاسيس تأنيب الضمير، التي كانت تشعر بها ليلى، والتي كانت بسببها على وشك أن تتصل بخالد أو ترسل له رسالة حب وتعتذر له عما بدر منها.. أيضًا جعلها لا تشعر بالذنب من أنها لم تذهب لوالدتها، بل وجعلها تفكر في الطريقة التي ستنصح والدتها بها؛ لتتوقف عن هذه البدع الدخيلة على الدين.. وحمدت الله على أنها لم تذهب إلى هذه الختمة، التي كانت بسببها ستتحمل وزرًا كبيرًا؛ لموافقتها عليها وتواجدها فيها.

اتصلت ليلى على الفور بالمطعم الذي تتعامل معه في الولائم الكبيرة؛ لأنها

وجدت أنه الوحيد الذي سوف يستجيب لطلبها السريع.. وبالفعل، وضعت الطلب ورتبت كل شيء، واتصلت برانيا التي فوجئت بأن الحاجة اتصلت بليلى، ولم تتصل بها هي.. ولكنها لم تظهر هذا لليلى، وقالت: «وإيه الشطارة دي؟ طيب طلبتي إيه للأكل؟ إنت عارفة إن إحنا بنموت في الأكل يا لولا»..

ليلى باستعجال: «طلبت حاجات حلوة أوي.. ما تقلقيش.. ياللا بقى لأن ورايا حاجات كتير، عاوزة ألحق أعملها»..

رانيا بضحكة ساخرة: «ارحمي نفسك... وأجِّلي الحاجات دي شوية.. كل يوم هتجيلنا وشعرك مبلول ولا إيه؟».

قاطعتها ليلى بحسم: «رانيا.. كفاية تلميحات مالهاش معنى ومش هاتلاقيلها رد»..

رانيا: «مالك يا بنتي.. أنا بهرج معاكي، ومش قصدي حاجة».

ليلى: «ولا قصدك ولا مش قصدك.. الكلام ده مش مجال هزار، وأنا ماقبلتوش قبل كده ومش هقبله أبدًا.. السلام عليكم».

وانتهت المكالمة بينهما وليلى في اندهاش من رغبتهم الدائمة في التحدث عن العلاقات الزوجية وتفاصيلها، رغم الحرمانية..

أرادت ليلى أن تخرج من الضغط المسيطر عليها من كافة النواحي، فاتصلت بوالدة خالد التي كانت تفتقدها كثيرًا، وأبلغتها بالعزومة عند والدتها بمناسبة عيد ميلادها..

وصل خالد إلى البيت متأخرًا جدًّا، ووجدها في السرير وحولها كم من الأوراق والكتب وتستذكر دروسها، وكأن شيئًا لم يكن.. حياها «مساء الخير»، وتمنت لو قالت له وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. ولكنها لم تفعل خوفًا من أن تثار مشكلة جديدة، ويمنعها من الذهاب إلى الجمعية.. ودخل الحجرة الخاصة بتغيير الملابس والمفتوحة على حجرة النوم.. وقررت أن تنتقي حجة لتتحدث له..

ليلى: «على فكرة يا خالد.. عيد ميلاد ماما يوم الجمعة».

ردَّ عليها باستخفاف قائلًا: «عارف يا ليلى، وأنا اللي رتبت مع طنط إنه يبقى يوم جمعة علشان «سعادتك»، اللي مايكونش عندك حاجة ولا وراكي جمعية الصبح.. ونروح لهم من بدري ونسهر معاهم براحتنا ومايكونش وراكي صحيان بدري وأهي فرصة يشوفوكي، ويشبعوا منك!!!».

صدمت ليلى بكم المجهود، الذي أصبح خالد يبذله ليسعدها، وودت لو حضنته ونامت في حضنه إلى الصباح، ولكنها تذكرت أنها سوف تذهب إلى الجمعية في الصباح الباكر، وأن أي لمسة لخالد سوف تؤدي إلى النجاسة، وهي تريد دائمًا أن تنام على طهارة!!!

ووجهت ليلى الحديث إلى خالد، في محاولة لتبرير أنها حاولت الاتصال به:

«على فكرة أنا اتصلت بيك؛ علشان أنكل اتصل؛ لأنه حاول يكلمك، فلقى موبايلك مقفول وعاوزك تكلمه».

خالد بتجاهل: «آه.. شفت الإخطار، واتصلت بيه خلاص».

وشعرت ليلى بالغيظ من أنه قد رأى أنها حاولت الاتصال به أكثر من مرة، ولم يرد لها المكالمة أو يحاول يتصل بها... وأنه اتصل بأبيه.. وأرادت أن تثير الحديث ولكنها تذكرت تهديده وخشيت أن ترد بأي كلمة، ممكن أن تؤدي إلى أن يمنعها من الذهاب إلى الجمعية.. كما أن هناك عزومة ودرسًا عند هالة إحدى التلميذات في الجمعية في اليوم التالي...

دخل خالد إلى السرير وأدار وجهه إلى الناحية الأخرى، ممسكًا بكتاب كان قد شرع في قراءته، وهي وضعت بدورها طرحة الصلاة على رأسها، وأمسكت بالمصحف لتقرأ وردها اليومي.. وفجأة وجدته قد غرق في النوم دون أن يقبلها، كما اعتادا طوال حياتهما، أو حتى يقول لها: «تصبحي على خير»..

في الصباح، وجدت ليلى هالة، صاحبة العزومة، تتصل بها، وتؤكد عليها أن تلبس ما يحلو لها من ملابس، واستخدمت جملة «ألبسي بقى عريان أو قصير أو اللي ييجي على مزاجك»!! ولم تكن في البداية تفهم لماذا الإصرار على التعرية، وكأنهن مكبوتات.. وبعد الدروس، والتي كانت تدور حول حرمة المرأة على المرأة، بدأت ليلى تشعر بالاستياء والاندهاش.. إذ لم تكن هذه الحرمة مغطاة بالشكل المطلوب منهم في الدرس.. وكثيرًا ماكانت تسأل نفسها أين الحياء من الأصحاب، إذا كان الحياء من الملائكة مطلوبًا وواجبًا!!

ولكنها استجابة للدعوة، اختارت فستانًا ضيقًا وطويلًا، مغلقًا من صدره، ولكنه مفتوح من الظهر حتى الوسط.. وذهبت مع رانيا.. ولكن هذه العزومة كانت مختلفة عن بقية العزومات.. فقد كانت حفلة للرقص البلدي.. وكانت كعادتها في أغلب الحفلات النسائية متفرجة ومبتسمة، ولكن هذه المرة كان عقلها مشغولًا بخالد..

وبعد أن انتهت الحفلة، وجدت الجميع يرتدي ملابسة العادية، ويستأنف اليوم بطريقة طبيعية وعلمت أن إحدى المعلمات سوف تقوم بإعطاء درس وبالدعاء.. وبالفعل جلسن جميعًا، واستمعن إلى الدرس، ولكن منهن من كانت مازالت مشغولة بلم بقية شعرها، ومنهن من كانت مازالت ترتدي ملابسها.. وكما كان واضحًا أن هذا الدرس واجب، لابد وأن يؤدي بأي شكل... فقد كان كذلك نوعًا من أنواع الاستغفار والعودة إلى الله..

فلا يجوز أن يمر مجلس دون ذكر الله!!!!

ومرت بقية اليوم على ليلى كبقية الأيام.. وتكلمت مع خالد دون الدخول في تفاصيل ودون مناقشات، وانتهى اليوم وذهبت ليلى إلى الجمعية في اليوم التالي، وكانت على موعد مع الجواهرجي الخاص بهم لاستلام هدية والدتها

بعد انتهاء اليوم...

كان اسم المعلمة الموجودة في هذا اليوم الدكتورة نيرمين، وكانت معروفة بالجدية الشديدة، وكانت أصلًا طبيبة قبل دراسة العلم الشرعي وتدريسه... وكانت منتقبة بإسدال كبير يغطي كل معالمها تقريبًا.. ورغم أنها كانت «طبيبة»، إلا أنها لم تمارس مهنة الطب.. وكانت تدرس لهم يومهًا أمورًا فقهية متنوعة.. العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة وتطرق الموضوع طبعًا إلى السلام والمصافحة بين الرجل والمرأة الأجنبية والعكس..

قالت الدكتورة نيرمين: «إن مصافحة المرأة الأجنبية للرجل أو العكس هي حرام بيّن، والاستثناء الوحيد أن تكون هذه المرأة الأجنبية عجوزًا غيرمشتهاة أو دميمة.. وكانت تستنكر أن تقوم إحدى السيدات أو حتى الرجال بالمصافحة اضطرارًا أو حرجًا؛ وكانت تجده عذرا غير مقبول؛ فالواجب على المسلم أن يتغلّب على نفسه وشيطانه ويكون قويا في دينه ويمكن له أن يعتذر بلباقة، وهذا سيُكسبه (في الغالب) احترام الآخرين... وإذا كان النظر أصلًا حرامًا، فما بالكم بالمصافحة التي هي لمس ونظر!

ردت سميرة وكأنها تندب حظها، وقالت لها: «ده فيه يا دكتوره دلوقتي لبس الستات بيلبسوه يخلي الراجل اللي قدامها وكأنه لمس ومسك وكل حاجة والعياذ بالله»..

ردت الدكتورة نيرمين باشمئزاز، وقالت لها: «دايمًا لما تشوفيهم تقولي الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلًا كثيرًا!!!».

وردت واحدة تانية بسؤال غريب: «أنا عاوزة أعرف من حضرتك حكم الدين في السفر إلى شرم الشيخ.. ولبس المايوه الشرعي!».

كتير من الموجودات، وأولهن ليلى، استغربن جدًّا من السؤال الذي بدا وكأنه سؤال مقصود!!! لماذا شرم الشيخ بالتحديد؟ وماذا عن المايوه الشرعي والحديث عنه، والآن في درس الفقه؟

تنهدت الدكتورة نيرمين وقالت: «زيارة المرأة المسلمة شرم الشيخ والغردقه ومثيلاتهما من الشواطئ في الأصل حرام!!! ولا توجد دلالة في ديننا لمايوه شرعي أو لغير شرعي أو لنزول البحر أصلًا.... فهذا المايوه الشرعي بيحدد البدن ولا يستر، بالإضافة إلى أن التواجد على الشاطئ والفرجة على المعاصي والعري أسوأ أنواع الاختلاط، وهو حرام!!!».

وأكملت بثقة: «حبيباتي... المرأة المسلمة عبارة عن جوهرة لا يلمسها إلا من يستحقها... وليست شهوة ينظر إليها كل من هب ودب، أو شيئًا رخيصًا للتسلية.. لقد حفظ الإسلام المرأة من عيون الرجل، وأمرها بالنقاب و«حتى» بالحجاب؛ حتى لا يراها إلا من يستحقها فقط، فالرجل المسلم المؤمن يتزوج المرأة المسلمة المؤمنة؛ لتكون شريكة حياته وعمره، وينجب منها أطفالًا

ويبدأوا حياتهم ويشتركوا فيها مع بعضهم البعض، حتى إن عملت الزوجة، فمالها ملك لها وحدها وزوجها ملزم بأن ينفق عليها»..

وأكملت: ... وبالنسبة للزي الإسلامي الصحيح والزينة... فإن البلوزة الملتصقة بالجسم، واللي بيسموها البودي دي حرام، والبنطلون حرام طبعًا، وثبتت الدراسات كلها ضرر هذه الملابس وخصوصًا الملتصق منها بالجسم... لا يصح مطلقًا للمرأة المسلمة الملتزمة أن تلبسه، بل وإنه أيضًا، وخصوصًا الضيق منه يبسبب العقم للرجل والمرأه على حد سواء!!!».

عن نفسها، استغربت ليلى جدًّا، وكان يظهر عليها الاندهاش، وشعرت الدكتورة نيرمين بذلك، فكررت الكلام وهي تنظر إليها بشفقة: «أيوه
يا حبيبتي البنطلون الضيق حرام للرجال والنساء لأنه يتسبب في العقم!
ولا يجوز للنساء لبس البنطلون الذي يصف الجسم أو غيره إتقاءً للشبهات، وكذلك الشفاف أمام النساء وأمام المحارم فكيف أمام الرجال الأجانب!!»..

وأكملت، وهي مبتسمة: «وكذلك الملابس الغربية المستفزة... والحجاب الإسبانش، الذي يخفي جزءًا من الشعر فقط، فأين بقية الجسد؟؟؟ ولّا مش مهم؟ الحجاب لابد وأن يخفي جميع البدن.. اللي بيلبسوا كده دول أو يرتضوا لأولادهم وأخواتهم أنهم يلبسوه مش بيخافوا جهنم ونارها؟؟؟ حسبي الله ونعم الوكيل، يارب الرحمة من عندك...اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار»...

كانت ضمن مجموعة ليلى في الدرس، في الجمعية، سيدة لطيفة جدًّا اسمها نهلة، وكانت ملتزمة، وترتدي خمارًا واسع، يغطيها من رأسها إلى وسطها، ولكنها كانت دائمًا تصل متأخرة، حوالي عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة...

لما دخلت نهلة هذه المرة، نظرت إلها الدكتورة نيرمين بتفحص كده، وقالت لها: «السلام عليكم يا حبيبتي»..

نهلة: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

د. نيرمين: «حبيبتي إنت دايمًا بتيجي متاخرة، أقدر أعرف السبب؟».

نهلة مبتسمة بمنتهى الخجل: «أنا آسفة.. والله أوي غصب عني.. بس أنا بعمل الدكتوراه في القصر العيني، وعلى ما بوصل بقى أنا وحظي.. ساعات أتأخر عشر دقايق، وساعات ربع ساعة.. كده»..

د. نيرمين وقد رفعت حواجبها من الدهشة: «دكتوراه إيه، وقصر العيني إيه؟ إنت دكتورة؟».

نهلة بفخر: «أيوه وأصغر دكتورة في دفعتي»..

د.نيرمين: «لا حول ولا قوة إلا بالله... وبتقولي غصب عنك... كل الطب وقصر العيني والدكتوراه.. وكل ده لغط».

نهلة: «لغط؟؟؟ لغط يعني إيه؟؟؟».

د. نيرمين: «يعني حرام... إنت طالبة علم شرعي... دين الله تعالى... وتقولي لي دكتوراه وطب وكلام فارغ!!».

نهلة: «هو الطب كلام فارغ؟؟؟ طيب ما حضرتك طبيبة و..».

قاطعتها د. نيرمين بفخر: «كنت.... كنت طبيبة وربنا عفا عني وتركته لوجه الله تعالى وإرضاءً له وحده، ودلوقتي الحمد لله.. أديكي شايفاني أهو.. بعلم علم شرعي وطب نبوي، الحمد لله الذي عافاني... ربنا يتوب عليكي من هذا التعليم!».

نهلة: «يتوب عليّا؟؟ ليه هو أنا بعمل إيه يغضب ربنا؟ ده أنا بَساعد الناس وبعالجهم»..

د. نيرمين: «ده مش مبرر... الاختلاط وربنا قال «وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا».

نهلة مدافعة: «أيوه.. الآية دي معناها أنه مهما وصل بينا التعليم، ففيه علم كتير لم نصل إليه، ودي دعوة للاجتهاد»..

ضحكت د. نيرمين باستهزاء، وقالت: «ياللا تعالي ادِّينا درس تفسير أحسن.. ده معناه إن إحنا نبطل نضيع وقت.. وأنه مهما تعلمنا من علم، فلن نعلم إلا القليل»..

نهلة وهي مستفزة، ولكن هادئة: «ليه يا دكتورة.. ليه ما يبقاش معناها إننا لازم نجتهد ونعمل لنعلم الجديد واللي فيه الخير لينا ولكل من حولنا.. ولكل مجتهد نصيب»..

د.نيرمين: «إنتِ هتفسري على مزاجك ولا إيه؟ فيه أمور فيها نهى عن فعل أشياء محدده، يعني تحريم.. كفاية مبررات إنت واللي زيك بيعملوها؛ علشان يبرروا لنفسهم استكمال الحياة المنهي عنها»..

لم ترد نهلة أو تعلق... بل إن كل ما فعلته هي أن أخذت شنطتها، وبمنتهى الأدب والهدوء انسحبت من الجمعية!!!

فجأة وبينما كانت نهلة خارجة من باب الصالة، اللي مجتمعين فيها، دخلت الحاجة في اللحظه نفسها، وعلى وشها ابتسامتها الساحرة، وبمجرد أن رآها الكل، توقفت الهمهمة والرغي الجانبي والتعليقات طبعًا على اللي حصل مع نهلة.

الحاجة: «أخباركم إيه حبيباتي؟».

جميع الموجودات كنَّ في حالة غير مستقرة ما بين ظهور الحاجة فجأة، وخروج نهلة فجأة، بالإضافة إلى كلام د. نيرمين... حتى ردودهن كانت مترددة وغير مرتبة.. فمنهن من قالت وعليكم، ومنهن من تنهدت ولم تنطق، ومنهن من قالت «بَس بَس الحاجة جت»، ومنهن من قالت «وعليكم السلام ورحمة الله

وبركاته».. الشيء الوحيد المتشابه، هو أن أصواتهن كانت خافتة إلى حدٍّ ما، وكأن يتكلمن مذهولات!

لاحظت ليلى وربما غيرها أيضًا أن سميرة أتت وراء الحاجة، رغم أنها كانت متواجدة معهم أصلًا في الصالة، أثناء الخلاف الذي حدث بين د. نيرمين ونهلة.. فكيف أتت من وراء الحاجة؟!!! وكان هذا أبلغ دليل على أن سميرة قد ذهبت للحاجة، تستدعيها لتفصل في الخلاف الذي نشب بينهما!

ولم ترد الحاجة أن تزيد من حدة الموقف الذي يحدث حولها، وانتبهت إلى الارتباك الواقع، فأرادت أن تنهي الموضوع قبل أن يبدأ..

الحاجة ببشاشتها المعهودة: «إحنا النهارده باذن الله هنستضيف الأستاذة فضيلة، الداعية المغربية فضيلة... وهي أستاذة فقه وعقيدة، وعاوزاكم كلكم تجهزوا أسئلة قوية ترفعوا راسي في كل ما يتعلق بالأمور الفقهية المهمة في حياتكم والله المستعان.... الأستاذة فضيلة صديقتي وورونى الهمة»..

وفي أثناء كلام الحاجة، دخلت إحدى تلميذاتها، واتجهت إلى د.نيرمين وهمست في أذنها بشيء.. فهزت الدكتورة نيرمين رأسها وكانها موافقة على ما قيل لها.

عندما أنهت الحاجة حديثها، استدارت ناحية الدكتورة نيرمين وسألتها: «أخبار البنات إيه؟».

ردت د. نيرمين بسماحة: «الحمد لله دول منتهى الاحترام، بس الامتحان بقى قرَّب يا بنات ياللا شدّوا الهمة»..

ثم أكملت، وهي تهم بالقيام: «أنا هاكتفي باللي أخدناه النهارده.. اسيبكم تحضّروا الأسئلة للأستاذة فضيلة... وفقكم الله لما فيه الخير لدينكم ولكم».

واندهشت ليلى أكثر بما فعلته الحاجة والذي لم تفهمه؛ فالحاجة بالأمس فقط طلبت منها ألا تخبر أيًّا من المجموعات بقدوم الأستاذة فضيلة؛ بل إنها أكدت عليها بأنها سوف تتقابل مع الأستاذة فضيلة هي ورانيا وبعض المقربات فقط وسوف يكون اللقاء في مكتب الحاجة!! ولكنها انتبهت أيضًا عندما أشارت إليها الحاجة لتذهب إليها...

وبالفعل، ذهبت ليلى إليها في حجرتها، ووجدتها تلوم د. نيرمين على ما حدث مع نهلة.. وفهمت من الحديث الدائر بأن الحاجة لا تريد أي تشتت مع المبتدئات ولا الجديدات على الجمعية، وعندما لمحتها الحاجة ابتسمت وأكملت: «العلم الشرعي له ناسه اللي ربنا اصطفاهم.. وإن اللي بيبذلوا مجهود كبير في العلم الخارجي وينجحوا فيه ما ينفعش إنكم تتكلموا معاهم بطريقة الكلام نفسها مع المتواضعات في التعليم، أو اللي مش مكمله تعليمها، أو الراغبات في العلم الشرعي.. ولابد من معاملتهم بطريقة مختلفة لحد ما يفهموا الغلط اللي هم فيه، ويبجوا لحد هنا يطلبوا علم الله ورسوله!».

انتبهت ليلى إلى أن الحاجة لم تلم د. نيرمين على كلامها، عندما قالت إن مهنة الطب وممارستها بل والتعليم كله حرام، وإنما كان اعتراضها فقط على طريقة تناولها للموضوع!!!

وللمرة التانية في أقل من ساعة، تقطع الحاجة تفكير ليلى، وتقول لها: «جاهزين يا ليلى؟».

ليلى: «أيوه بس حضرتك بلغتي المجموعة كلها، وأنا فهمت إمبارح إن مجموعة ضيقه أوي من الموجودات بس هم اللي هيحضروا»..

الحاجة: «اضطريت يا ليلى؛ علشان أمنع اللغو والفتنة، اللي كانت ممكن تحصل دلوقتي بعد محاضرة الدكتورة نيرمين... تعالي بصي؟».

وذهبت ليلى للحاجة التي أشارت لها على كاميرا لمراقبة الصالة، التي يجلسون فيها، وفهمت ليلى بأن الحاجة كانت مراقبة للوضع كله، وقبل أن تسأل عن الصوت وكيف علمت بما حدث، وأخبرتها الحاجة قائلة: «ولولا سميرة جزاها الله كل الخير جت وحكتلي اللي بيحصل، ماكنتش لحقت الموضوع»..

ليلى: «بس برضو يا حاجة د. نيرمين قالت كلام صعب علينا تفهمه»...

الحاجة: «ليه صعب يا ليلى... هي طريقتها كانت صعبة، ولكن الأصل أن فريضة التعلم واجبة على الذكور والإناث، والمرأة يجب عليها شرعًا أن تتعلم فقط ما يسهل لها أن تعرف به الله سبحانه وتعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، فقد أغلق الإسلام كل باب يؤدي إلى فساد أو ضرر أو فتن، ومن المعلوم أن اختلاط الشابات بالشباب ذريعة إلى الفساد، والواجب على الدولة أن تخصص كليات للبنات، كما أن الواجب على أولياء الأمور أن يسعوا إلى مطالبة الدولة بذلك من جانب، وبحلول نابعة من الجهود الذاتية من جهة أخرى؛ لتوفير الجو الملائم لكل من الأولاد والبنات لطلب العلم، وصيانة الأعراض من التعرض للفساد».

وقبل أن ترد ليلى، بادرت الحاجة بسؤالها: «خلينا فيكي بس دلوقتي.. عملتي إيه مع زوجك طمنيني؟».

ليلى، وهي لم تفق من صدمة ما سمعته بعد: «الحمد لله»...

وحكت لها دون تركيز، وباختصار ما دار بينها وبين خالد...

نظرت ليلى في الساعة، وسألت الحاجة: «طيب حضرتك عاوزة مني حاجة دلوقتي؟ الساعة لسه 12، والأستاذة فضيلة هتيجي الساعة 3 إن شاء الله... هروح مشوار وآجي إن شاء الله»..

الحاجة: «رايحة فين؟».

ليلى: «أصل عيد ميلاد ماما يوم الجمعة إن شاء الله، وأنا عاملالها حاجة عمولة عند الجواهرجي، فهروح آخدها وآجي»..

الفصل الثاني عشر
غَسيل المُخ

أخدت الحاجة نفسًا عميقًا وقالت لها: «إزاي يا ليلى تبقى طالبة علم شرعي، وتقولي عيد ميلاد وكلام من ده؟ الاحتفال بمناسبة أعياد الميلاد دي حرام جملة وتفصيلًا.. لأن فيها تقليدًا لأعداء الله تعالى الكافرين وتشبهًا بهم»..

وأكملت بحب ودفء: «فاهماني يا ليلى؟؟؟ واجب على المسلمين المؤمنين تحري الدقة والحق والصواب في عاداتهم وتقاليدهم بأن تكون منضبطة بضوابط الشرع الحكيم لا بالتقليد الأعمى للأمم الكافرة.. بل والأدهى أن الناس تكمل وتزيد من الذنب وتهادي بعض بالهدايا الثمينة فيها.. وبدلًا من أن يحتفل الإنسان بعيد مولده، كان الأولى به أن يتذكر أنه كلما مر عليه يوم من أيامه، فإنما هو يقترب من نهايته.. من موته.. ده الاحتفال بالمولد النبوي حرام... فمابالك بالاحتفال بمولد شخص عادي!!».

«.. الأعياد الواجب الاحتفال بها في في حياة المسلم، هما: عيد الفطر بعد رمضان واللي الجهلاء بيسموه العيد الصغير، وعيد الأضحي وهو التالي لوقفة عرفات، واللي نفس الجهلاء بيطلقوا عليه العيد الكبير.. !!!».

فوجئت ليلى بما تسمعه، بل وأصيبت بحالة من الذهول المطبق وتشتت تفكيرها في أكثر من سؤال.. كيف ستعتذر عن التواجد مع أمها وكل عائلتها في هذا اليوم؟!!! وما الذي سيحدث إذا ذهبت بعد انتهاء الاحتفال، ولم تحضر هدية لأمها؟ ولم تخش من مصارحة الحاجة بما يجول بخاطرها، فقالت لها: «أنا أمي ولا محتاجاني أجيبلها هدية، ولا حتى طالبة مني حاجة.. بس هي عوّدتني من صغري إن اللي أحبه لازم أجيب له حاجة يفرح بيها ويحبها، وهي كمان بتعمل كده... كلنا بنعمل كده مع بعض ومع أصحابنا وقرايبنا»...

ونظرت للحاجة، فوجدتها تنظر إليها نظرات غريبة بابتسامة، لم تفهمها ليلى على الإطلاق، فسألتها ليلى: «يعني أروح يوم الجمعة إيدي فاضية؟».

الحاجة بمنتهى الهدوء: «جيبيلها في أي يوم تاني... جيبيلها كل يوم يا ستي بس ماينفعش تعملوا احتفال أصلًا يا ليلى.... ده حرام... ولو لزم الأمر، روحي متأخرة، بعد ما يكونوا خلصوا اللي هيعملوه!!».

ليلى بأسى: «ماينفعش يا حاجة، لازم أبقى معاها من أول اليوم.. أنا بقالي كثير أوي مشغوله عنها بالجمعية».

الحاجة: «إنتِ مش مشغولة بالجمعية يا ليلى.. إنتِ مشغولة بربنا.. بدينك.. وده من فقه الأولويات.. وإذا كان ضروري .. خلاص تواجدي، وما تحتفليش إنتِ والزمي الاستغفار!!!

خرجت ليلى من حجرة الحاجة وذهبت للجواهرجي، الذي سلمها عقد ذهب

باللولي والحجارة التركواز، التي كانت أمها تحبهم جدًّا، ولم تفرح كعادتها بهدية أمها التي كانت متأكدة من فرحتها بها، ولكنها كانت تشعر بالغصة في قلبها.. ليس ناحية أمها وأبيها، وتقصيرها من ناحيتهم، وإنما إحساسها بأنها تهدم كل ما تبنيه في دينها بهذه العادات والتقاليد البدعية، التي اختلقها الناس لإفساد الدين!!!.

ورجعت الجمعية ومعها شنطة الجواهرجي، ودخلت على الحاجة؛ لتستأذنها أن تترك الشنطة في حجرتها، حتى تتفرغ هي لمقابلة الأستاذة فضيلة، وتتحرك بحريتها في الجمعية...

ليلى: «السلام عليكم يا حاجة... ماتأخرتش أهو... ممكن أسيب الشنطة دي بس عند حضرتك لحد ما نخلص؟».

الحاجة بمنتهى الحب: «طبعًا يا حبيبتي».

كانت رانيا موجودة مع الحاجة، فقالت: «ورينا يا ليلى جبتي إيه!».

ليلى بفرحة وهي تفتح الشنطة وتخرج علبة العقد: «طبعًا ياريت عشان تقولوا لي رأيكم»..

بمجرد ما أن أخرجت ليلى العقد من العلبة، نظرت الحاجة إلى رانيا، ثم نظرت إلى ليلى، وتنهدت وقالت لها بمنتهى الهدوء: «ليه الأزرق ده يا ليلى؟».

ليلى باستغراب: «أزرق إيه؟؟؟ التركوازده يعني؟ ده ماما بتحبه أوي»..

الحاجة: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ليلى: «معصية؟؟؟ ليه يا حاجة؟!».

الحاجة: «التركواز والحجر الأزرق والحاجات دي زيها بالظبط زي العين والكلام الفارغ ده... لا يجوز إطلاقًا إننا نتعلق بيهم أو نلبسهم دي بدعة وضلالة... يعني جهنم يا ليلى والعياذ بالله».

ليلى، وهي مفزوعة: «بس ماما بتحبه دون أسباب، وأنا مافكرتش كده لما جبته ولا أعتقد ان ماما نفسها بتفكر بالطريقة دي... يعني مجرد لون زي أي لون تاني».

الحاجة بتشدد: «لأ، يا ليلى ولازم نتقي الشبهات في الحاجات دي... يعني مثلًا لو واحدة شافتك لابسة خرز أزرق، وهي عارفة أنك طالبة علم شرعي ممكن تفتكر إنك لابساه تبرُّكًا أو خوفًا من العين والحسد وممكن تقلدك لو عاجبها مظهرك وكله في ميزانك بقى»...

دخلت عليهم السكرتيرة.. تبلغهم إن الضيفة الأستاذة فضيلة على وصول...

استغفرت الحاجة بهمهمة، وبمنتهى الإحباط أرجعت ليلى العقد إلى علبته ووضعته في الشنطة، وخرجت مع رانيا والحاجة لاستقبال الأستاذة فضيلة..

خرجت ليلى من حجرة مكتب الحاجة، وهي تشعر بأنها شخص مغيب لا يعرف

شيئًا عن دينه، وخرجت معها صفاء إحدى السيدات المقربات من الحاجة، ووجدتها تربت على كتفها، وتقول لها: «ماتتخضيش يا ليلى
ولا تزعلي... كل شيء في أوله صعب.. تعالي هوريكي حاجة».

وأخذتها وذهبت إلى مكتب السكرتارية وأشارت لها إلى كتاب ملقى في سلة المهملات، تحت مكتب السكرتيرة الجديدة والمتخرجة، من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة.

ليلى بهدوء: «مش فاهمة.. إيه ده؟».

صفاء، وهي تمد يدها لتحضر الكتاب لليلى: «بصي لقيت إيه على كرسي من اللي جوا؟».

نظرت ليلى فوجدت الكتاب هو رواية Ear Pray Love ، وكانت ليلى قد قرأتها واستمتعت بها، وشاهدت الفيلم أكثر من مرة..

ليلى: «ليه في الزبالة؟».

صفاء: «ليه؟؟ أوعي يكون بتاعك.. النوعية دي من القراية حراااااااااام... أي دقيقة تضيع دون ذكر المولي عز وجل حرام.. والأفضل بالتأكيد أن نقرا قرآنًا أو سنة أو حديثًا... أو نصلي.. ونسبح.. لكن ده «وهي تهز الكتاب في يدها وتلقي به في سلة المهملات مرة أخرى» يبقى تضييع وقت.. والوقت ليس ملكنا من الأساس»..

ليلى: «دي مافيهاش أي إثارة للغرائز أصلًا.. دي رواية عن واحدة تعيد اكتشاف نفسها عن طريق اليوجا والـ meditation و..».

قاطعتها صفاء: «أيوه بس فيها دلع وشرب وشوية رجالة، اللي كانت عايشة معاه واللي بتحبه و..».

فقاطعتها ليلى بدورها وبتحدٍّ: «إنت قريتيها بقى؟!».

صفاء: «لأ ماقريتهاش طبعًا.. أنا ماضيَّعش أيام في خيابة كده»، وأكملت في همس: «أنا شفت حتت من الفيلم كده في التليفزيون.. بس خليها في سرِّك».

في هذه اللحظة، خرجت الحاجة ورأت المشهد، وقالت وهي تمشي بعظمة في طريقها إلى باب الخروج: «شيلي يا صافي الكتاب ده من الزبالة.. إحنا مش أد إن حد ياخده ويقراه.. حرام عليكم يا جماعة.. قليلًا من التفكير».

وأكملت بالهدوء والعظمة نفسها: «ليلى.. تعالي نطلع نقابل الدكتورة فضيلة»..

وخرجت وراءها ليلى، وأحاسيسها متضاربة بكل ما يحدث حولها وبما تفعله.. وقررت أن تعطي الحاجة والأستاذة فضيلة كل تركيزها، وأن تسأل عما تريد أن تسأل عنه في وقت آخر..

كانت الأستاذة فضيلة في العقد الخامس من العمر.. سمراء كمعظم أهل

المغرب.. سمحة الوجه.. قصيرة نوعًا ما بالنسبة للحاجة سامية.. وتبدو القوة على ملامحها.. استقبلتها الحاجة بالأحضان والقبلات الحارة، وقادتها معها إلى الداخل.. نظرت الأستاذة فضيلة نظرة سريعة، ولكن فاحصة، إلى كل الموجودات حولها، وابتسمت ثم دخلت إلى حجرة الحاجة وظلتا معًا حوالي نصف ساعة، والموجودات منتظرات ومترقبات في الخارج.. ثم اتصلت الحاجة بليلى بالتليفون الداخلي، وطلبت منها الدخول.. وفعلًا دخلت ليلى، وسلمت على الدكتورة فضيلة، التي بادلتها السلام بمنتهى الترحاب وقالت بلهجة عربية تغلب عليها اللكنة المغربية: «أهلًا وسهلًا.. إنت بقى ليلى اللي تعبتك معايا وأنا مسافرة؟».

ردت ليلى بخجل، لا يخلو من الفخر: «ولا تعب ولا حاجة حضرتك.. دي مصر نوَّرت»..

كانت الحاجة تنظر إلى ليلى بمنتهى الفخر والحب، وقاطعت كلامهم وهي تربت على كتف ليلى: «ليلى دي بقى شعلة النشاط في المكان.. ربنا غارز حبها في قلوبنا كلنا.. ماشاء الله ولا قوة إلا بالله»..

ودخلت الحاجة وليلى مصطحبين الدكتورة فضيلة إلى الداخل.. وفورًا وصلت شهيرة التي ستستضيف الدكتورة فضيلة في فندقها، هي وزوجها، والتي لم تذكر شيئًا عن سعر هذه الاستضافة، والتي قررت ليلى أن تدفع لها كل ما تطلبه «إذا» طلبت، ليس لشيء إلا لعدم معارضة كلام الحاجة التي حذرت ليلى من سؤالها..

نقرت رانيا على باب حجرة الحاجة، وسلمت على الجميع، وأخبرت الحاجة بأن الموجودات في الخارج طلبوا منها معرفة بدء الدكتورة فضيلة للدرس..

سألت الحاجة سامية رانيا: «العدد كام بره يا رانيا؟».

رانيا: «حوالي 30 أو 35 يا حاجة».

الحاجة موجهة كلامها إلى رانيا: «إندهيلي الدكتورة نادية».

وخرجت رانيا بسرعة، وبمجرد أن فتحت الباب، وجدت الدكتورة نادية، التي دخلت بدورها وسلمت على الدكتورة فضيلة والحاجة بحرارة مبالغ فيها.

وعرّفتها الحاجة للدكتورة فضيلة قائلة: دي بقى الدكتورة نادية معلمة القرآن والإجازات بتاعتها من السعودية والإقبال على دروسها يفوق الوصف يا دكتورة فضيلة..

كانت الحاجة توزع عبارات الإعجاب على كل الموجودات بمنتهى الذكاء، وإن كانت هي تقوم بتقديم الدكتورة فضيلة إلى شهيرة، لم تذكر أنها صاحبة الفندق الفخم والسويت، الذي سوف تقضي فيه الدكتورة أيامها في القاهرة..

كان هذا مجالًا للحاجة بأن تعلن أن الدرس القادم سوف يكون للجميع، وفي الجمعية، وسوف يكون بتذاكر والدخول بأولوية الحضور، ودون أي حجز مُسبق حتى تضمن وصول الجميع في الوقت المحدد، وعدم تناقل الكلام والقيل والقال

عن فلانة حجزت لعلانة و.. هكذا.. وسوف تكون التذكرة بخمسين جنيها، وأن الريع سوف يُقسم بين الفقراء والمعدمين في مصر والمغرب عند الأستاذة فضيلة!!!

وبالفعل، بدأ درس خفيف لم تكن فيه معلومة جديدة، وإنما كان على شكل تعارف بين علية القوم وصفوة الموجودات، وأقربائهن أيضًا ممن سوف تُقسم عليهن دروس الدكتورة فضيلة في الفترة، التي سوف تقضيها في مصر، والتي سوف سيقضون أيامًا يتحدثون عنها..

وفجأة رفعت ميمي يدها لتسأل سؤال.. وهي سيدة في منتهى الرقى في منتصف الخمسينيات، ينادوها جميعًا بطنط ميمي، وهي أم زميلة لهن اسمها شيرين، وأيضًا قريبة لأبي خالد من بعيد... دائمًا ما تحضر الدروس في الجمعية، مع ابنتها، قالت: «طب دلوقتي.. أنا شيرين بنتي جوزها فتح مكتب في مكة علشان عنده مشروع تبع تصليحات الحرم المكي، وبيضطر يروح تقريبًا كل شهرين يقعد أسبوعين، وده استلزمه أن يؤجر سويت كامل في الأوتيل، وبيبقى عايز شيرين تسافر معاه، وتقعد كل الفترة دي، وطبعًا ماينفعش علشان الولاد والمدارس، وبصراحة بنتي قلقانة؛ لأنه خلاص بطل يطلب منها الطلب ده.. هو ممكن يتجوز عليها من غير علمها؟».

الأستاذة فضيله: «ممكن طبعًا، ويحق له كمان».

طنط ميمي: «إزاي بقى مش لازم يعلم الزوجة الأولى؟».

الحاجة سامية: «ده القانون الدخيل على الشرع والسنة بقى يا ميمي... حلال إنه يتجوز عليها، ومش بالضرورة يبلغها أو يعلمها أصلًا.. وممكن يكون اتجوز في الفترة اللي بيسافر فيها بس»..

فقالت طنط ميمي مفزوعة: «مسيار يعني؟؟ وده مش حرام؟».

الأستاذة فضيلة باستنكار: «حرام؟ ليه حرام؟؟؟ ده حتى يبقى حق بنتك محفوظ.. المسيار زواج شرعي زي بقية عقود الزواج المتعارف عليها.. الاختلاف الوحيد فيه هو أن الزوجة الجديدة تتخلى عن حقها كزوجة في النفقة والمبيت والسكن.. وقد يشترط الزوج فيه مثلًا أن يكون لها النهار دون الليل، وهو ما يسمى بـ«النهاريات»...».

طنط ميمي: «وده يبقى الفرق بينه وبين الجواز العرفي إيه؟».

الأستاذة فضيلة: «ومين قال إن الزواج العرفي حرام؟ هناك أسباب أدت إلى ظهور هذه الأنواع من الزواج، هي: غلاء المهور، وكثرة العوانس، وازدياد حالات الطلاق ، وعدم رغبة الزوجة الأولى أن يتزوج عليها زوجها؛ مما يدفع الزوج الى الزواج بأخرى سرًّا؛ حفاظًا على أسرته وبيته من الزوجة الأولى، وازدياد رغبة الرجل الحلاااااال في المتعة بأكثر من امرأة»..

تدخلت الحاجة بذكاء لإحساسها بأنه من الممكن أن تفقد ميمي، فقالت لها،

وهي تحتضنها: «إنت هتشغلينا بنيقين القمر، وجوزها اللي
لا يمكن يستغنى عنها، ولا يشاركها فيه حد، وتنسي تعملي عزومة عندك
للدكتورة فضيلة ولا إيه؟!».

ميمي باستياء: «إن شاء الله طبعًا»..

وانتهى الدرس وبدأت السيدات بالانصراف، وتأكدت ليلى من وجود السيارة الخاصة، التي كانت قد استأجرتها بسائقها؛ حتى تكون تحت أمر الدكتورة فضيلة وزوجها، وذهبت إليها بأحد الهواتف المحمولة الحديثه جدًّا والذي أخذته من البيت واشترت له خطًّا خاصًّا؛ ليساعدها على التواصل معهم في أي وقت، وتممت على كل شيء.. ثم استأذنت من الحاجة التي كانت تراقبها من بعيد، وتسألها إن كانت تريد أي شيء.. وبالفعل ردت الحاجة عليها: «جزاكي الله كل الخير يا حبيبتي.. ربنا
يبارك فيكي».

ودخلت ليلى إلى غرفة الحاجة لتأخذ هدية والدتها، التي تركتها قبل الدرس، وأخذتها ثم ذهبت في اتجاه الباب، ووجدت رانيا تجري وراءها، وتنده عليها، وتسألها لو أن هناك إمكانية لتوصيلها لبيتها أم لا..

بالطبع، فإن آخر ما كانت تحتاجه ليلى في هذا اليوم هو صُحبة رانيا... وبالفعل ظلت طوال الطريق في شكاوي، لا تنتهي من حسين أو من أهله... وإعادة وإفادة لكل ما قالته الدكتورة فضيلة والحاجة، وبالطبع لم تسلم ليلى من بعض التعليقات على السفر والأحذية والشنط والسخنة والجونة وخلافه.. ولما فاض الكيل بليلى، قررت أن تتجنب الحديث أو الرد، وطلبت والدة خالد، وكان التليفون مشغولًا..

وفاجئتها رانيا بالسؤال: «إنت بتكلمي مين، وأنا بحكيلك كده؟».

ليلى: «إنت مش بتحكيلي يا رانيا.. إنت بترغي، وأنا عايزة أكلم حماتي ضروري»..

رانيا: «إنت غريبة أوي يا ليلى.... لسه بترغي كده مع حماتك، بعد الدرس اللي أخدناه يوم الحاجة سامية؟ يا بنتي ماتفتحيش قلبك ليها أوي كده»..

ليلى: «بُصِّي يا رانيا.... أنا تعبانة أوي النهارده، ومش حمل كلام من ده... وبعدين طنط عمرها ما أساءت ليّا، وأنا من نفسي، وبعد كلام الحاجة سامية بقيت معتدلة... ماتخافيش عليّا»..

وصلت ليلى البيت متأخرة ومستهلكة فكريًّا وجسديًّا تمامًا، ووجدت الأولاد قد رجعوا من المدرسة وكل منهم على كنبة والتليفزيون مفتوح، ولم يتحركوا، ولم يأخذ أي منهم حمامًا ولا تناول طعامه، أو حتى غيَّر ملابس المدرسة.. حتى شنط المدرسة كانت ملقاة على الأرض .. وبالطبع، كانت قصص هانيا الإنجليزية في كل مكان لإدمانها على القراءة مثل والدتها... ودُهشت ليلى من المنظر،

ونادت سوكيروا لتسألها عن الفوضى التي تراها..

ردت سوكيروا بلهجتها المصرية الإندونيسية: «حضرتك مادام قولتي لو أولاد نايم أنا مش أصحى أبدًا.. وآنيا «هانيا» إيجي من مدرسة بطني اوجع وقول أنا آوز أنام ومامي ايجي أنا قوم.. وكمان مستر قول أنا مش أعمل حاجة مع أولاد.. ماما بس!!!

فزعت ليلى على صحة هانيا، عندما علمت إن بطنها بيوجعها، واندهشت من تعليمات خالد للخادمتين.. وبسرعة ذهبت تتفحص هانيا، ومالت عليها وقبلتها، وقالتلها: «مالك يا حبيبتي؟».

هانيا: «بطني واجعاني أوي يا مامي».

ليلى: «طيب تعالي معايا ادخلي الحمام، ونغير هدومنا، ونشرب حاجة سخنة، علشان تبقي أحسن إن شاء الله»..

قامت هانيا بهدوء مع ليلى، وأيقظتا عمر الذي كان نائمًا هو الآخر على الكنبة الأخرى في حجرة المعيشة، ودخل الحمام هو الآخر، ومارست ليلى هوايتها، التي كانت منقطعة عنها من فترة من مساعدتهم في تغيير ملابسهم وغَرْف الطعام وخِلافه..

وعلى عكس تعليمات ليلى، وما اعتاد الأولاد فعله، ساعدت ليلى ابنتها على الجلوس في غرفة المعيشة، وأحضرت لها صينية الطعام، بل وسمحت لعمر بالمثل، بعد أن قال لها: «طيب وأنا هقعد على السفرة لوحدي، ولّا لازم بطني توجعني».

فضحكت ليلى، وقالت له: «وانت كمان يا سي عمر، ولا يهمك».

كانت ليلى في قرارة نفسها متأكده بأنها مقصرة في حق الأولاد.. ولم تعد تقضي معهم نصف الوقت، الذي كانت تقضيه معهم من قبل الجمعية.. لم تعترف لأحد أبدًا بهذا، ولكنها في قرارة نفسها كانت تشعر بتأنيب الضمير.. ولهذا قررت أن تقضي بعض الوقت معهم، تتناقش معهم، وتسألهم عن المدرسة والأصدقاء وغيرها من الأشياء، التي لم تعد تسأل عليها بالشكل الذي اعتادته.. كما قررت أن تتجاهل كلام خالد لسوكيرو، ونادت عليها، وأكدت عليها ألا تخبر خالد بأنها عرفت أنه منع سوكيرو من عمل أي شيء للأولاد!

عندما دخل عمر إلى حجرة المعيشة ليأكل مع هانيا، أخذ الريموت كالمعتاد، وأراد فتح التليفزيون، الذي أغلقته ليلى لحظة دخولها.. ولكن ليلى نظرت إليه وقالت له: «خلينا نتكلم مع بعض شويه بقى، من غير التليفزيون ودوشته».

هانيا، وهي تأخذ رواية من الروايات: «بس بعد الحلقة اللي شغالة، دي ها تخلص يا مامي إحنا بنشوفها كل يوم».

عمر، وهو يفتح التليفزيون: «أيوه، بليز، هنشوف هيحصل إيه النهارده».

ليلى: «إيه اللي في إيدِك دي يا هنوشة؟».

هانية، وهي بتضحك: «دي novel حلوة أوي يا مامي.. ومش هتاخديها إلّا لما أخلصها»..

تذكرت ليلى ما سمعته اليوم في الجمعية من صفاء، إحدى تلميذات الحاجة النجيبات، والتي ذكرت لها الموضوع بمنتهى الهدوء؛ لتنزع من قلبها أي حزن بخصوص حضورها عيد ميلاد والدتها، أو الهدية الخاصة بها.. ولم تعلم صفاء أنها بتحريم القراءة على ليلى، ستتسبب في تحويلها إلى شخص آخر لا تعرفه ليلى نفسها.. وتذكرت ليلى القصص التي اعتادت قراءتها طوال الوقت... خاصة الرواية التي رميت في سلة المهملات، والتي قرأتها أكثر من مرة، وشاهدت الفيلم وكثيرًا ما تناقشت مع أصدقائها، الذين شاهدوا الفيلم فقط، وأوصتهم بضرورة قراءتها من فرط جمالها وصدقها.. ولم تكتف بها، بل اشترت الجزء الثاني المكمل لها وهو Commited، وكانت وهي تقرؤه تتخيل أبطال الرواية الأصلية يتكلمون ويتحركون..

لقد ورثت هانيا عن والديها حب الإمساك بالكتاب وقراءته.. بل وكثيرًا ما كانوا يضغطون على عمر بأن يقرأ هو الأخر، ولا يكتفي بقراءة المعلومة أو القصة من الإنترنت.. كيف ستتوقف عنها الآن؟ ولماذا تكون حرامًا؟ ولكنها سرعان ما توقفت عن التفكير، وأقنعت نفسها بما قالته الحاجة يومًا عن الصعاب، التي ستواجهها في طريقها إلى التقرب من الله تعالي.. وأنها بذلك تحمي نفسها وأولادها وزوجها وكل أهلها من غضب الله.. وأنه هناك أشياء وأوامر ألهية يحكمها «السمع والطاعة» فقط!!! وفي وسط هذا تذكرت ليلى أيضًا الصراع الداخلي لكثير من المعلمات والدارسات في الجمعية، ومنهم نظرة صفاء خلسة، وهي تخبرها بأنها رأت مقاطع من الفيلم؛ أي إنها تشاهد التليفزيون، أو أن عندها في البيت من يشاهدون قنوات غير المجد والرحمة، وكيف أنها لا تريد الإفصاح عن هذا كله، بل وتقوم به في السر وتحتفظ به لنفسها، أو لمن تثق فيهم!!!

تنهدت ليلى وتركت أولادها يشاهدون الحلقة، وهي تراقبهم من بعيد، ودون أن يشعروا.. وعندما اقترب موعد قدوم خالد، دخلت، وأخذت حمامًا وغيرت ملابسها، ثم خرجت من الحجرة وذهبت تتفقدهم، وهي تمشط شعرها المبلل بالماء، ووجدت عمر مندمجًا للغاية في مشاهدة مسلسل أمريكاني عادي أحداث بوليسية، وهانيا تشاهد بعين وتقرأ في الرواية بالعين الأخرى، ووجدت نفسها تتمنى لو أن كلًّا منهم يترك ما يفعله، ويمسك القرآن يقرأ فيه، ولكنها وجدت نفسها عاجزة عن أي كلام.. وبعد برهة سألتهما..

- «إيه بقى اللي عاجبكم في المسلسل الممل ده؟».

ضحكا الاثنان معًا، ورد عمر: «ده ممل؟ أمال المسلسلات اللي نانو «والدة ليلى» ومامينا «والدة خالد» بيشوفوها تبقى إيه؟».

هانيا: «مامي حضرتك أصلًا ممكن يعجبك أوي ده مش بس بوليسي.. فيه رومانسي من اللي بتحبيه، وحتت من اللي دادي بيتريق عليها، ويقول أفلام قبل النوم.. هههههههه».

كلمات هانيا ذكرت ليلى بحياة كانت قد بدأت في نسيانها.. حوارات جماعية.. وهزار خالد وتريقته على الأفلام اللي تحبها ليلى، والتي فاجأها في يوم، وأحضر لها USB عليها أكثر من 50 فيلمًا ومسلسلًا أجنبيًّا، تحبها وتضحك من قلبها على أحداثها، ولا تمل من أن تشاهدها، حتى ولو مكررة يوميًّا سواء مع الأولاد أو وحدها... حتى هذا الحوار الذي دار بينها وبين الأولاد كانت تفتقده، لدرجة أنها حمدت ربنا على مرض هانيا، الذي تسبب في جمعهم وجلوسهم مع بعضهم كل هذا الوقت الحلو..

الفصل الثالث عشر

بِداية النَّدم

وقررت ليلى أن ترسل لخالد رسالة شبه اعتذار دون كلمات أسف؛ «فهي من وجهة نظر نفسها لم تخطئ»، ولكنها أيضًا لم تكن تريد أن تزداد حدة الخلاف، أو تطول مدة الخصام بينهما.. وقررت أن تكتب رسالة ذكية وتناديه باسم الدلع الخاص بهما، وكأن شيئًا لم يكن.. فكتبت له: «إنتَ فين يا لولي.. أنا هموت من الجوع.. ياللا تعالى بقى».. وجلست مع الأولاد تنتظر رد خالد، الذي أشار المحمول بأنه قد وصلته الرسالة وقرأها.. وبعد 10 دقائق عدتهم ليلى، ردَّ عليها، وقال «نص ساعة هبقى في البيت».. ومنعت نفسها من أن ترسل له ردًّا فيه «إن شاء الله»، ولكنها منعت نفسها من كتابة أي شيء ممكن يثير الجدل، واكتفت بأن قالت في سرها: «بالسلامة إن شاء الله»..

وقامت بتغيير مفرش السفرة ووضعت آخر أبيض اللون، ورشت عليه بعض أوراق الورد البلدي الأحمر، الذي لا يخلو بيتها منه، وتممت على كل شيء ومن ضمن ما تممت عليه هو سوكيروا، وعدم إخبارها لخالد بأنها قد عرفت أي شيء عن تعليماته الجديدة، وعادت للأولاد تجلس معهم صامتة، ولكنها متفرجة عليهم، وليس على التليفزيون أو على كتاب
أو مجلة..

دخل خالد ووجدهم جالسين ما بين كلام ومشاهدة تليفزيون وضحك وتعليقات، فشعر بسعادة بالغة وقال بفرحة: «لا لا لا... إنتم التلاتة مع بعض؟ وحشتوني بجد ووحشني المنظر ده.. لازم بقى كل واحد فيكم ياخد حضن يفطس!!!».

وكانت هذه الكلمة «حضن يفطس» من الكلمات، التي اعتاد خالد وليلى ترديدها للأولاد وحتى لأنفسهم..

قامت هانيا وعمر وحضنا خالد، وبقيت ليلى في مكانها، ولكنه ذهب إليها في مكانها وجلس بجوارها، وأخدها في حضنه وقبلها في رأسها وخدها، ولم يكن من الممكن أن تصده أو ترجعه عنها؛ خصوصًا وأن الأولاد كانوا موجودين.. ولم يتراجع خالد عن فعل ذلك بمنتهى الحب، وهو يعلم جيدا أنها سوف تتقبل الأمر وكأنه اعتذار، ولكن سعادته بهم طغت على تفكيره، وقرر أن يتصرف بطريقة طبيعية أما ليلى، فقد كان هذا التصرف من وجهة نظرها اعتذارًا لما حدث بالأمس، مع أنها هي المخطئة وتركته يحضنها، وهم يجلسون مع الأولاد، رغم الارتباك الذي كانت تشعر به بسبب هذا الحضن؛ الذي سيتسبب في أن تدخل إلى الحمام، وتأخذ دشًّا آخر، لتتطهر، وقالت في نفسها «عوضي على الله في الدش اللي لسه واخداه».

ليلى باستحياء: «تحب تاكل دلوقتي؟».

خالد: «طبعًا مادام القعدة حلوة وتفتح النفس كده ماكلش ليه، وبعدين أنا نازل بعد ساعة فيدوب آكل، وأغير هدومي وأنزل على طول»..

ليلى: «أوك ياللا.... هقول لسوكيرو تحط الأكل على طول وأنا...».

ولم تتم الكلام؛ لأنها لم تكن تريد أن تلفت نظره إلى أنها سوف تدخل للاستحمام مرة أخرى، وهي مازالت بالفوطة على أكتافها، لأن شعرها مبلل بالماء...

وأكملت موجهة كلامها للأولاد: «ياللا خلَّصوا المسلسل ده بقى، وتعالوا اقعدوا معانا على السفرة نتكلم شوية».

خالد: «ليه هم أكلوا ولا إيه؟».

ليلى: «هانيا كانت بطنها مش مظبوطة فخليتهم يتغدوا علشان خفت تتأخر»..

انتهت سوكيروا من السفرة، وذهب خالد ينادي على ليلى، ووجدها تفتح باب الحمام، وتخرج منه وهو مملوء بالبخار، وشعرها ملفوف في الفوطة، وسألها: «إنت استحميتي تاني يا ليلى؟».

ليلى وهي بتتحرك في اتجاه ترابيزة الأكل وبتبتسم: «إيه يا خالد في إيه.. ياللا نروح ناكل».

خالد، وهو بيمسكها من كتفها، وهي تحاول الفرار منه: «مالك؟ في إيه؟».

ليلى: «مفيش حاجة.... الأكل هيبرد، وإنت عاوز تنزل».

خالد: «مش مهم الأكل دلوقتي، وهنزل أيوه بس إنت فيكي حاجة متغيرة وبقيتي كل ما ألمسك تتوتري»..

وأخدها في حضنه (وكانت على وشك البكاء) وأكمل وهو يسير معها في اتجاه السفرة ويديه حول وسطها: «إنت مش متخيلة أنا فرحت إزاي لما لقيتك إنت والولاد قاعدين مع بعض وبترغوا وبتضحكوا... وحشتوني.. وقعدتكم ورغيكم بصوت مجلجل كده وحشني أوي... حتى نسيت إني كنت مخاصمك وزعلان منك.. بس ياللا سماح... أنا أجلت السفر شوية لحد ما نقعد ونتكلم بعد عيد ميلاد طنط».

ثم قبلها قبلة عابرة على رقبتها.. تقبلتها، وهي تبلع ريقها، وتفكر في الطريقة التي سوف تأخذ بها ثالث دش!!

فكرت أكثر من مرة أن تدخل إلى الحمام، ولكنها لم تكن معتادة أن تتركه على السفرة وحده أو حتى مع الأولاد.. وأكملت طعامها، وهي تستغفر على الوقت، الذي تجلس فيه دون أن تتطهر، ولكنها لم تكن تريد لفت نظره، ونظرت في ساعة خالد، ووجدت أن أوان صلاة المغرب قرب على الانتهاء، وهي لابد أن

تصلي وانتهزت فرصة انشغاله في مكالمة تليفونية من المكتب، ودخلت إلى حجرة هانيا تستحم فيها؛ حتى لا تدخل الحمام الخاص بحجرتهم، فتلقت انتباه خالد، ويسألها مرة أخرى.

وخرجت من الحمام بسرعة، ووجدت خالد واقفًا أمامها!!!

خالد: «إنت كنتي بتستحمي تاني؟ تالت؟!!!».

ليلى بلعت ريقها وشعرت بالدم يجري في وجهها، وقالت بعصبيه: «أيوه يا خالد»..

خالد: «ليه؟ فيه إيه؟ تعبانة؟».

ليلى: «خالد... إنت صليت المغرب؟ المغرب هيفوتنا»...

خالد: «أنا صليت وإنت بتستحمي».

ليلى: «خلاص.. سيبني أنا ألحق بقى»..

جريت ليلى تصلي لدرجة أنها ارتدت إسدال الصلاة على فوطة الرأس؛ مما جعل شكلها مضحك.. وفي وقت صلاتها كان خالد ينهي مكالماته ويلغي موعده!!!

أنهت ليلى صلاة المغرب وسنته طبعًا والتسابيح، ووجدته جالسًا وراءها مبتسمًا..

ليلى: «مالك قاعد كده؟ في إيه؟».

خالد: «بتفرج عليكي.. إيه اللي إنت لابساه ده وإيه الاستعجال ده كله»..

ليلى، وهي ترمي الفوطه جانبًا، وتبدأ في تمشيط شعرها: المفروض الصلاة تكون بين الآذان والإقامة وإلا تبقى قضاء.. فلبست الإسدال على الفوطة بسرعة..

قال لها: «فهميني بقى»...

ليلى: «استني بس لما أقرأ الأذكار»...

خالد: «الأذكار تستني شوية يا ليلى... دي حتى اسمها أذكار المساء.. فهميني إيه اللي بيحصل... إنت تعبانة؟ تحبي نروح للدكتور؟».

ليلى ببساطة، وكانها بتقول له معلومة: «لأ، طبعًا... دكتور إيه... أنا الحمد لله زي الفل»....

خالد: «أمال تلات مرات تستحمي في أقل من ساعة ليه؟».

ليلى: «صعب تفهم وتقتنع... بلاش خناق النهارده من فضلك».

خالد: «خناق؟ ليه فَهِّميني؟».

ليلى: «إحنا عايشين مغيبين يا خالد... كل مرة بتبوسني فيها أو بتحضني، أو بتمسك إيدي لازم أتطهر من بعد الحضن والبوسه دول، علشان مابقاش

نجسة!!!».

اندهش خالد تمامًا لدرجة أنه لم يكن قادرًا على أن يرد عليها من الصدمة، وقال لها: «ليلى... الكلام ده غلط وفي منتهى الخطورة لو بتنفذيه باقتناع!!! يبقى إنت بيتعمل لك غسيل مخ رسمي»..

ليلى بعصبية: «تاني؟؟؟ غلط في الناس تاني يا خالد»..

خالد: «غلط؟؟؟ هو إنت مقتنعة أصلًا إنه صح؟؟؟».

وقام من مكانه، وأغلق الباب عليهما واقترب منها وأجلسها على كنبة في حجرتهما وجلس راكعًا أمامها وقال لها: «حبيبتي الكلام ده غلط... النبي عليه الصلاة والسلام كان بيرطب السواك في فم السيدة عائشة قبل ما يستعمله... وكان بيأكل زوجاته في بقهم، وكان بيشرب من نفس مكان شرب السيدة عائشة.. عاوزة تقولي لي بعد كل ده إن النبي عليه الصلاة والسلام ماكانش طاهر والسيدة عائشة كانت نجسة؟!!!».

ليلى: «بس يا خالد إحنا مانقدرش نعمل نفسنا زيه، مع إني ماعرفش كل ده، بس»...

قاطعها خالد: «لأ، لأننا بنقتدي بيه يا ليلى، وطبعًا لازم نعمل زيه والسنة المحمدية أصلًا علشان كده... علشان يعلمنا ويربينا ويكون قدوتنا»..

أمسكت برأسها، وقالت له بانهيار تام: «بس يا خالد بقى أنا تعبانة أوي والله وعندي صداع... أنا أصلًا مصدومة إن كل نشأتي حرام، وكل التعاليم اللي اتعلمتها غلط... وفر الكلام ده لوقت تبقى فاضي فيه...ياللا قوم روح ميعادك»...

خالد: «أنا فاضي ولغيت ميعادي وقاعد معاكي... إحكيلي يا ليلى... مالك ومين اللي بيدخل الأفكار والمعلومات الغريبة دي في دماغك؟».

ليلى: «مش معلومات غريبة ولا حاجة... ده فقه الطهارة يا خالد... حاجة مانعرفهاش، أو علشان ماتزعلش، حاجة مش فاهمينها صح»..

خالد: «فيه سنس sense يا ليلى، يعني تقدير... فيه جنابة وفيه حدث أكبر، وفيه حدث أصغر وفيه استثناءات... ده حتى بعد الإنتركورس لو مفيش ميه، وفيه مشوار ضروري ممكن الإنسان الجُنُب ده ينزل يقضي مشواره، وفيه الوضوء لنص الجسم فقط... ربنا ده كريم أوي يا ليلى».

ليلى باستنكار ورعب: «إيه الكلام ده... وأمشي نجسة؟ ولو مت أبقى ميتة نجسة؟؟؟ يعني سوء خاتمة.. لاأاااا طبعًا»..

خالد: «مفيش نجاسة بين الراجل ومراته... ده الإنتركورس ليه ثوابه عند ربنا والزوجه اللي بيتمتع جوزها بيها ثوابها كبير أوي عند ربنا، زي بالظبط الزوجة اللي تمتنع عن جوزها، وبيبقى عقابها شديد جدًّا عند ربنا»...

ظلت ليلى مستمعة لخالد، وهي رافضة فكرة التفكير فيما يقوله..

و قام خالد بسرعة من مكانه، وأخدها من إيدها، ونزلوا حجرة المكتب الخاصة به وفتح الآيباد، وأخرج كتاب «فقه المرأة المسلمة» وكتاب«فقه الطهارة»، وفي ثوانٍ قرأ عليها حديثًا عن النبي ﷺ بيقول: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله تعالى خيرًا من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته أو حفظته في نفسها وماله» صدق رسول الله ﷺ... رواه ابن ماجه»..

«... ده إنت بتنطبق عليكي كل كلمة في الحديث ده... إنت كنت صالحة من غير الجمعية اللي بتروحيها دي كفاية إنك صايناني في ديني ومالي وعرضي... وإنت اللي قلبي بينشرح لما أبص عليكي... وتفهمي إيه بقى من ده؟؟؟ برضو نجاسة؟».

ليلى: «هو إنتَ عاوز تغلطني وخلاص... أنا مش جايبة الكلام ده من عندي!!».

قاطعها بسرعة وقال لها: «استني استني... أنا كمان مش جايب الكلام ده من عندي»...

ثم اقترب منها بمنتهى الحب، وقال لها: «أنا بقول لك الحاجات دي من كتب الدين يا ليلى ومن الأحاديث النبوية... بجد إنت صعبانة عليا وصعبان عليا أكتر العلاقة الجميلة اللي بيننا، واللي كان كل الناس بيحسدونا عليها.... راجعي نفسك علشان خاطر البيت ده واللي فيه... وهقولهالك تاني أنا لو مش عاوزك تروحي الجمعية، هقول لك ماتروحيش.. لكن أنا عاوزك تتصرفي بعقل وحكمة زي ما عودتيني دايمًا»...

وتركها وخرج من الحجرة.. وفي وسط ذهولها، دخلت عليها سوكيروا، وهي تحمل الموبايل.. وأخذته ليلى وهي شاردة، وكانت الحاجة هي التي أفاقتها من ذهولها وقالت لها: «ماشاء الله يا ليلى.. الأستاذة فضيلة بتقول عليكي سمحة ورضى ربنا باين على وشك يا ليلى.. ماشاء الله اللهم يبارك فيك ويبعد عنك السوء»..

ليلى: «إيه ده بجد... ربنا يكرمها ويعزها يارب»..

الحاجة: «بس طمنيني عليكي... إنت كويسة؟».

ليلى: «الحمد لله، بس عاوزة أتكلم مع حضرتك في شوية حاجات كده، كانت قالتها لينا الحاجة أم أيمن عن فقه الطهارة»..

الحاجة مرحبة: «طبعًا طبعًا يا حبيبتي في أي وقت.. بس خلينا دلوقتي بقى نرتب علشان الدرس اللي عند ندا في البيت إن شاء الله.... أنا كلمت رانيا ورتبت معاها كذا حاجة، وهي قالت لي إنك إنت كمان تقدري تكملي ولا إيه».

ردت ليلى دون تفكير: «طبعًا أقدر.... خليني أكلم رانيا، وأعرف إيه النظام وأكمل كل اللي ناقص إن شاء الله».

كلمت ليلى رانيا، وعرفت منها كل النواقص عند ندا صاحبة البيت، الذي

سيقام فيه الدرس، وأكملتها هي بكل اهتمام..

ذهبت ليلى إلى الدرس، وهي في منتهى الشياكة السوداء تمامًا، كما وصفها خالد عندما وجدها أمام المرآه، تنتهي من ارتداء طرحة للعباية السوداء الكبيرة، فضحك وقال لها: «طيب والله ده لطيف أوي الشياكة السوداء دي... جديدة برضو!!!».

ليلى بهدوء: «يعني ألبس كده على طول؟!».

خالد بالزهق نفسه، وهو بيتحرك خارجًا من الأوضة: «ما إنت لابساه أهو... إلبسيه على استعجال أو وإنتِ رايحة الجمعية بتاعتك... لكن معايا أنا لاأأ»...

نظرت له ليلى، وكأنها لا تفهم ما يقال، وقالت: «إشمعنى بقى»..

خالد: «ربنا يستر يا ليلى... عمر الإيمان ولا الالتزام ما كانوا باللبس وألوانه... ربنا بينظر إلى قلوبنا وأعمالنا مش بينظر للبسنا.... ولا مااخدتيش دي كمان؟».

لم ترد ليلى على ما قاله.. ولم يكن عندها رد، والأهم لم تكن تحتمل أي نقاش جديد يعطلها عن الخروج للدرس في هذا الوقت.. ..

وصلت ليلى إلى بيت ندا، وككل الدروس في بيوت الصفوة، كان كل شيء على قدم وساق.. وكانت ليلى قد أحضرت مايكروفون؛ حتى يسهل على الجميع الاستماع إلى الدكتورة فضيلة أو توجيه الأسئلة.. ورصت الكراسي وبدأت السيدات يتوافدن.. ولفت نظر ليلى أن كثيرات منهن كن يحملن أكياس هدايا فخمة، حتى إن إحداهن سألت ليلى عن مكان إقامة الأستاذة فضيلة لترسل لها هدية على هناك، ترددت ليلى، وسألت الحاجة التي رحبت بالفكرة، وقالت لها: «طبعًا قولي العنوان.. ماهوش سر.. خللي الست تعرف المصريين وكرمهم».. وأكملت ضاحكة: «وقولي كمان للباقيين، يمكن حد يتعدي منك يا أم الكرم إنت»..

وفعلًا دخلت الأستاذة فضيلة واتكلمت في كلام عام، وطلبت منهن أن يعطوها أسئلتهم التي تشغلهن أو التي عليها جدال داخل بيوتهم، فسألتها واحدة من الموجودات، معتدلة مثل ليلى، وليست متشددة، وقالت لها: «كتير يا حاجة بيحصل لَبْس بخصوص التصوير والصور الفوتوغرافية، وبنبقى مش عارفين حكم الدين فيها إيه»...

ردت الأستاذة فضيلة بمنتهى الطلاقة وكأنها كانت منتظرة السؤال: «ليست هناك ضرورة أصلًا للتصوير، والرسول ﷺ شدّد في التصوير،
فلا يُصار إليه إلا للضرورة القصوى مثل استخراج البطاقة الشخصية ورخصة القيادة «للرجال طبعًا» !!! حتى صورة الفيزا للسفر لا تجوز إلا لو السفر للمملكة العربية السعودية لأداء الحج والعمرة»..

سألت واحدة أخرى، وكأنها تتهكم: «لو التصوير حرام يبقى ما حكم مشاهدة التلفزيون؟».. ردت الأستاذة فضيلة مستنكرة أصلًا تفاهة السؤال: مشاهدة

التلفاز خطيرة جدًّا وأنا أوصي بعدم مشاهدته.. لكن إذا كان المشاهد عنده قوة يستفيد من الخير ولا يجره ذلك إلى الشر، فيسمع الشيء الطيب ويستفيد منه، ويبتعد عن الشيء الخبيث من الأغاني والتماثيل الخبيثة، لهذا أنا أوصي بعدم إدخاله الى البيوت من الأساس وعدم مشاهدته؛ لأن النفس ميّالة لمشاهدة الأشياء الغريبة...

وأشرّ من هذا وأخبث الفيديو، إذا سُجلت فيه الأفلام الخليعة التي يتداولها الناس والعياذ بالله، ويجب على العاقل إذا وجد شيئًا من ذلك أن يمزق الفيلم... وأشر من ذلك الدش، فالواجب الحذر منه، وعدم إدخاله البيوت عافى الله المسلمين من شر الجميع... أما التلفزيون فهو آلة خطيرة وأضرارها عظيمة كالسينما أو أشد لما يبث فيه من تمثيل الأخلاق السافلة والمناظر الفاتنة والصور الخليعة، وشبه العاريات والخطب الهدامة.. ومن ظن أن هذه الآلة تسلم من هذه الشرور ولا يبث فيها إلا الصالح العام، إذا روقبت فقد ارتكب الاثم وغلط غلطًا كبيرًا لأن الرقيب يغفل، ولأن الغالب على الناس اليوم هو التقليد للخارج، والتأسي بما يُفعل فيه.. ونسأل الله أن يوفق حكومتكم وحكومتنا لما فيه صلاح الأمة ونجاتها وسعادتها في الدنيا والآخرة...

وأكملت ببساطة: «يحضرني هنا موقف إحدى الاخوات اللي كانت متابعة لشيخ جليل في إحدى القنوات الفضائية واكتشفت بأنها تسعد برؤياه وتستبشر بها، فلجأت لزوجها الذي احتوى الموقف، وقام بإزالة الصورة من على الشاشة والاكتفاء بالصوت فقط. وبعد فترة اكتشف أن زوجته
– لا شعوريًّا - تميز صوت هذا الشيخ، وتأنس بالاستماع إليه، وكان هذا الزوج من الحكمة بأن تكلم مع زوجته بمنتهى الصراحة وترك لزوجته حرية الاختيار، فما بها إلا وآثرت أن تهجر التليفزيون، وتتخلص من وجوده في بيتها تمامًا وتكتفي بالقراءة وهي الأصل والأساس.... ألم يقل الله سبحانه وتعالى في أول ما نزل من القرآن الكريم مخاطبًا نبيه الكريم «اقرأ»!!!!!!!!!!!!!!!!».

وبعد أن انتهى الدرس، استمرت الموجوات كلهن في مصمصة شفايفهن، وندب حظهن، وبختهن على تقصيرهن في حق ربنا وحق أنفسهن، وابتدت الكلمات المختلفة من هنا وهناك على شاكلة: ياعيني علينا ده إحنا لسه بعيد أوي.. وكعادتهن بعد كل درس، تجمعن حول المعلمة، وبدأن يسألنها: إزاي يطبقوا اللي هي بتقوله ده، وأزواجهم مش بيساعدوهم، ولا أهاليهم بيعاونوهم على كده.....

سألت الحاجة ليلى: «ماما ماجاتش معاكي ليه يا ليلى؟».

ليلى: «ما هو أنا ماستأذنتش حضرتك، وكمان كنت مستعجلة أوي، فماجاش في بالي أقول لها»..

الحاجة: «خلاص.. بكره إن شاء الله الدرس عند أمنية في البيت.. وأمنية لسه

جديدة في موضوع الدروس.. تروحي بقى من بدري، ولازم ماما تبقى موجودة إن شاء الله»..

وبالفعل، فكرت ليلى أن تاخد أمها وحماتها معها، ولكن حماتها اعتذرت؛ لأن عندها ارتباطًا عائليًّا، ولكن أمها وافقت على مضض، بعد أن كان لها هذا الحديث مع «أبو» ليلى.

الأب: «روحي معاها.. لازم حد يشوف الناس دول.. مظهرهم عامل إزاي.. ودي أول مرة تقول لحد يروح معاها».

الأم: «يعني هتقول كده ليه، ما هو علشان الست اللي جاية لهم من المغرب دي.. حاجة كده زي الحفلة!!».

الأب: «دي ميزة مش عيب.. دي معناها إن معظم اللي في الجمعية بتوعها دول هيروحوا ويحضروا.. روحي وشوفي إنت بعينك.. ولكن حذاري إنك تتعصبي من أي حاجة تتقال ماتعجبكيش.. اسمعي وماتعلقيش.. فاهمة؟؟ اسمعي وماتعلقيش علشان ماتخسريش بنتك»..

ظلت الأم مذهولة من كلام الأب الواثق، وكأنه يعلم ماسوف يحدث مسبقًا..

وصلت ليلى من قبل موعدها هي ورانيا، ورتبوا البيت والبوفيه مع أمنية.. المقدمات والتسالي على الترابيزات، والورد في أركان الصالون، والميكروفون والسماعات والكرسي الخاص اللي هتقعد عليه الأستاذة فضيلة وكرسي مثله للحاجة طبعًا لمركزها ووضعها.. وتمموا على البنات اللي هيخدِّموا على السهرة وكلهم كانوا جرسونات بنات من مطعم صديقة لهم، متخصصة في فرش وخدمة الحفلات النسائية.... كان هذا الجو يقوي بداخلها الإحساس بأن الدنيا يسيرة وسلسة وأن كل شيء متوافر للمحجبات وللمنتقبات، وأنهم ليسوا بشيء جديد أو دخيل على المجتمع... وبدأت السيدات المعزومات، يصلن شلة ورا شلة ومن الجمعية، ومنهن من يسأل «مين اللي مرتب، ومين اللي طابخ وإيه الشياكة دي».

وفجأة، قالت لها رانيا بهدوء: «على فكرة معظم الستات دول غيرانين منك يا ليلى علشان حب الحاجة ليكي وثقتها فيكي»..

ليلى: «هي الغيرة في الدين برضو!!».

ردت رانيا: «طبعًا «وفي ذلك فليتنافس المتنافسون»..».

ليلى: ««ذلك» دي أعتقد أنها تعود على القرآن والدين والعلم يا رانيا، وماتعودش على حُب الحاجة ولا إيه؟».

كانت ليلى في هذه المرحلة قد بدأت فعلًا «تشغل مخها» كما قال لها خالد، وتعقل الكلام، ولكنها أيضا كانت سعيدة بالوضع الجديد، وكان عندها أمل أنها تُدخل خالد معاها في هذه الحياة..

ووجدت رانيا ترتب مكانين على جنب، ولكن في مقدمة الكراسي، ووضعت عليهم شنطتها هي وليلى...

اعتقدت ليلى أن رانيا تقوم بحجز أماكن لهم، فقالت لها: «أنا مش هقعد يا رانيا.. وبعدين مش الحاجة قالت قبل كده إنه لا يجوز إن حد يحجز كراسي..

رانيا: «أولًا الحاجة قالت إنه لا يجوز نحجز لحد مش موجود، ولكن أنا وإنت موجودين وهلكانين وطالع عيننا كمان، ومع ذلك، فإن المكانين دول مش ليا ولا ليكي... دول أمي وأمك يا حلوة»..

ليلى: «إيه ده.. لأ طبعًا.. بلاش إحراج.. احجزي لمامتك زي ما إنت عاوزة، بس أنا لأ.. الحاجة قالت...».

قاطعتها رانيا، وهي بتضحك: «بس يا ليلى... الحاجة اللي قالت لي يا حبيبتي مش قلتلك إنك بقيتي ڤي آي بي!!!».

وصلت والدة ليلى ومعها والدة رانيا، اللي كانت قد استأذنتها أن يمر عليها السواق، وأن تحضر مع والدتها، وجلستا في الأماكن، التي حجزتها رانيا بموافقة الحاجة.

وفي ثوانٍ معدودة وصلت الحاجة ومعها الأستاذة فضيلة وأخذ الجميع أماكنهم المخصصة.. كان الزحام غير عادي في هذا اليوم، فكان هناك من تجلس على كرسي، وهناك من تجلس على الأرض، ومن تجلس على أيدي الكرسي.. بل وكان هناك الكثيرات منهن تقف!

وبدأت الحاجة بالصلاة والسلام على النبي، وطلبت من الجميع حسن الاستماع لدرس الأستاذة فضيلة، وقفل الموبايل تمامًا، ومنع التسجيل..

أخذت ليلى تليفونها واتصلت بسرعة بخالد، وقالت له إنها مضطرة إلى أن تغلق الموبايل؛ لأن الدرس سوف يبدأ.. واتصلت بالأولاد وبالبيت وأطمأنت على كل شيء، ووقفت مكانها تستمع إلى الدرس في صمت..

وبدأت الأستاذة فضيلة الدرس، وقالت إنها هتتكلم في موضوعين مهمين، سببا الفتنة وإثارة الجدال بين الناس في الآونة الأخيرة...

الموضوع الأول كان المال!!!

وقالت: «إن معظم الناس يسيئون فهم كلمة المال وأهميته؛ خصوصًا عند سماع الآية القرآنية ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ صدق الله العظيم!!! لأن المال المذكور في الآية هو المال الذي ينفق في سبيل رضى الله تبارك وتعالى فقط!».

وأضافت وسط دهشة ليلى وبعض الحاضرات: «إن مصادر الإنفاق لابد أن تكون موجهه لله تعالى، ومساعدة الإسلام على التقدم والرقي بما
لا يخالف شرع الله، وأن التعليم الذي يجب أن ننفق فيه الأموال على ابنائنا وبناتنا هو العلم الشرعي والعلوم الشرعية فقط؛ خصوصًا للبنات، وأن المال

نقمة على من يملكه، ولا ينفقه كله لوجه الله وليس نعمة، وأن الفقير أيا كان شكله وهيئته وتصرفه هو أحب وأقرب إلى الله تعالى من الغني صاحب الأموال، مهما بلغت درجة ورعه وإيمانه، وإذا كان ينفق ما عنده به على مظاهر وكماليات فهو في النار، لأن ماله لابد أن يكون مكرسًا لخدمة الفقير بشكل كامل حتى لا يبقى فقيرًا في مجتمعه!».

واختتمت كلامها قائلة: «هناك نوع من الإسراف يحرمه الإسلام، ويشتد في تحريمه ومقاومته، لما فيه من إفساد حياة الفرد وحياة الجماعة، وهو (الترف)؛ أي التوسع في ألوان التنعم وأسباب الرفاهية؛ لأنه أول المعوقات التي تحول بين الناس وبين اتباع الحق لأن الترف له لوازمه من اللهو والعبث والمجون، وله تأثيره في إشاعة الميوعة والطراوة في أبناء الأمة؛ مما يؤدي بعد حين إلى انحلال أخلاقها وتفسخ روابطها واتساع الهوة بين أبنائها؛ نتيجة لحرمان الأكثرية من الضروريات وتمتع الأقلية بها...

وأكملت قائلة: «المال يساهم في السعادة وليس كل السعادة؛ لأن السعادة الحقيقية هي حب وعبادة الله والعمل لليوم الآخر؛ أي إنه
لا فرق بين فقير وغني في السعادة الحقيقية بل قد يكون الغني بعيدًا عن هذه السعادة الحقيقية.. إن المال هو الوسيلة وليس الغاية... والغاية هي تطبيق المساواة بين الغني والفقير؛ إذ لا فرق بين غني وفقير إلا بالتقوى، والتقوى هي صرف كل ما يملك هذا الإنسان في سبيل الله ونصرة دينه!!!!!

كان الموضوع التاني «أموال البنوك الحرام»!، ومما قالت فيه: «أحب أن أقول وأؤكد أن الأموال في البنوك حرام والفائدة منها حرام معلومة أو مجهولة... ثابتة أو متغيرة... وأن تلك المقولات ما هي إلا كلمات متغيرة لإدخال الثقة في قلوب المسلمين ولكن المؤمن فقط هو من يأمن على أمواله من الربا حتى لا يتعرض إلى أن يخوض حربًا مع الله ورسوله والعياذ بالله».

ودعت الأستاذة فضيلة إلى أن نترك أموالنا في البنوك الإسلامية فقط.. وختمت بقائمة من المحرمات، وقالت: الفيزا كارت أيضًا حرام لأنها من بنوك كافرة والأموال فيها غير معلومة المصدر أو مضمونة... والبيع والشراء بالقسط، لو فيه فائدة حرام؛ لأن الفائدة محددة... التبذير على العزائم وشراء الحلي والشنط، وحتى شراء الملابس دون تغييرمواسم حرام... العربيات الفارهة التي لا أهمية لها حرام؛ لأن هناك فقراء أولى بهذا الصرف..

وأكملت وهي متأثرة: قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾، أتحب إحداكن أن تكون أختًا للشيطان؟؟؟

وفجأة أصبحت الآهات والشهقات والطقطقة «علامة كلمة لأ» الصوت السائد في المكان.

شعرت الحاجة هنا بأن هناك الكثير من الموجودات الجديدات ولم تكن تريد أن

تخسرهن أو تحرجهن، ففتحت باب الأسئلة.. وقالت بخفة دمها المعروفة: «بس مش عاوزين بقى أسئلة من إياها... يعني أعمل حواجبي
ولا لأ... أتوضى على الماسكارا والمانيكير ولا ما ينفعش».....

وطبعًا الكل ضحك وفكت توتر الجلسة في ثوانٍ، وشعر الكل بأنه مرحب به، وأنه في مكانه، وبدأت الأسئلة منظمة من كل واحدة ترفع يدها..

وكانت أول الأسئلة: «أعرف منين ربنا راضي عني ولّا غضبان عليّا؟».

وأجابت الأستاذة فضيلة: «بالعلم الشرعي.. إذا كنتي من طالبات العلم الشرعي العاملات به، فاعلمي حبيبتي أن الله اختصك بحبه... العلم الشرعي هو الطريق إلى الجنة... والمعصية هنا هي عدم دراسة العلم الشرعي»....

ثم أكملت قائلة: «وبالرزق، فكما أن التقوى مجلبة للرزق، فإن ترك التقوى مجلبة للفقر.... وأما ما تراه من واقع الكفار أو الفاسقين من سعة رزق، فإنما هي استدراج، فإن المقصود بالرزق ما أغنى وكفى، لا ما كثر وأشقى... وكذلك بتيسير الأمور أو تعسيرها؛ لأن الله تعالى ييسر أمور عباده الصالحين... كما أن الخوف والجزع أو الاطمئنان علامة من هذه العلامات؛ فإننا لا نرى صاحب المعصية إلا خائفًا مرعوبًا من اطِّلاع الناس عليها... وعلى عكس ذلك، تجد أصحاب الطاعة المصلين المؤمنين في سعادة واستقرار نفسي واطمئنان..

وسألت إحدى الموجودات السؤال الثاني، وقالت: «الموت... مش بفتكره خالص، ولو افتكرته مش بقلق منه ولا بخاف لو هموت، وقالولي إن ربنا مطمني»..

أجابت الحاجة سامية وهي بتضحك باستهزاء وقالت: «اطمني إن شاء لله.... لو نسيتيه هو هيفتكرك.... أصلك هتروحي منه فين»..

وضحكت الموجودات كلهن، وأكملت الحاجة سامية بمنتهى الجدية: «كلُّ نفس ذائقة الموت... ولا تأمني مكر الله أبدًا وتطمئني... كوني دائمًا قلقة... الموت حقيقة لازم كلنا نعلمها ونعمل لها... محدش منا ناجي من الموت... طال عمره أو قصر... صحيحًا كان أو مريضًا... غنيًّا كان أو فقيرًا... أينما كنتم يدرككم الموت، فكونوا في طاعة الله يا حبيباتي»..

أثنت الأستاذة فضيلة على الحاجة.. ولما رأت أن الأيادي مازالت ترفع والجميع يريد السؤال، قالت: «أشفق على أهل البيت من التطويل في الدرس»..

لمحت الحاجة إحدى المقربات رافعة يدها، فقالت: «خلاص آخر سؤال يالّلا يا فاطمة.. خيرًا إن شاء الله»..

فاطمة: «التعدد... تعدد الزوجات... ممكن أعرف عنه أكثر».

الأستاذة فضيلة: «التعدد يا حبيبتي هو الأصل في الإسلام... وهو كالتوصية من الله عز وجل لكل مؤمن بأن يتزوج بالثانية والثالثة والرابعة، وأن يعدل بينهن....».

فقاطعتها واحدة من الموجودات، وقالت: «إزاي هيعدل بينهن.. يعني هيقسم قلبه أربع أرباع؟!!!».

ردت الحاجة بثقة وتجاهل للمقاطعة: «العدل المطلوب من الرجل لإباحة التعدد له هو التسوية بين زوجاته في النفقة والكسوة والمبيت، ونحو ذلك من الأمور المادية؛ مما يكون في مقدوره واستطاعته... وأما العدل في المحبة، فهو غير مطالب بها؛ لأنه لا يستطيعها.. الحكمة من إباحة التعدد هي أنها سبب لتكثير الأمة وقوتها.. وطبعًا الكثرة
لا تحدث الا بالزواج..

وأكملت بمنتهى الإحباط والحزن: «لقد أوضحت الإحصائيات أن عدد النساء أكثر من الرجال؛ فلو أن كل رجل تزوج امرأه واحدة فهذا يعني أن من النساء من ستبقى بلا زوج... وقد يتسبب هذا في أنها ربما تنحرف عن الجادة وتسلك طرق الغواية والرذيلة فتقع في مستنقع الزنا والدعارة (نسأل الله السلامة)؛ مما يؤدي إلى انتشار الفاحشة فتظهر الأمراض الفتاكة والأمراض المستعصية التي لا يوجد لها علاج وتتفكك الأسر، ويتهدم المجتمع».

بهذا السؤال، أنهت الحاجة سامية الحديث سيل الأسئلة، وقالت: «نكتفي بقى بهذا القدر من الأسئلة والإجابات، لعلنا يا رب، نكون وفقنا لما فيه الخير لكن يا حبيباتي ولمصر الحبيبة والمغرب الشقيقة»..

وظل العديد من الموجودات وعلى رأسهن ليلى، لا يستطيعن فهم ما قالته الأستاذة الفاضلة.. بل وتخيلت ليلى نفسها، وخالد يخبرها بأنه تزوج عليها بحجة نصرة الدين!!! ونظرت حولها ووقعت عينها على أمها، وهي في حالة من الاستنكار التام لما تسمعه ويدور حولها.

وبدأت الأستاذة فضيلة في الدعاء.. – متوجهًا نحو القبلة – وكان الكل يؤمِّن على دعائها.. وقد بكت بعضهن، وكأنهن تذكرن شيئًا ندمن عليه.. بينما مازال بعضهن يفكر فيما قيل عن الزواج التاني وأهميته، بل وضرورته.

الفصل الرابع عشر

بِداية النِّهاية

انتهى الدرس، وقبل أن تبدأ الحفلة.. قامت والدة ليلى، وقالت لها إنها لن تنتظر منها إجابة: «أنا ماشية يا ليلى»..

وقبل أن تصل للباب، ذهبت إليها رانيا مهرولة، هي وأمنية صاحبة البيت... حتى الحاجة أيضًا ذهبت إليها، وقالت لها: «ما ينفعش حضرتك تمشي دلوقتي.. والله ده إنت منورانا.. ولازم تحضري البوفيه وتاكلي أي حاجه.. دي سنة عن النبي عليه الصلاة والسلام».

وردت والدة ليلى بمنتهى الاحترام والحسم: «معلش، أصلي بصراحة أتأخرت أوي، ولازم أمشي».

الحاجة: «خلاص يبقى حاجة سريعة، ومش هنعطل حضرتك.. اتفضلي».

وفعلًا بقيت والدة ليلى على مضض، لأنها استشعرت الحرج لليلى، وقالت لها، وكأنه شرط: «هقعد شوية يا ليلى، لو كنتي هتروحي معايا».

وردت ليلى على طول، وكأنها ما صدقت ما قالته والدتها: أوك طبعًا... هاروّح مع حضرتك.

قالت الأم هذا الشرط؛ لتتأكد أن ليلى لن تبقى أكثر من ذلك وتستمع إلى مثل هذا الكلام وبهذه الطريقة أكثر من ذلك.. وتذكرت كلام زوجها وتنبيهه لها بألا تعاتب ليلى، وألا تعلق على أي شيء تسمعه.. واعتقدت الأم أن ليلى لن توافق على أن تذهب معها، ولكنها فوجئت بالعكس تمامًا... وليلى نفسها حمدت ربنا بما قالته والدتها، واعتبرتها حجة لأن تذهب وألا تبقى.. وجاءت أمنية «صاحبة البيت» إلى والدة ليلى، التي كانت قد أخذتها الحاجة إلى الصالون، الذي تجلس فيه هي والأستاذة فضيلة وقليل من الموجودات المهمين للحاجة.. وكانت مع أمنية إحدى الجرسونات البنات تجر ترابيزة شاي ممتلئة بكل ما لذ وطاب.. واستفز المنظر أم ليلى، ولم تستطع تمالك لسانها وقالت لليلى: «والطبق ده بقى مش تبذير؟!!!».

ولم تعلق ليلى، ولكنها اكتفت بأن تنظر إلى أمها نظرة، ترجوها فيها أن تصمت حتى لا تتسبب لها في أي مشكلة..

وهنا اقتربت نيرمين الطالبة معهم في الجمعية، والتي اشتهرت في وسطهم بالبيع والشراء من ليلى.. فهي دائمًا تسافر وتأتي ببضاعة وتقوم بعمل ما يسمى بالبيت المفتوح، أو open day، وتعرض كل البضاعة الموجودة عندها، بل وعند غيرها وترتب ذلك مع البائعات كلهن وتأخذ نسبة من المبيعات؛ لأن البيع يتم في بيتها هي...

نيرمين: «لولا... عايزاكي في حاجة».

ليلى مبتسمة: «أؤمريني خير؟».

نيرمين: «أنا عاملة بعد بكره open day، وعايزة أقول للناس الموجودين دول كلهم.. أعمل إيه؟».

ليلى: «طبعًا يا حبيبتي.. بس أديكي سمعتي نظام البيع والشرا.. واللي اتقال مخصوص على البيع بالقسط وإنتِ بتقسطي... أحسن حاجة تقوليلى عايزاني أعمل إيه وأنا أعمله، لكن أفكر وارتب وأخطط لاااااا.... أنا مخي هيفرقع أصلًا»..

نيرمين: «طب إيه رأيك نسأل رانيا؟».

ليلى: «لاأأأ إحنا نسأل الحاجة ونخلص».

نيرمين مستفهمة بقلق: «طب ولو الحاجة زعقت؟».

ليلى وقد فاض بها: «هتزعق ليه.. ما هو بيع وشرا واستفادة للكل... استني هو الحاجات كلها للمحجبات صح؟».

نيرمين: «آه.. طبعًا»..

ليلى: «خلاص، تعالي معايا».

وذهبت ليلى إلى الحاجة ومالت عليها، وقالت لها الموضوع باختصار، ورحبت الحاجة ضاحكة وقالت موجهة حديثها لنيرمين: «بس إحنا بقى نيجي بكره لوحدنا، قبل كل الهيصة بتاعت بعد بكره... إنت عارفة أول ما هقول لكل الموجودين دول روحوا هيروحوا ويشتروا كمان»...

نيرمين مرتبكة: «طبعًا طبعًا يا حاجة، حضرتك تنوريني وتشرفينا».

الحاجة: «هاجي أنا وليلى والأستاذة فضيلة».

ليلى مقاطعة بأدب: «لأ يا حاجة، أنا بستأذن حضرتك.. مش هقدر آجي»...

وأكملت ليلى وكأنها تعلم أن الغرض من وجودها هو التوصيلة من بيت إلى بيت: «نيرمين إنت تقدري تفوتي على الحاجة والأستاذة فضيلة، وتاخديهم يتفرجوا، وياخدوا اللي هم عايزينه وترجعيهم تاني؟».

نيرمين دون تفكير: «طبعًا».

الحاجة مبتسمة: «خلاص.. يبقى هستناكي عند الجمعية بعد صلاة الظهر بنص ساعة، وهكون جاهزة إن شاء الله».

وتم الاتفاق وانتهى الحوار، وشكرت نيرمين ليلى، وسألتها إذا كانت تريد أن تحجز لها شيئًا مخصوصًا، ولكن ليلى اعتذرت بمنتهى اللطف، وقالت لها: «إذا قدرت آجي بعد بكره مع الناس هاجي إن شاء الله... هو أنا اول مرة أعرف حاجتكم؟... إنتوا بتجيبوا أشيك حاجة... ألف مبروك وبالتوفيق مقدمًا إن شاء الله».

و فعلًا انتهين سريعًا وتركزالجميع والكلام المتناثر من هنا ومن هناك والدرس

الخصوصي واللمة التي التفت حول الحاجة والأستاذة فضيلة، وكلهن من تلميذات الحاجة وصديقاتها المقربات.

قالت ليلى لرانيا: «أنا هسيبلك العربية بالسواق، علشان تروحي إنتِ ومامتك، وهمشي أنا مع مامي بعربيتي... ياللا باي»..

وتعمدت ماتديلهاش فرصة تتكلم أو تعارض أو تسأل، وذهبت سريعًا هي ووالدتها وظلتا صامتتين في السيارة إلى أن بدأت الأم بالكلام في منتصف الطريق: «بصي يا ليلى... إنتِ مش عيلة صغيرة ولا جاهلة ولا حتى واحدة متدلعة... إنتِ عاقلة ومثقفه ومسئولة وبيتهيألي نوعية الكلام اللي سمعناه النهارده وطريقته لا تناسب تعليمك ولا حياتك ولا إيه؟!!».

ليلى: «بصي يا مامي إحنا بنسمع كلام جديد علينا؛ علشان برضو إحنا ماكناش متدينين بالطريقه الصحيحة..».

قاطعتها الأم: «إيه؟ وإيه بقى الطريقة الصحيحة؟ ومين قال أصلًا إن هم اللي صح وإحنا اللي غلط؟».

ليلى: «أنا مش قصدي إن إحنا غلط وهم صح... أنا قصدي إن إحنا كنا واخدين الدين من بره، من غير ما نسأل ونتفحص ونعرف كل حاجة بتفاصيلها».

الأم بحدة: «لأ طبعًا، النبي ﷺ قال «**الحلال بيِّن والحرام بيِّن**»، دين إيه بقى اللي من بره ومن جوه؟؟؟».

ليلى: «يعني يا مامي كنتي تعرفي عن موضوع الربا والبنوك اللي اتقال النهارده... بذمتك ماتهزتيش لما سمعتي الكلام ده وعرفتي خطورته؟».

الأم: «لأ، طبعًا، ولا أنا مقتنعة إطلاقا بالكلام المتناقض اللي الست الشيوعية دي قالته... وأول ما أروح هحكي لأبوكي، وأقول له يكلم الشيخ أحمد، ويسأله... الراجل أزهري ومسلم معتدل وسطي، وإحنا ديننا هو دين الوسطية يا ليلى.. مش التشدد والعنف والترهيب اللي اتقال ده... وعلى فكرة... أنا رحمة بيكي مش هحكي لخالد حاجة على اللي اتقال النهارده، لحد ما أخلص استفسار من أبوكي والشيخ أحمد، مع إني عارفة النتيجه مقدمًا... أمّا إنتِ بقى لو استنيتي مع الناس دول، يبقى علينا العوض فيكي، وهيبقى لنا كلام تاني بقى معاكي»..

ليلى: «إيه يا مامي العنف ده؟؟؟ مين قال لك إني مقتنعة 100% يعني؟ أنا برضو هسمع من الشيخ أحمد، ونعقلها».

الأم: «ويا ترى كمان هتحكمي حكاية إن الزواج التاني هو الأصل؟ يعني هتقبلي تبرري إن خالد يتجوز؟ وهنبعد ليه؟ إحنا علشان نسهلها عليكي، ومايبقاش عندك ضرة ماتعرفيهاش، هنخليه يتجوز واحدة من صاحباتنا المطلقات ولا الأرامل؟ واهو يبقى زيتنا في دقيقنا!!».

ليلى: «إيه يا مامي اللي حضرتك بتقوليه ده؟ الكلام ما يتاخدش كله كده».

الأم: «دلوقتي، بقى الكلام ما يتاخدش كده صح؟ إنتوا شوية ناس أفاقة بتلعب على بعض»..

ليلى: «ليه بس كده.. مش حضرتك قلتي إنك هتسألي الشيخ أحمد؟».

الأم: «فيه حاجات أصلًا مش محتاجه شيخ أحمد وغيره.. كلام ودرس وبكبكة وعياط على التبذير وإخوان الشياطين والسفرة اللي كانت منصوبة دي مش تبذير يا ست ليلى؟ ده مش حرام اللي بيحصل ده!!».

ليلى: «ده كرم يا ماما، ونوع من أنواع إطعام الطعام؟».

الأم: «إطعام طعام إيه يا بنتي. إنتِ هبلة؟.. الإطعام يبقى للغلابة والمساكين والمحتاجين .. زي اللي بنقف نعمله في رمضان، واللي المفروض يبقى السنة كلها»..

ليلى: «خلاص بقى يا مامي»..

الأم بصت عليها بطرف عينها بحزن، وقالت لها: «خلاص يا ليلى، مش عاوزة أتكلم في الموضوع ده تاني... يا بختها حماتك إنها ماجاتش... والحمد لله إنها ماجاتش أصلًا، دي كانت انهارت»..

ليلى: «انهارت؟؟؟ من إيه بقى إن شاء الله؟؟؟ مش للدرجة دي يا مامي بقى»..

الأم: «لأ، للدرجه دي وأكتر كمان... وفعلًا مش عاوزة أتكلم في الموضوع ده».

ليلى: «ما هو حضرتك اللي فتحتيه تاني، يعني ماردش عليكي؟ وبعدين أفهم من كده إنك ندمانة إنك جيتي يعني؟!».

الأم: «بالعكس... أنا حاسّة إني جيت علشان ربنا عاوزني أشوف بنتي، بيحصل لها إيه وبتمر بإيه... عمومًا لينا كلام تاني مش وقته دلوقتي... الحمد لله ليك يارب الحمد لله»...

وصلت الأم إلى بيتها القريب من بيت ليلى، على بعد بيتين، وقالت لها بصيغة الأمر: «ماتتأخروش بعد بكرة يا ليلى إن شاء الله.. أنا اتفقت مع خالد كمان ومع مامته، وباباه مايتأخروش.. وإنتِ ولادك ييجوا من المدرسة يغيروا وييجوا لنا مشي على طول إن شاء الله»..

ليلى: «يا مامي لسه من هنا لبعد بكره كتير»..

الأم: «معلش بقى، أصلك زمان كنتي بترتبي لعيد ميلادي من قبلها بأسبوع».

انتهزتها ليلى فرصة تقول لها كل سنة وإنتِ طيبة في غير يوم الميلاد، فضحكت وقالت لها: «ربنا يبارك لنا فيكي وفي عمرك يا مامي».

ردت الأم مبتسمة: «إيه الصياغة الجديدة دي؟ حلوة والله دي بقى الفيرجن الجديدة بتاعت كل سنة وإنتِ طيبة؟».

ردت ليلى وهي عارفة ذكاء أمها: «ماشي يا مامي كل سنة وحضرتك طيبة».

نزلت ليلى من العربية وفتحت الباب لأمها اللي حضنتها، وقالت لها: «ربنا يحميكي وينور طريقك يا بنتي».

لفت ليلى ودخلت بيتها، وكانت عربية خالد في الجراج... أي إنه وصل قبلها ودخلت، ووجدت معه في حجرة المكتب عمرو، ابن عمها وصديقه المقرب، وشخصًا آخر لا تعرفه فدخلت إلى المنزل دون أن يلمحوها، وذهبت إلى الأولاد وتفقدتهم، ثم ذهبت إلى حجرتها وغيرت ملابسها من العباية السوداء إلى بنطلون جينز واسع وعليه قميص طويل أبيض فضفاض، وطرحة سينييه «كالعادة، التي لم تستطع التغلب عليها»!

وكانت المشكلة أنها "ودون أن يلحظ خالد" كانت قد قررت أن تتوقف عن التسليم على الرجال الأغراب، وأن تكتفي بالمحارم فقط بعد الدرس، الذي كانت قد حضرته، وأكد تحريم سلام الرجال والنساء على بعض!!!

نزلت ليلى المطبخ وعرفت من سوكيروا أنهم قد وصلوا قبلها بدقائق.. وأن «خالد» قد أخبرها بأنه لا يريد أي إزعاج، وأنه سوف يتعامل مع الثلاجة «الميني بار» الموجودة في غرفة المكتب.. ولكن ليلى انتهزتها فرصة لأن تفعل شيئًا مميزًا لخالد.. وبسرعه أعدت طبقًا من الجبنة المشكلة، وفي وسطها عنقود من العنب الأحمر، ورشت قليلًا من عين الجمل، وكذلك طبقًا آخر من سلطة السومون ڤيميه على فرشة من الخس.. وبعض الخضروات الفخمة الطازجة من الجزر والكرفس الأفرنجي والطماطم الصغيرة الحجم والخيار، ووضعت طبق الصوص الخاص في الوسط ولمحت توست طازجًا، فقامت بإعداد بعض السندويتشات البسيطة من التونة والجبنة..

وبالطبع لم تنس ليلى إعداد بعض القهوة العربي، التي يعشقها خالد بجميع مشتملاتها من التمر الرطب السكري واللوز المحمص..

وأخذت سوكيروا وإيمي معها، وكل منهن قد حملت صينية، وذهبن إلى غرفة المكتب الخاصة بخالد..

عندما رآها خالد انشرح وجهه، وابتسم لها ابتسامة جميلة، وحاول أن ياخد منها الصينية، ولكنها أشارت إليه بأن يأخد صينية إيمي حتى تظل هي حاملة للصينية ولا تضطر إلى السلام على أحد.. وقام عمرو ابن عمها بمحاولة أخذ الصينية منها ولكنها أشاحت بيده بعنف؛ لأن يده لمست يدها دون أن يقصد، ولكنها تداركت الموقف وقالت له: «لا لا لا.. أنا هحطها»...

حمدت ليلى ربنا إن الصينية ماكانش عليها عصائر أو مشروبات، وإلا كانوا طاروا في الهوا بما عليها! ووضعت الصينية، والتفتت، وهي تفرك يديها دون أن تشعر، وقالت: «السلام عليكم جميعًا»...

ونظرت حولها فوجدت محاولة غير مرتبة من خالد لإخراج بعض العصائر دون

أكواب ولا مناديل، فقالت لهم ضاحكة: «معلش بقى، خالد كان عايز يضايفكم بطريقته الخاصة»..

وانتبه خالد إلى أنه لم يقدمها إلى الشخص الجديد الموجود معهم في الغرفة.. فأشارإليه، وأخذها من يدها، وقال لها: «ماعرفتكيش يا ليلى... الدكتور علي السعيد، أستاذ الفقه المقارن والدراسات الإسلامية في نيويورك»..

ابتسمت ليلى، وفرحت بالتخصص، ومن غير ما تمد إيدها قالت: «أهلًا وسهلًا يافندم»..

رد الابتسامة، ودون أن يمد يده للسلام عليها: «أهلًا بيكي يا حاجة ليلى.. جزاكي الله كل الخير.. والله تعبتي نفسك..».

فرحت ليلى؛ لأنه لم يمد يده يسلم عليها، ولأنه قال لها «السلام عليكم» و«يا حاجة».. وكأنه صدّق على الكلام التي تتعلمه وتحاول تطبيقه...

اندهش خالد من انطلاق ليلى وابتسامتها، رغم أنها قادمة من درس، وهو في العادي المشوار، الذي تجئ منه مكدرة وناقمة على حياتها، وعندها شعور بالذنب على حياتها وما فيها من ذنوب!! ولكنه كان من الذكاء لأن يفهم أن هذه الابتسامة دي ما هي غير شيء من اتنين: يا سعادة، وهو أمر مستبعد إلى حد ما؛ لأنها يظهر عليها التوتر، والأمر الثاني أن تكون محاولة لإرضائه، وأن الابتسامة التي يراها ما هي غير ابتسامة صناعية.. وفضَّل أن يتوقف عن التفكير، وأن يكتفي باللحظة، وسوف يظهر الباقي في وقته...

سألها عمرو: «إيه يا ليلى ماعدناش بنشوفكم خالص ليه؟؟؟».

ليلى: «أبدًا يا عمرو.. بس كلنا مشغولين، ومكركبين في الفترة الأخيرة دي... أخبار دينا إيه، واحشاني والله»..

عمرو: «طيب ياللا... عيد ميلاد دينا يوم الأربع الجاي، وهنعمل لها حاجة يوم الجمعة... ولازم تكونوا موجودين... أنا قلت لخالد وقال لي أخلي دينا ترتب معاكي، وأديني بأكِّد عليكي أنا كمان أهو»..

كانت ليلى تشعر أنه بعد سلام هذا الدكتور على وطريقته الإسلاميه، فإن أي شيء ستقوله سوف يقبل من طرف خالد، فردت وهي تضحك وبداخلها رغبة لإرضاء خالد: «خلاص مادام خالد قال اوكي يبقى أوكي طبعًا... إحنا ماعندناش رجالة كلامهم يقع أبدًا... مع إن شغل أعياد الميلاد والكلام ده مالوش لازمة.. تضييع الوقت والجهد فيه.. بس ياللا مادام مش في نفس اليوم، هنعتبره يوم عادي، وهَنْعدي عليكم.. هتكونوا في البيت.. صح؟».

عمرو وهو مستغرب: «ماشي يا ستي.. بس إحنا مش هنكون في البيت... بصراحة زهقنا وعاوزين نخرج نغيّر بقي... هنحجز إنديجو كله؛ علشان نبقى على راحتنا».

ردت ليلى ودون أن تشعر قالت: «إنديجو؟؟؟ الحمد لله الذي عافانا... أنا ربنا

تاب عليَّا من دخول الأماكن دي أصلًا»...

عمرو باستهزاء: «ليه وماله إنديجو؟ ما هو طول عمره مكانك المفضل؟!».

ليلى: «ماله؟ خمارة يا عمرو وبعدين ما أنا قلتلك إن ربنا تاب عليَّا من دخول الأماكن دي»..

عمرو: «تاب عليكي إيه، هو إنتِ داخلة ترقصي؟ وإذا كان على الخمرة ما تشربيهاش وإحنا أصلًا كلنا مش بنشرب وإنتِ عارفة».

ليلى بمنتهى العصبية والهدوء معًا: «حتى ولو.. وبعدين إيه داخلة ترقصي دي؟ watch your words (خلي بالك من كلامك) يا ابن عمي، وبعدين المكان كله مليان خمرة يا عمرو... أشبه نفسي ليه واقعد في مكان كله شبهات، وسيدنا النبي قال «**اتقوا الشبهات**»..».

عمرو: «وإحنا مالنا يا ليلى؟ ويعدين ما إحنا طول عمرنا بنروح، ومالناش دعوه بحد.. وبعدين قلتلك إني واخد المكان كله يعني محدش حتى جنبنا هيبقي بيشرب».

ليلى باستنكار: «وهتشيل البار كمان ولا هتقفله؟ قلتلك خلاص، أنا ربنا تاب عليّا»..

عمرو: «تاب عليّا.. تاب عليّا... تاب عليكي من إيه؟ بعد الشر، هو إنتِ كنتي بتعملي إيه فيه بالظبط؟».

ليلى بحدة، وهي تتحرك للخروج من الغرفة: «قصدي ربنا عفا عني من الأماكن دي، ومن اللي بيروحوها كمان.. ومادام ندمت على فعل من الأفعال، يبقى الندم ده في حد ذاته يدخل في باب التوبة».

وقف خالد على باب الغرفة، وقال لها بلطف، وهو يشير لها بعينه على دكتور علي: «إيه يا لولي بس... هدي نفسك يا حبيبتي»..

عمرو، وهو يقف: «والنبي بقى يا عم ولا تهدي نفسها ولا حاجة... أنا ماشي»..

ليلى، وهي تحاول أن تهدئ نفسها، وتوجه الكلام لعمرو: «لا حول ولا قوة إلا بالله.... استغفر بس يا عمرو، وقول لا إله إلا الله»..

عمرو بدهشة: «لا إله إلا الله محمد رسول الله.. بس إيه المناسبة؟».

ليلى: «لأنه حراااااام تقول «والنبي» دي أصلًا ... ده حلف بغير الله».

رفع عمرو حواجبه، وقال: «أنا ماشي فعلًا... إنتِ حسستيني إني بقيت أبو لهب في الربع ساعة اللي دخلتي فيهم... ياللا باي».

ليلى بفخر: «ياعم بدل باي دي والتشبه بالكفرة، قول السلام عليكم حتى تاخد لك ثوابين.. تلاتة كده».

ولم يرد عليها، وسلم على خالد وعلى الدكتور علي، وتركها وخرج.

وكان كل هذا الحديث، والدكتور علي يتفرج، وهو يبتسم ابتسامة ها دئة جدًّا، دون أي تعبير على وجهه...

خالد: «مالك يا ليلى؟».

ليلى: «أنا آسفة والله بس أصله استفزني أوي... وأكيد حضرتك يا دكتور علي فاهم غيرتي على ديني... أنا بس يمكن أكون انفعلت زيادة، ولكن ده لقلة خبرة، ولأني ما قابلتش حد مش بيغير على دينه، ومش همه دينه ده خالص كده، من بعد ما التزمت والحمد لله»..

دكتور علي مبتسمًا ومبسطًا للأمور: «طالما وجهتي الحديث إليَّ اسمحيلي أرد وأقول لك أنه لا يجوز أن نتهم أي شخص بما لا نعلمه ونتأكد منه.. فبالتالي لا يجوز أن تتهمي الأستاذ عمرو بعدم الغيرة على دينه.. وبعدين أنا عاوز أفهم منك تخوفاتك دي كلها أصلها إيه؟ ديننا دين السماحة وأنا شايفك متعصبة شوية»..

ردت ليلى ببساطة: «علشان بقول له متقولش والنبي؟ حضرتك طبعًا عارف إنها حرام، وتعتبر شركًا أصلًا مش بس في الحلف وإنما في الدعاء»..

قال دكتور علي بسلاسة: «وليكن، مع إن عندي تحفظات؛ لأنه يجوز في الدعاء التوسل بأسماء الله الحسني بل وبأعمال الداعي نفسه... فعندما حدث القحط في زمن عمر بن الخطاب ذهب رجل إلى قبر الرسول ﷺ، وقال له: يا رسول الله استسق لأمتك وعندما علم عمر لم ينهره ولم ينهاه»..

هدأ المكان فجأة بعد كلام الدكتور علي، وهدوئه، وكانت عينا خالد متعلقتين بليلى، اللي كانت بتستمع إلى الدكتور علي باهتمام شديد...

وأكمل الدكتور علي: «حضرتك عارفة يا حاجة ليلى.. أنا الحمد لله مش بشرب الخمر ولا بحلله، ولكن عايز أقول لك بإجماع العلماء إن الخمر الحرام هو فقط المستخلص من عصير العنب؟!!! لأن فيها نصًّا قرآنيًّا واضحًا، وللأحوط تكون أيضًا المستخلصة من التمر لوجود الشكوك حولها، أما الخمر غير العنبية، مثل: الشعير والتفاح ففيها اختلافات فقهية كثيرة.. أما بخصوص المجالسه أو التواجد في المكان الموجود به الخمر، فقد جرت علينا العادة أن نتواجد أحيانًا ودون قصد في أماكن بها خمور كالفنادق والطائرات.. حتى بعض العزائم و...».

قاطعته ليلى قائلة: «العزايم اللي ممكن يتواجد فيها خمر ما تلزمناش نتواجد فيها، وإذا كان على الفنادق فهي كمان حرام بسبب المناظر اللي بنشوفها فيها، والاختلاط اللي بيتواجد فيها.. لكن لو على الطيارات، فهي موضوع تاني، مع أن المفروض أن يكون ركوبها للضرورة فقط!».

قاطعها خالد بحب: «وهو في إيه من غير اختلاط في حياتنا يا ليلى؟ المهم إيه نوع الاختلاط والنية، والغرض منه يا حبيبتي، مش بالتعميم!!».

دكتورعلي بهدوء وسماحة: «لأ يا خالد مش ده القصد... لما رسول الله ﷺ

قال: «**يأتي زمانٌ على أمتى القابض على دينه كالقابض على جمرة من النار**» كان ﷺ يعلم بالتقدم الذي سيحدث والمتغيرات التي سيواجهها المسلم الحق؛ فديننا سمح ويسير»..

ووجه كلامه لليلى وحدها، وقال لها: «أنا كمان أخدت بالي، وإنت داخلة إنك مش بتسلمي بايدك ولا ده تخيل مني؟».

ليلى بفخر وفرحة: «أيوه... أنا بفضل الله بطلت أسلم على أي حد غير محارمي... وأنا أخدت بالي إن حضرتك كمان مش بتسلم»..

دكتور علي ضاحكًا: «لأ... أنا بسلم يا حاجة ليلى... لكني لا أبدأ بالسلام لعدم إحراج اللي قدامي لربما تكون مش بتسلم.. والحاجة التانية لثقتي في الحديث المدعم لأصول الدين، وهي الإخلاص في العمل والنية.. عارفة الحديث ده؟».

ليلى: «إنما الأعمال بالنيات؟!!!».

دكتور علي: «أيوه... ومالك مستغربة كده؟ صح... الحديث ده بيؤكد صدق النية وصدق العمل وضرورة الإخلاص في النية؛ لضمان الإخلاص في العمل ولا إنتم رأيكم إيه؟ خالد، رأيك إيه؟».

خالد مستغرب: «أنا معنديش مشكلة طبعًا، إذا حبت ليلى تسلم أو لأ.. أنا بس ما أخدتش بالي»..

ليلى، وهي تبتسم: «يمكن مش مركز معايا، الحمد لله»..

خالد: «أو يمكن علشان بقينا نادرًا ما بنخرج مع أي حد، أو نشوف حد».

ليلى: «يعني إنت تتضايق لما مراتك تبقى متصانة ومحمية من الأغراب؟».

الدكتور على ببساطة وضحك: «لا لا لا لا لا ... استنوا بقى المشاكل العائلية دي حلوها في بيتكم هههههه..... وهي اللي تسلم على رجاله ما تبقاش متصانة ومحمية؟ زي ماقلت لك يا ليلى ما ينفعش التعميم في كل شيء... إنتِ لو استشعرتي شيء مش مريّحك في السلام على فرد معين، ممكن تبطلي تسلمي عليه لكن التعميم غلط، في إن اللي مش بتسلم تبقى متصانة وجوزها كمان مبسوط!!».

وأكمل الدكتور علي بمنتهى الجدية: «.. وإنما يجب تحريم المصافحة للمرأة إذا اقترنت بها الشهوة والتلذذ الجنسي من أحد الطرفين الرجل أو المرأة أو خيفت فتنة من وراء ذلك»..

الثاني-ة: «.. بينما يجوز في مصافح-ة المرأة العجوز التي لا تش-تهى، ومثلها البنت الصغيرة التي لا تشتهي ؛ للأمن من أس-باب الفتنة، أو إذا ك-ان المصاف-ح ش-يخًا كبيرًا لا يشتَهي».

ليلى: «وأنا هضمن بقى نوايا الناس؟ أنا آخد بالأحوط وخلاص»..

دكتور علي: «طبعًا.... عندك حق.. لكن لازم تبقي عارفة كل الآراء علشان

تختاري منها ما يناسبك، واختلاف الأئمة رحمة»..

فقالت ليلى معارضة: «لأ، طبعًا... اختلاف الأئمة نقمة»..

دكتور علي بهدوء وثقة: «مين اللي قال كده؟!!! ده معظم العلماء قالوا: رحمة الأمة في الاختلاف بين الأئمة، فهناك قاعدة إلهية خلق الله الناس عليها، في قوله تعالى في سورة هود ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ صدق الله العظيم».

انتبه خالد إلى نظرات ليلى المشدوهة، ولكلام د. على الواثق والمدعم بالقرآن والسنة.

وأكمل الدكتور علي بثقة: «لا يمكن أن يتفق الأئمة في شيء لأنهم يختلفون في الفهم والعلم والإيمان، وكل هذه الأمور لابد وأن تختلف الأقوال من أجلها".. وقد قال الإمام ابن قدامة رحمه الله في ذلك "اتفاقهم حجة قاطعة، واختلافهم رحمة واسعة»..

نظر الدكتور علي في الساعة، وقال لخالد: «أنا اتأخرت أوي.... أستأذنكم بقى»..

قاطعته ليلى: «بس على وعد بلقاء تاني يا دكتور علي».

دكتور علي: «إن شاء الله»...

ليلى بإلحاح: «إمتى؟»...

دكتور علي: «الله المستعان قبل سفري، ضروري أشوفكم أو إنتم بقى تيجوا نيويورك»..

خالد: «إحنا هنروح أمريكا قريب إن شاء الله... وليلى بتحب نيويورك جدًّا أصلًا.. لكن ماتاخدناش في دوكة كده، ورتب معانا هنشوفك تاني إمتى؟».

دكتور علي: «نتكلم بكره إن شاء الله بعد الظهر.. ماعنديش محاضرات ولا لقاءات... يناسبكم على الساعة كام؟».

ليلى بلهفة: «خلاص مادام حضرتك معندكش حاجة ضرورية.. إحنا بعد بكره إن شاء الله عندنا اجتماع عائلي كده لطيف عند بابايا في البيت... يبقى حضرتك تشرفنا وأهو يبقى درس، وحضرتك تاخد الثواب، والواحد يستفيد بدل ما القعدة هتبقى لغو على الفاضي، ونقعد ناخد في أوزار!!.

دكتور علي مبتسمًا: «ليه بس الكلام الكبير ده؟؟؟...لغو في لقاء عائلي؟!!! أي لقاء عائلي له ثواب كبير عند الله سبحانه وتعالى... بر وصلة رحم وحب في الله يعني لا يقال عليه لغو أبدًا... ده طاعة من أهم الطاعات، وبعدين أنتم هنا في القاهرة اتعودتم كلمة «درس» وهي خطأ تمامًا... لست بعالم وأعلم جهلاء أمامي، وإنما هو مجلس لذكر الله سبحانه وتعالى... بس زي ما قلتوا اجتماع عائلي... خليني أنا ليوم تاني إن شاء الله»..

خالد: «بالعكس دي فكرة حلوة أوي فعلًا... ده عيد ميلاد والدة ليلى، وكلنا

متجمعين عندهم في البيت، زي عادتنا كل سنة»..

طبعًا نظرت ليلى إلى خالد شزرا، متخوفة من رد فعل الدكتور علي على كلمة عيد ميلاد، وفوجئت بطريقته ورده..

دكتور علي مستبشرًا: «ربنا يبارك في عمرها... كل سنة وأنتم دايمًا طيبين ومتجمعين بالحب إن شاء الله... لأ.. كده بقى يبقي هاجي بإذن الله».

ليلى: «هو اجتماع عائلي.. مش عاوزين ناخد وزر أعياد الميلاد والحاجات دي»..

د. علي: «عايز أسأل حضرتك سؤال.. هو إنتِ هتعتبري يوم ميلاد والدتك ده عيد رسمي مثلًا؟ يعني هتلزمي حد بالاحتفال بيه؟ ولا هتاخديه أجازة من شغلك؟».

ليلى: «لأ طبعًا..».

د. علي: «حتى الأجانب مش بيقولوا عليه عيد هو Birthday (يوم الميلاد) مش Birthfeast (عيد الميلاد) صح؟».

ليلى: «صح..».

د. علي: «يبقى إحنا اللي عملنا المشكلة بالتسمية.. أعيادنا هي الفطر والأضحي.. أما الباقي من مناسبات، فهي أشياء صورية الغرض منها إدخال السرور والسعادة، ولا ضرر منها طالما الإنسان عارف تمام المعرفة هيئتها ومعناها.. وكل سنة وماما طيبة، ومتهنية بيكم كلكم يارب»..

رفعت ليلى حواجبها وكانت مش مصدقة المباركة على عيد الميلاد اللي سمعتها... ومشي الدكتور علي، واتفق مع خالد وهو بيوصّله للعربية على الميعاد بكره.

بدأت الأمور كلها تتصارع في دماغ ليلى.. كلام ونقيضه.. شيوخ ودعاة.. حلال وحرام.. تعسير للأمور وتسهيلها.. كل هذا، وهي تحاول أن تلغي أي فكرة للشك في الحاجة والجمعية وحياتها الجديده التي فرضتها على نفسها، وعاشت فيها وأبعدتها عن كل أهلها وحبايبها.

وفي الوقت نفسه، كانت ليلى تحاول أن تهدئ الأمور مع خالد؛ خوفًا من أي مشاكل؛ خصوصًا وأن الدرس الكبير الذي سيخصص ريعه لصالح فقراء المغرب سيكون يوم السبت في الجمعية، ودورة تحفيظ القرآن ستكون يوم الأحد!!!!!!

وكان خالد طبعًا يعلم الحيرة اللي تمربها ليلى، ولكنه كان مقدرًا لها، ولم يضغط عليها بأي كلمة أو تصرف.

بعد انصراف عمرو ومن بعده د. علي، دخلت ليلى وألقت نظرة على أولادها، ووجدت عمر مازال مستيقظًا ينهي مشروعًا مطلوبًا منه في المدرسة، ووجدت هانيا هي أيضًا مازالت مستيقظة، تنهي الـ Novel أو الرواية التي كانت تقرأ

فيها.. ولم تستطع أن تمنعها وذهبت إليها، وأخذتها في حضنها، وقبلتها، وفعلت المثل مع عمر... وظلت تتحرك في البيت إلى أن اطمأنت إلى أنهم على وشك النوم... ودخل خالد كعادته قبل النوم على الليفنج، يقلب في قنوات التليفزيون... وهي، تفاديا من الجلوس ومشاهدة التليفزيون معه، أخذت التليفون لتتصل بحماتها، وتؤكد عليها ميعاد العشاء عند والدتها... ثم اتصلت بوالدتها وسألتها إن كانت تريد منها شيئًا تقوم به، ولكن والدتها شكرتها، وأكدت عليها أن الشيء الوحيد الذي تستطيع فعله، هو الحضور مبكرًا.

وقبل أن تنهي مكالمتها، وجدت عمر وهانيا حولها، وكلما جدهما وجدتهما لليلى وكذلك أبو خالد وأمه وسلما عليهما.. ودخلا حجرة المعيشة، فوجدوا خالد قد تحرك لغرفة المعيشة الأخرى بداخل حجرة نومة، هو وليلى، وقبلاه وقليلا من الدردشة ثم ذهب كل منهما إلى غرفته لينام...

كانت حجرة ليلى وخالد كبيرة وعلى شكل بيضاوي، ولم يكن فيها غير السرير وبجوار كل منهم كومودينو وأمامهما التليفزيون معلق على الحائط بمنتهى الأناقة.. وكانت الغرفة مفتوحة على حجرة معيشة صغيرة فيها اثنان، مما يُطلق عليها مقعد الحب أو love seat.. وترابيزة في النصف، وتليفزيون آخر، ومفتوحة من الناحية الأخرى على غرفة ملابس واسعة، بها كل مستلزمات الملابس الخاصة بهما... بالإضافة إلى مكان مخصص للمرآة، وأحدث أدوات التجميل الخاصة بليلى، والتي نادرًا ما كانت تستعملها إلا في المناسبات، وكانت قد هجرتها تمامًا بعد التحاقها بالجمعية...

وكان الحمام بجوارغرفة الملابس .. وكانت ليلى خارجة منه، بعد أن أخذت دُشًّا بعد اليوم الطويل، وقد ارادت أن «تدلع» خالد الذي نسى أنه متزوج، وظلت في سرها تهمهم بأنها طاعة لله وليس لها أي رغبة والعياذ بالله فيها.. وارتدت قميص نوم لطيفًا، وعليه الروب الخفيف الخاص به، وتعمدت عدم النظر إلى المرآة، وتذكرت درس النهي عن النظر في المرآة، وقالت: إن بعض المسحورين والممسوسين والمعيونين يكون عن طريق الجن أنفسهم.. يعني أن يعجب رجل بواحدة فينظر إليها بعجب وشوق إلى درجة أن يعطيها «عين» بسبب إعجابه الشديد بشيء ملفت لها.. الشيء نفسه أحيانًا يحدث للرجل، فمثلا يكون بالغرفة ويتعرى، فتعجب به الجنية، وتصيبه بعين وتدخل فيه، وتتحول إلى مس عاشقة بالنسبة للرجل، ومس عاشق للأنثى.. والسبب أنه لما يخلع الإنسان هدومه ويتعرى، فإنه يغفل عن قول «باسم الله الذي لا إله إلا هو«ليكون محجوبًا عن أعين الجن.. لهذا السبب منع الدين وحذر من الإطالة بالوقوف أمام المرآة إلا في حالة واحدة، وهي أن يكون مُحصنًا بالرقية الشرعية وأن يقول دعاء اللبس، وهو: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ..

تذكرت ليلى كل هذا، ثم عادت سريعًا أمام المرآة تسرح شعرها وأمسكت زجاجة من العطر المفضل إلى خالد، ولم تضعه مباشرة على جسدها، وإنما

ظلت تنثره في الهواء حتى لا تلتصق بها الرائحة!!! وفجأة تذكرت الملائكة التي تشاهدها وتنظر إلى مفاتنها، وهي بهذا القميص والروب الشفاف، فاقشعر جسدها من الرهبة، فخلعته وبدأت تبحث عن روب آخر ثقيل حتى تستطيع أن تخرج به!! وصلت الرائحة إلى خالد فاستغرب، وقام من مكانه يتفقدها ووجدها داخل أحد الدواليب وهي تبحث عن الروب، ولما شعرت به اتفزعت وغطت جسدها بأول شيء قابلها، وكأنها كانت عريانة، وكأنه غريب عنها!!!

خالد وهو بيقرب لها ويضحك: «إيه مالك اتخضيتي كده؟».

ليلى: «خلاص، حاضر.. حاضر بس استني لما استر نفسي بس بأي حاجة».

خالد مندهش: «خلاص إيه وحاضر إيه يا ليلى... وتستري نفسك؟ من مين؟ مني أنا؟ محدش في الأوضه غيرنا!!».

ليلى: «ياسلاااااااااااام... وبالنسبه للملايكة بقى اللي أكيد خرجوا من الأوضة بعد ماشافوا منظري ده»..

خالد وهو حاضنها ومبتسم: «منظرك ده؟ دول قاعدين يكتبوا في الحسنات، اللي إنتِ بتاخديها دلوقتي بسبب منظرك ده أصلًا».

ليلى: «بس يا خالد حرام كده.. بلاش تريقه... الحاجات دي ماينفعش فيها الهزار حرام أصلًا»..

خالد بحب وهدوء: «شششششششششششششششششش بس بقى»...

جريت ليلى من بين يديه وذهبت تطفئ نور الغرفة، وطلعت على السرير، ونامت في حضن خالد بعد غيبة طويلة... وفجأة اتنفضت من بين يديه، وقالت بفزع: «الدعا... نسيت أقول الدعاء».

خالد: «اهدي يا ليلى اهدي... اقريه ياللّا»... وأخذها في حضنه، وبقدر ما كان مشتاقًا إليها، كان يشفق عليها مما هي فيه، وتعمد أن يأخذها في حضنه دون أن يفعل أي شيء آخر.. فكثيرًا ما كانت تطلب منه أن تكون في حضنه، وكان دائمًا يرد عليها ضاحكًا، ويقول لها: «الحضن الحاف ده في الأفلام بس!!!».

وراحت ليلى في النوم، ولم تنتبه إلى أنها نامت، إلا لما وجدت عمر يوقظها من نومها ويخبرها بأنه ذاهب إلى المدرسة.. ففزعت وقامت، ووجدت نفسها مازالت في حضن خالد من الأمس.. فقام خالد مفزوعًا منها، ووجدها تجري إلى الحمام، فاستوقفها كلامه، وقال لها: «مالك
يا ليلى في إيه؟!!!».

ليلى: «في إيه؟ في إني راحت عليّا صلاة الفجر بسببك.. في إني نمت من غير ما استحمي.. في إن الولاد قاموا وفطروا ولبسوا ورايحين المدرسة، وأنا في خم النوم، وكان ربنا غضبان عليا من غفلتي».

تمالك خالد أعصابه، وتركها تدخل الحمام، وتسلم على الأولاد، وعندما دخلت الغرفة وجدها قد ارتدت كل ملابسها ما عدا الطرحة...

قال لها: «على فكرة يا ليلى، إحنا ماعملناش حاجة إمبارح».

ليلى: «وكنت عايزنا نعمل إيه أكتر من كده؟».

خالد: «كده إيه؟؟؟ إحنا ماعملناش حاجة خالص.. أنا ماقربتلكيش»..

ليلى: «إيه التخاريف دي؟ أنا صحيت رقبتي ملووحة ولقيتني لسه في حضنك أصلًا»..

خالد: «وهو حضني يخليكي تستحمي؟».

ليلى باندهاش واستعجال: «طبعًا.. هي هي... ولا نايمة على شقي الأيمن، ولا صحيت للفجر، ولا نايمة على وضوء؛ لأني افتكرت إني هقوم استحمي وأتوضى وأصلي.. لكن راحت عليّا نومة ولا...».

خالد وهو يدخل الحمام، ويغلق الباب بعنف: «كفاية لولوة يا ليلى.. وعلى فكرة.. مافيش جمعية النهارده!!».

وقبل أن يخرج من الحجرة، ردت ليلى بمنتهى التلقائية: «أنا رايحة المدرسة عند الولاد علشان أقدم لولاد داليا بنت عمتك».

خرج خالد من الحجرة، ولم تصدق ليلى نفسها بأنها ردت بكل هذه التلقائية.. فعلًا كانت على موعد في المدرسة للتقديم لأولاد داليا «بنت عم خالد»، والتي تعيش خارج مصر، ولكنها سوف تذهب إلى الجمعية في النهاية.. وانتابتها حالة من تأنيب الضمير لأنها لم تذكر الجمعية.. حتى خالد لم يعترض، أو حتى يُعلق لثقته العمياء فيها..

ذهبت ليلى إلى المدرسة وأنهت المهمّة، ثم ذهبت فورًا إلى الجمعية وهي مستاءة من تصرفها، ومتأخرة وقد فاتها أحد الدروس للحاجة سامية، ووجدت حوارات هناك، والجميع في هرج ومرج.

وسألت: «في إيه؟».

ردت سميرة بخبث: «أصل في حوار مع الحاجة سامية.. ياسمين قريبتك ولّا صاحبتك اللي دخلتيها الجمعية بتتناقش مع الحاجة على شغل المرأة وجوازه وحرمانيته.. والحاجة متضايقة أوي بصراحة»..

ذهبت ليلى لتسمع بنفسها، ووجدت ياسمين تقول للحاجة: «أنا أمي كانت بتشتغل وخالاتي كلهم، وهم ملتزمات جدًّا»..

الحاجة: «مش علشان هم كانوا على معصية، تبقى إنتِ كمان على معصية»..

ياسمين بأدب، ولكن بتحدٍّ: «طب ما حضرتك بتشتغلي».

الحاجة بمنتهى القوة والهدوء: «اشتغلي زيي وهو ده الشغل الحلال

والواجب... عمل بلا اختلاط.. عمل فيه منافع لمن حولك ولك.. لنصرة دينك، وليس لزهو شخصي.. ممكن أطلع لك الآيات القرآنية والأحاديث، التي تنهي عن عمل المرأه، طالما مش مقتنعة بكلامي أنا»..

ياسمين: «الآيات القرآنية عندنا كلها وتفاسيرها كمان».

الحاجة: «المهم تكوني بتقري التفسير المظبوط، مش اللي يساير هواكي»..

ياسمين: «الحمد لله... أنا بقرأ تفاسير الشيخ الشعراوي.. هو شيخ أبويا وأعمامي وأهلي و..».

الحاجة وهي تقف ناهية للحوار: «الشيخ الشعراوي شيخ كبير وجليل، ولكننا لا نأخذ منه فتوى!!!».

وهنا ذهلت ياسمين، وكل من حولها، بما فيهم ليلى نفسها..

فقامت ياسمين هي الأخرى، وخرجت من الجمعية دون أن تنطق، واكتفت بنظرة ندم لكل من حولها، وأولهم ليلى سبب دخولها الجمعية.

ونادت الحاجة على ليلى لتلحق بها إلى غرفتها، وذهبت ليلى وهي مفزوعة مما سوف تفعله بها الحاجة.. فياسمين ابنة خالة خالد زوجها، وهي من أتت بها إلى الجمعية وأقنعت الحاجة بقبولها.. ولكن الحاجة كانت من القوة بألا تذكر ياسمين إطلاقًا.. فقد أوصلت لها ولكل الموجودات المعلومة التي أرادت توصيلها..

الحاجة مبتسمة: «إيه يا ليلى اللي أخرك النهارده.. قلقتيني عليكي»..

ليلى: «أبدًا ولا حاجة.. أنا حتى راحت عليّا نومة».

وظلت الحاجة تنظر إلى ليلى منتظراها أن تكمل حديثها، وليلى عندها إحساس بأن الحاجة تعلم كل ما حدث بالأمس، حتى وتعلم بأنها قد فاتتها صلاة الفجر!!

أكملت ليلى: «نمت متأخر.. كان عند خالد ضيوف، وصحيت متأخر حتى على ميعاد المدرسة بتاع الولاد.. حتى فاتتني صلاة الفجر»..

الحاجة بابتسامة هادئة تخفي الكثير: «هو إنتِ مش بتخلي حد من زميلاتك يصحيكي على الفجر زي ما بيعملوا؟».

ليلى: «بصراحة لأ.. أصلي بخاف خالد يصحى و..».

الحاجة مقاطعة بالهدوء نفسه: «وهو خالد كمان مش بيصلي الفجر؟!!!».

ليلى: «أحيانا لما بيبقى صاحي.. لكن إحنا مش متعودين على التليفونات الفجر، وكده».

الحاجة: «معلش.. ربنا يسامحك مادام فاتك الفجر إنتِ، وخالد يبقى أكيد كان فيه حاجة مهمة هي السبب بقى.. ويبقى سماح المرة دي»..

ليلى باستنكار: «أبدًا والله.. ده أنا حتى قلت بقالنا كتير يعني بس.. نمنا من غير أي حاجة.. بس قمت بسرعة، وأخدت دش برضو وعلشان كده كنت عايزة أسأل حضرتك، إذا كان الدش كان واجب ولازم ولا لأ؟».

الحاجة: «إزاي يعني.. مش فاهمة قصدك»..

ليلى: «أصلي كنت تعبانة أوي من اليوم، ونمت بصراحة في حضن خالد، بس ما عملناش أي حاجة»..

الحاجة: «يعني نمتي في حضنه من غير ما يعمل حاجة خالص؟ وماله يا ليلى.. ما هو يعني مش كل يوم»..

ليلى بمنتهى الخجل: «لأ والله.. إحنا بقالنا حوالي 4 شهور ماقربناش من بعض إلا يمكن مرة ولا حاجة كده»..

الحاجة: «لأ يبقى ليكي حق طبعًا تقلقي.. مفيش راجل مراته تبقى غايبة عنه المدة دي كلها، ولما تيجي مستعدة وتنام في حضنه ما يعملش معاها حاجة، إلا لو كان مستكفي أو مستغني»..

لم تكن ليلى قلقة، ولم يراودها هذا الشعور من قبل، ولكنها شعرت بالدم المغلي يجري في عروقها.. وبالطبع شعرت الحاجة بما شعرت به ليلى، ورأت احمرار وجهها، فأرادت أن تلطف من الموقف.. فقالت وهي مبتسمة بوقار: «إحنا لسه فيها يا ليلى مادام زعلانة ومخضوضة أوي كده..النهارده جربي وشوفي هتناموا في حضن بعض ولا حاجة تانية؟... خللي بالك من جوزك يا حبيبتي، وماتنسيش الكلام اللي قالته الدكتورة فضيلة؟!!».

تسرب القلق إلى قلب ليلى مرة أخرى، ولكنها تمالكت نفسها، وقالت للحاجة: «خالد مش بتاع كده»..

الحاجة بقوة وواقعية: «كده إيه؟ ده حقه.. وشكله كده ناوي.. وممكن يبقى فيه واحدة هي اللي حطّة عينها عليه... وإنتِ لو زعلانة أوي كده، خلاص ماجاتش من مرة كل شهر ولا شهرين يعني»...

ودخلت بعض المعلمات عليهما، فانقطع الحديث، ولم تعرف ليلى.. أتحمد ربنا على انقطاع الحديث أم لا؟.. ولكنها قررت أن تتصرف بطبيعتها، ودون أن تسأل الحاجة على رأيها أو كيف تتصرف..

وفعلًا خرجت ليلى من الجمعية دون أن تكمل اليوم، ودون أن تخبر أحدًا، وذهبت إلى بيت والدتها، وبقيت معها قليلًا، ثم ذهبت إلى بيتها، وقضت بعض الوقت في الإشراف على أحوال البيت، ثم اتصلت بحماتها، وظلتا تتحدثان فترة، ثم اتصلت بخالد وسألت عليه، وطلبت منه ألا يتأخر..

كانت ليلى في هذه المراحل قد بدأت تفكر في كم المتناقضات، التي تحيطها من كل ناحية.. وقررت فعلًا إرضاء خالد في هذه النقطة، طالما أن لرضائه في هذه النقطه ثوابًا عظيمًا..

ووصل خالد إلى البيت ومعه نهى، التي قابلها أمام المنزل، وصمم أنها تدخل معه.. وقابلتها ليلى بمنتهى الحب والترحاب كعادتها دائمًا.. وبادلتها نهى السلام بالطريقة نفسها وكأنهما نسيتا أن آخر لقائين لهما كانا كلهما مشاكل واختلافات في وجهات النظر، إلا أن كلًّا منهم تعرف مدى إعزازها في قلب الأخرى.. أختان لم تنجبهما البطن نفسها.. وإن كانت نهى دائمًا تحكم على الأمور بعقلها، وكانت لها نظرة شاملة لما يحدث حولها، بعكس ليلى العاطفية التي كان يؤثر فيها أي شيء وبمنتهى السرعة، وربما كان هذا هو السبب وراء اندماجهما ليس فقط أن كلًا منهما كانت تكمل الأخرى، بل لأن كلًا منهما كانت تمثل نقيض الأخرى.

وبالفعل قضوا السهره معًا وتناولوا العشاء دون تكليف، ودخلت نهى مع ليلى المطبخ، كما دخلت على هانيا غرفتها، واستدعوا «عمر» من غرفته، وظلت تتحدث وتضحك معهم في شتى الأمور، حتى أنها سألت عمر: «إيه ياواد يا قمر انت... أخبار الـgirl-friends إيه؟؟؟».

فردت هانيا ضاحكة: «girl-friendssss بالـ s يا تانت نهى؟؟؟».

وهنا دخلت ليلى، وقالت بحسم: «عمر عارف إن أي حاجة هيعملها مع أي بنت حتى البصة هتترد له في أخته وهيتبص عليها و...».

وقاطعتها نهى، وهي تأخذها لتخرجا من الحجرة: «بس بس.. إيه اللي بتقوليه ده؟؟؟».

ليلى: «ما هو بصراحة عمري ما كنت أفتكر انك ممكن تلفتي نظرهم لحاجة زي كده!!!».

نهى: «نظر مين اللي ألفته يا ليلي؟؟ إنتِ هتعملي زي الناس الجهلة؟».

ليلى نظرت إلى نهى لتمنعها من الاسترسال في الكلام؛ لأنها رأت خالد يقف خلفها، ولكنه كان قد استمع لبعض كلمات من الحوار..

خالد: «في إيه يا ليلى؟».

ليلى، وهي تخرج من حجرة عمر، وتتجه إلى داخل البيت:
«ولا حاجة.. مفيش حاجة»..

وعقبت نهى ضاحكة لتغطي على الموقف: «بطل يا خالد ترمي ودنك تشوفنا بنقول ايه»...

ولم يصر خالد على معرفة أي شيء، فهو قد سمع بالفعل ما تم بينهما، ولكنه لم يرد التدخل؛ حتى لا تعتقد ليلى أن نهى سبب في مشكلة جديدة بينها وبينه..

جاء عمر مستأذنًا أمه في أن يذهب مع هانيا لقضاء الليل في بيت جده وجدته (والدا ليلى)، كما وعدتهم ووافقت ليلى على مضض؛ ولأنها لم تكن تريد أي

مشاكل إضافية..

وقضت نهى معهم بعض الوقت، ولحق بها زوجها وجلسوا جميعًا في حوارات بسيطة وعادية أمام التليفزيون، الذي كانت ليلى تتحاشى النظر إليه تمامًا، بل وتحاول تغيير المحطة لبرامج كلامية تفاديًا لأي فيلم أو لقطة
لا تريد مشاهدتها.. وبالطبع، كان الجميع منتبهًا لما يحدث، ولكنهم جميعًا لم يريدوا أن يتسببوا في أي حوار أو جدال؛ خصوصًا وأنها كانت قد بدأت تظهر عليها علامات التوتر والضيق من الحياة التي تحياها..

قامت نهى، وقالت ضاحكة: «ياللا بقى إنتِ وهو اقعدوا ارغوا مع بعض شوية... شاكلكم واحشين بعض.. فرصة والولاد متسربين».

وضحكت لها ليلى بخجل، ووقفت مع خالد يودعونهما على باب البيت، ولف خالد يديه حول خصر ليلى التي تهربت منه، وقالت له: «حاضر يا خالد.. بس استني أصلي العشاء»..

خالد: «حاضر إيه يا ليلى، هو أمر؟».

ليلى: «مش قصدي والله... بس عايزة أصلي العشا؟».

خالد: «وهي إيدي لما تتلف حوالين وسطك مالها ومال صلاة العشا؟».

ليلى ببساطه: «هتنقضلي وضوئي»..

خالد ضاحكًا ومستهزئًا، وهو يتركها، ويكمل طريقه إلى حجرة النوم: «لَف إيدي حواليكي كمان نجاسة بقى ولا إيه... زي البوسة بعني؟ والله إنتِ بقيتي غلبانة»..

دخلت ليلى الحمام لتتوضأ ثم ذهبت لتصلي في حجرة هانيا بعيدًا عن أعين خالد، وكأنه سوف يمنعها من الصلاة.. وبالفعل صلت العشاء وسنته والشفع والوتر، وخرجت فوجدته نائمًا في سريره فأطفأت نور الحجرة، وتركت الأباجورة بجواره بضوئها الخافت.. وبمنتهى الهدوء دخلت إلى غرفة الملابس، وارتدت قميص نوم بلون الشمبانيا، وهو لون جسدها، كما أنه لونها المفضل، ووضعت عطر خالد المفضل وأسدلت شعرها البني اللامع والناعم على كتفيها، ونظرت إلى نفسها في المرآة، ووجدت أنها قد افتقدت شكلها هذا الذي تراه.. حتى شعرها لم تكن تعلم أنه أصبح بهذا الطول.. فهي وإن كانت دائمًا متأنقة في المنزل أمام خالد والأولاد ومحارمها، إلا أنها كانت، ودون أن تقصد، قد توقفت عن إسدال شعرها وأصبحت تربطه إلى الخلف دائمًا فلم تنتبه لطوله الجديد...

وسرعان ما تذكرت أنها لابد وألا تطيل النظر لنفسها أمام المرآة، وأنها لابد وأن تستغفر، وتقول «بسم الله ماشاء الله»، منعًا لأن تتسبب في حسد نفسها، وحتي لا يصيبها العجب من نفسها!!! ونظرت سريعًا إلى الساعة لتتأكد من أنها تملك الوقت الكافي لتستحم حتى تنام على طهارة، وتستطيع أن تصلي الفجر حاضرًا.. وبالفعل قامت بسرعة وذهبت إلى سريرها، وتسللت بمنتهى الخفة

ودخلت في حضن خالد.. وانتبه خالد رغم أنه كان غارقًا في النوم، وانتبهت هي الأخرى إلى أن النور بجواره مازال مضاءً، وإن كان خافتًا، فحاولت أن تطفئه ومالت بكل جسمها على خالد، الذي منع يدها من الوصول إلى الأباجورة وابتسم، وقال لها: «مش هَطَفّي النور... إيه الجمال ده... واحشاني»..

واحمر وجهها خجلًا، وقالت له: «اطفي النور يا خالد.. إيه التوتر ده... ماطول عمرنا بنطفي النور...».

خالد: «بس إنتِ النهارده واحشاني... أنا نسيت شكلك، وإنتِ حلوة كده.. تعالي في حضني أوي»..

ليلى: «يعني أنا علشان أبقى حلوة لازم أبقي عريانة ملط كده.. يعني أنا في العادي مش...».

أسكتها خالد بأن قبلها بمنتهى الشوق والحب، محاولًا أن يلهيها عن التفكير والكلام.. وبالفعل نجح للحظات، واستغرقت في حبه والتجاوب معه، ولكنها فجأة تملصت عندما تذكرت الدعاء، ولكنها لم تنطق لأن خالد بادرها بقوله: «ياللا نقرا الدعاء اللي فازّعك ده»..

ليلى: «طب اقراه معايا... اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان مارزقتنا»..

وبالفعل همهم خالد معها وأخذها في حضنه مرة أخرى، ولكن هذه المرة أخذها وكله أحاسيس بالشفقة تجاهها.. وبعد انتهائهما، قامت ليلى تجري إلى الحمام، وبالفعل تطهرت تمامًا من كل أثر للحب الذي جمعها بخالد.. واستغرب خالد من تأخيرها في الحمام..

ولما رجعت وجدها وقد ارتدت بيجاما وشعرها مربوط خلف رأسها، كما اعتادت في الفترة الأخيرة.

خالد: «إنتِ كنتي فين؟».

ليلى: «كنت بستحمي»...

خالد: «ومستعجلة كده ليه؟».

ليلى باستنكار: «أمال أنام نجسة؟».

خالد: «تاني؟؟؟ إنتِ ماحرمتيش؟؟؟ ما سألتيش واحدة من الأخوات بتوعك واستفسرتي عن الحرام والحلال ولا الحصة دي فاتتك ؟».

ليلى: «اتريق كمان يا خالد... عاوزني اسألهم إزاي في الحاجات دي؟ ده مجرد الإشارة للحاجات دي حراااام ولعنة من ربنا... دي اسمها حرمة مغلظة»..

خالد بعصبية: «لاااااااا...آسف يا ماما.... الحرام إنك تحكي اللي إحنا بنعمله لحد... لكن لو بتسألي علشان مش فاهمة، يبقى مش حرام ويبقى مطلوب كمان.. لكن الحمد لله إنك ولا بتسألي ولا بتستفسري؛ لأن مافيهومش واحدة ولا تتسئل ولا بتفهم في الحاجات دي أصلًا»...

ليلى باستخفاف: «أسألهم على إيه؟؟؟ مش دي السنس اللي كنت بتلومني عليها؟ أنا على «جنابة» يا سي خالد؟ بلاش نجاسة مادام بتنرفزك»..

خالد: «لاااا في فرق كبير أوي بين النجاسة والجنابة... اللي حضرتك ما تعرفيهوش يا ست يا متعلمة يا بتاعت قال الله وقال الرسول أنه يستحب وضوء الزوج والزوجة بعد الجماع إذا حبوا يناموا... عارفة يعني؟ يعني وارد أنهم يناموا وعارفة يعني إيه يستحب؟!!! يعني مافيش كراهة من عدمه... يعني مافيش تحريم من الأساس... وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يأكل أو ينام وهو جنب، غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة.. وعارفة يعني إيه إذا حبوا يناموا؟ يعني يجوز أنهم يقعدوا في البيت ويتحركوا ويتصرفوا عادي وعلي فكرة... لو فيه ضرورة قصوى ممكن ينزلوا من البيت بسببها.. اللي بيعلموكي الحاجات دي ما يعرفوش عن الست والراجل غير الجنس فقط.. مافيهومش واحدة جوزها بيحبها وبيستمتع بيها وبكلامها وعقلها قبل جسمها.. مافيهومش واحدة جوزها بيحترم عقلها وحبه ليها ويعرف يصبر عليها زي ما أنا صابر عليكي كده.. وعمومًا براحتك يا ليلى.. افهمي ولا اقفلي عقلك ولا اعملي اللي إنتِ عاوزاه»..

وتركها وخرج من الغرفة..

صلت ليلى ركعتين لله.. وسبحت، ثم ظلت تتحرك في غرفتها، قلقه من الذي يدور حولها، وبدأت حيرتها تزداد لإحساسها بأنها لم تعد تأخذ الأمور كما يجب، وإنما تزيد من انفعالاتها.. ثم فتحت التليفزيون على قناة القرآن وتركته وقامت تتفقد خالد... وفعلًا وجدته في حجرة المعيشه الكبيرة يشاهد التليفزيون، فجلست أمامه، وقالت له: «هو إنت مش هتستحمى بقى؟».

خالد باستهزاء بكلامها: «لأ.. هَنام نجس»..

ليلى: «بشويش عليّا شوية يا خالد من فضلك»..

خالد: «أنا اللي بشويش يا ليلي؟ إنتِ مش بتشوفي إنتِ بتعملي إيه وبتقولي إيه ولّا إيه؟... بصي يا ليلى ومن غير كلام كتير الجمعية دي خلاص خلصت على دماغك وبوظت تفكيرك... أنا هسيبك بس في مجموعة حفظ القرآن، اللّي كان نفسك فيها وبوظتيلنا السفرية علشانها، وأول ما تخلص علاقتك بالجمعية هي كمان هتخلص!!!».

قام خالد ودخل غرفتهما ودخلت ليلى تجري وراءه.. وقبل أن تتكلم سمعت صوت موسيقى وأغانٍ منبعثة من الغرفة، فقالت بفزع: «إيه ده.. أنا كنت سايباه على الشيخ مشاري راشد... إيه اللي جاب القرف ده!!».

خالد: «والله اللي يجيب الشيخ مشاري أو غيره، يقعد يسمعه وينتبه كمان مش يفتحه منظر ويخرج من المكان.... وبعدين أنا اللي كنت ظابط التليفزيون إنه يقلب لوحده على القناة دي في ميعاد الفيلم... عندك مانع؟!».

ليلى: «أنا ماكنتش فاتحاه منظر... القرآن في البيت بركة»..

خالد: ليه؟؟؟ ما إنتِ كنتي فتيتي مرة بأنه «لا يجوز» أننا نفتح القرآن ونسيبه بركة واديتينا درس في ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ ولا نسيتي يا ست الحاجة!».

ليلى: «صح، لأني ماكنتش أعرف أن في إجازة أننا نشغله علشان يطرد الشياطين وتحل البركة على المكان، طالما فقط هنشغله مكان الأفلام الأفرنجي والحاجات اللي ماترضيش ربنا دي»..

خالد: «وعرفتي منين إنها ما ترضيش ربنا، وإن فتحك للقرآن، وإنتِ بتتخانقي مع ولادك أو مع جوزك هو الأفضل؟!!! بصي، الحل الوحيد إن كل واحد فينا بقى يبقى يروح يقعد في أوضة لوحده، أحسن بعدين البركة تطير من الشياطين بتاعتي»...

ليلى: «خلاص يا خالد... هدِّئ نفسك من فضلك ووطّي أو اقفل المزيكا الصاخبة دي»..

خالد: «صاخبة؟؟؟ إيه اللغة العربية الفصحى اللي هنرغي ونتخانق بيها في البيت دي وعمومًا الصاخبة دي كانت حبيبتك... أنا كنت ظابط لك التايمر على فيلم علشان عارف إنك "كنتي" بتحبيه... ولكن واضح إنك ماعتديش بتحبي أي حاجة»..

وخرج من الغرفة وذهب لينام في غرفة المعيشة الكبيرة، ولم تتركه ليلى كثيرًا، بل ذهبت إليه ورجته أن يدخل إلى غرفته، ووعدته بأنها لن تتكلم معه في أي شيء.. وبالفعل انتقل إلى سريره ونام واستيقظ على عمر وهانيا قادمين من عند جدهم وجدتهم، وانتهزت ليلى الفرصة بأنها أجازة من الجمعية في هذا اليوم، وأعدت إفطارًا كإفطار يوم الجمعة، الذي كانوا معتادين إياه وجلسوا جميعًا على السفرة التي افتقدوها فترة... وبعد أن مشى الأولاد إلى المدرسة، دخل خالد يتجول في البيت ثم تمدَّد على كنبة في غرفة المعيشة أمام التليفزيون، وفجأة رنَّ تليفون ليلى الساعة 8 صباحًا على غير العادة وكان بجواره... ودون قصد، لفت نظره أن المتصل هو حسين زوج رانيا، فنادى على ليلى وأعطاها التليفون لترد..

ليلى: «السلام عليكم يا حسين... إيه خير؟».

حسين: «آسف والله للاتصال بدري.. لكن رانيا كان عندها موعد مع الحاجة النهارده الساعة 10 الصبح، يروحوا مشوار، بس رانيا إمبارح وقعت وايدها اتكسرت، ونايمة من المسكنات، وقالت لي أكلمك امبارح علشان تروحي إنتِ للحاجة بدالها، ولكن كان الوقت متأخر أوي».

ليلى: «لاحول ولا قوة إلا بالله... لأ.. سلامتها ألف سلامة.. شفاها الله وعافاها وعفى عنها.. طيب أنا هكلم الحاجة دلوقتي، وهشوف أنا هعمل إيه»..

كان خالد مازال مراقبًا لليلى دون أن تشعر.. ووجدها تتصل بالتليفون..

ليلى: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»..

ليلى: «أهلا أهلا إزي حضرتك يا أم أحمد»..

ليلى: «أقدر أكلم الحاجة؟».

ليلى: «أصل رانيا كان عندها ميعاد معاها النهارده الساعة 10.. ولكن إمبارح وقعت على ايدها واتجبست... فمش عارفة بقى أعمل إيه ولا عارفة الحاجة عاوزة إيه؟ طيب تساليهالي من فضلك، أو أكلمها كمان نص ساعة كده إن شاء الله؟».

ليلى: «طيب خلاص.. أنا هستني مكالمتها»..

فوجئت ليلى بخالد، وهو يقوم من رقدته على الكنبة بمنتهى الثقة، ويقول لها: «مافيش خروج من المنطقة دي النهارده ولا المهندسين
ولا أكتوبر ولا غيره»..

ليلى: «يعني إيه؟».

خالد: «زي ماسمعتي»...

قبل ما يخلص خالد جملته، كان تليفون ليلى بيرن تاني.. وما كادت ليلى تقوم لترد على التليفون خارج الغرفة إلا ووجدت خالد بهدوء يشير إليها بأن تبقى مكانها وترد من أمامه.. وكانت الحاجة..

الحاجة: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا ليلى، إزاي حضرتك»..

ليلى: «الله يسلم حضرتك.... اتفضلي»..

نظرت ليلى إلى خالد الذي كان جالسًا أمامها يقرأ في الجرائد، وردت على ما قالته الحاجة قائلة: «لا، والله يا حاجة للأسف.. أنا مش هقدر النهارده خالص»..

ليلى: «أصل خالد لسه في البيت والنهارده هنكون كلنا عند والدي في البيت زي ما حضرتك عارفة...فيه اجتماع عائلي ومتوقع إني أروح لهم من بدري إن شاء الله»..

ليلى: «أنا آسفة والله غصب عني..... اتفضلي.... ياريت طبعًا ممكن أوي إن شاء الله بس إمتى؟.... النهارده؟ آه جنبي بس مش أوي يعني... طيب ممكن تخلي حضرتك معايا ثواني؟».

وداست ليلى على الانتظار في التليفون، وسألت خالد: «طيب هروح أجيب الحاجة ونروح لرانيا من غير الجمعية»..

خالد بحسم: «لأ.. مفيش مرواح المهندسين.. كلمه واحدة كمان.. مفيش رانيا أصلًا»..

ليلى: «طيب إذا بعتلها السواق وهي جت، ممكن نروح نشوف رانيا اللي جوزها اتصل بينا علشانها دي؟».

رد خالد: «مش أكتر من ساعة ونص... للطريق والزيارة»..

حسبت ليلى سريعًا المسافة والوقت المفروض قضاؤه عند رانيا، فكانت هي تسكن في كومباوند في التجمع الخامس، وكانت رانيا كانت عند الكلية الحربية بما يعني حوالي ربع ساعة من الدائري..

أخذت ليلى نفسًا عميقًا، وعندما عادت لترد على الحاجة، وجدتها قطعت الاتصال!!!

فاتصلت هي بالحاجة وقالت لها: «أسفة يا حاجة.. بس باين الخط اتقطع!».

الحاجة: «لأ يا ليلى هو الخط ما اتقطعش... أنا بس اللي قفلت... إنتِ حطة مزيكا في الموبايل، وأنا بصراحة يا ليلى مش ببقى مرتاحة لما أسمع أغاني».

ليلى مندهشة: «إزاي مزيكا؟ آه دي أغنية موبينيل اللي على الهولد... دي مش مزيكا أنا اللي حطاها طبعًا... دي الشركه بتاعت التليفونات هم اللي حطينها، وبعدين دي أغنية وطنية حلوة أوي»..

الحاجة: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... أنا مش عارفة الشركات الكافرة دي عاوزة مننا إيه؟... بيسمعونا غصب عننا يا ليلى، وإنتِ عارفة أنه لا يجوز الاستماع والاستمتاع إلا بكلام المولى عز وجل في القرآن الكريم... إحنا أكيد اتكلمنا في الموضوع ده قبل كده في الجمعية»..

خافت ليلى تطول المناقشة وأن تلفت أنظار خالد الذي كان جالسًا أمامها، مراقبًا كل تصرفاتها فاختصرت الكلام وردت: «الله المستعان بقى... أنا هبعت لحضرتك العربية بالسواق على ما يوصل لحضرتك تكوني جهزتي، ويرجعك في الميعاد اللي يناسب حضرتك»..

الحاجة: «طيب وهو إنتِ ما تقدريش تيجي مع السواق؟».

ليلى: «ماهو أنا قلت لحضرتك مش هقدر أروح المهندسين وأرجع النهارده».

الحاجة: «طيب ولا تقدري تبعتي معاه بنت من اللي بيشتغلوا عندك؟».

ليلى باستغراب: «فهميني بس، وأنا أعمل اللي حضرتك عاوزاه».

الحاجة: «أنا يا ليلى مش بركب مع سواق لوحدي أبدًا علشان الاختلاط وحرام إني أتواجد معاه في العربية لوحدنا»..

استغربت ليلى جدًّا من المنطق، ولكن قالت للحاجة: «لأ، طبعًا ممكن إن شاء الله.. اديني خمس دقايق، وهرد على حضرتك حالًا»...

ليلى: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»..

وتركت التليفون وقالت لخالد، وهي تقوم من مكانها: «التليفون أهو يا خالد..ممكن أدخل المطبخ بقى!».

نظر إليها خالد نظرة، يؤكد فيها معرفته بما تخبؤه ولكنه لم يرد..

وبالفعل اتصلت بالحاجة مرة أخرى وقالت لها: «خلاص حضرتك كله تمام.. أنا بس كنت بعت السواق يجيب لي شوكولا، علشان ماروحش بايدي فاضية كده لرانيا وكلمته وهو على وصول، وهبعت معاه حد على طول دلوقتي لحضرتك»..

ودخلت فعلًا تنادي على سوكيروا، ونسيت إنها عند والدتها، ولن تحضر قبل ساعة.. فطلبت من إيمي أن تغير ملابسها بسرعة، وأن تنزل لتذهب مع السواق وحاولت إيمي الاستفسار منها عما سوف تفعله، ولكن ليلى نفسها لم تجد أي مبرر لإرسالها.. بل وللحظات تساءلت لماذا هذه الطاعة العمياء للحاجة.. ولماذا تلغي عقلها.. ولكنها ارتاحت أكثر لأن تصل إلى نتيجة أن الحاجة مؤكد تعلم الصح، وهو مالم تعتاده ليلى أو تعلمه كاملًا !!!!!!!!!!

وفعلًا وصل السواق ووجهته للعنوان، وأخذ إيمي وذهبا لإحضار الحاجة..

كان خالد يراقب توتر ليلى واضطرابها، مع أنه كان مستمعًا من ناحية واحدة فقط.. ولم يرد أن يفتح معها حوار، تكون نهايته مشكلة أو أزمة جديدة.. وهي من ناحيتها قامت بسرعة، قبل ان يفتح هو أي مجال حديث، يعطلها أو يأخرها عن الميعاد، حتى أنها فكرت أن تنزل مبكرًا عن ميعادها، ولكنها تذكرت أن «خالد» سمح لها بساعة ونصف فقط، فقررت أن تشغل نفسها بشيء في المنزل، وأن تسأله هل يريد أن يأكل كيك أو فاكهة أو يشرب شيئًا على سبيل المناغشة.. ورغم أن «خالد» كان مستفزًا منها ومن تصرفاتها، إلا أنه رد عليها بأنه لا يريد أي شيء وتركها وذهب ليأخذ حمامًا.

الفصل الخامس عشر
كَشْف الغَطـا

تجنبت ليلى الصدام بخالد، بل واستمرت تتحرك في البيت بهدوء تام، وعلى استحياء متخوفة من أي شيء من الممكن أن تقوم به، ويعكر صفو اليوم أكثر، ويزيد من توتر زوجها؛ خصوصًا وأنهما سوف يقابلان الدكتور علي كذلك في بيت والدها بمناسبة «استغفر الله العظيم» عيد ميلاد والدتها!!!

وفعلًا دخلت ليلى غرفتها بهدوء، ورتبت وأخرجت ما سوف ترتديه، وهي ذاهبة إلى رانيا، وكان خالد يتحرك حولها..

وفجأة نادى خالد عليها: «استني يا ليلي».

ليلى: «أيوه يا خالد».

خالد بثقة، وكأنه أمر واقع: «استنيني.... أنا اللي هَوَصَّلك عند رانيا، وأفوت أخدك من هناك لما تخلصي»..

ليلى: «اشمعنى؟».

خالد: «وليه لأ؟!!!».

ليلى: «ولا حاجة»..

خالد: «وماتلبسيش عباية».

ليلى: «مش معقول يا خالد.. من إمتى، وإنتَ بتتدخل في لبسي؟».

خالد: «أنا مش بتدخل... إحنا اتفقنا إن العباية للجمعية وبس، وإنك مش هتنزلي معايا بيها أبدًا.. وحتى لو بتدخل، أنا حر».

تقبلت ليلى الكلام وفضَّلت ألا تعلق بأي شيء يخص ما يقوله، وبالفعل أخرجت من الدولاب جونلة أبيض في أسود، وقميصًا أبيض وطرحة أبيض في إسود في أصفر، وقالت له بهدوء: أنا هَتوضَّى وننزل على طول؛ علشان ما نتأخرش من فضلك، ممكن؟!».

خالد بثبات وبرود: أنا تقريبًا خلصت..

ودخلت الحمام تتوضأ، ولما خرجت وجدته داخل الحمام، ونظر إليها باستغراب وقال: «إنتِ من إمتى بتبلِّي الحمام كده؟ وهو مافيش فوط في الحمام ولا إيه؟!!!».

ليلى: «لأ، بس أنا كنت مستعجلة فملحقتش أنشف وشي!!!».

خالد بسلامة نية، وهو يناولها الفوطة، لأنها موجوده أمامها: «خدي يا ليلى.. الفوط كلهم أهم... مش عارف مش شايفاهم إزاي أصلًا!!».

أخذت ليلى الفوطة بعصبية ومشيت من طريقه، وذهبت تكمل لبسها، ورمت

الفوطة على السرير دون أن تستعملها!!!

وللأسف.. إنه كان يحضر شيئًا من الحمام، فلم تمض إلا ثوانٍ، ورآها وهي ترمي بالفوطة على السرير دون استعمال..

ليلى: «في إيه يا خالد؟ حاططني في دماغك ليه كده بقى!!».

خالد: «عايز أفهم... هي الفوط كمان فيها حاجة ولا إيه؟».

ليلى بجرأة: «لأ يا خالد.. المشكلة مش في الفوط.. المشكلة إن التنشيف بعد الوضوء مكروه وغير مستحب تمامًا، وإن النبي ﷺ كان يترك الماء ينزل من أعضائه... وأن التنشيف جائز إن كان هناك مانع مثل الإصابة بمرض من الأمراض أو الخوف منه.. وهناك قول آخر بأن كل نقطة مياه نازلة من أثر الوضوء هي مكفرات للذنوب... عندك مانع في ده كمان؟!!!».

خالد: «بصراحة مش مقتنع، ولكن هَسأل وهَقرا قبل ما نتكلم.. لكن ماعتقدش أبدًا إن البلل والتلبيخ ده هو اللي النبي عليه الصلاة والسلام أمر بيه»...

وخرج خالد من الغرفة وتركها، فلبست الإسدال وصلت الضحى، وكانت شبه مندوهة، وكأنها روبوت حتى أنها جلست أمام المرآه تضع الكريم على يديها ووجها، دون أن تظهر عليها أي معالم... سارحة تمامًا فيما يجري لها، وفي الفجوة التي تزداد كل لحظة بينها وبين خالد... فاقت ليلى من دهشتها على جرس المحمول، وكانت حماتها، ووجدت نفسها ترد عليها بفرحه قائلة: «وحشتيني أوي يا طنط»..

نجوى: «غريبة... ماقلتيش السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ليه يعني؟».

ليلى ضاحكة: «هو أنا ماقلتش؟ طب أهو السلام عليكم ورحمة الله وبركاته»..

وأكملت ليلى المكالمة وهي مبتسمة وفعلًا كانت مفتقده لحماتها، التي طالما ضحكتا وتحدثتا معًا في كل شئون الحياه، رغم كافة التحذيرات التي سمعتها في الجمعية عن ماهية العلاقة، التي لابد وأن تربطها بها.. وفي النهاية، أكدت عليها موعد حفلة والدتها اليوم، ولكنها كانت قد زهدتها، كما زهدت كل حياتها الأخرى..

و بعد أن أتمت ليلى ارتداء ملابسها، ووضعت الطرحة، واتصلت بالسواق، ووجدته على وشك أن يصل بالحاجة إلى رانيا..

خرجت ليلى وأعطت التعليمات لسوكيروا بأن تتصل بها فور وصول الأولاد من المدرسة، وأنها لن تتأخر.. وذهبت إلى خالد، وقالت له: «ياللا ياخالد ولّا أستناك بره؟».

خالد: «لا... ياللا..».

واتصلت برانيا ورد عليها حسين زوجها، فطلبت منه أن يبلغها أنها في الطريق

إليها.

أخدت الشوكولاته التي أحضرها السائق، ووضعتها في سيارة خالد، وفي الطريق وجدته يتصل من تليفون السياره بالبيت...

وردت سوكيروا، فقال لها: «ألو يا سوكيروا.. ادِيني إيمي»..

سوكيروا: «إيمي مش موجود بابا»..

ليلى مقاطعة: «إيمي، أنا بعتها مشوار يا خالد»..

وكملت لسوكيروا: «خلاص يا سوكيروا، أنا هكلمك تاني»..

سوكيروا: «أوك ماما».

خالد: «فين هي إيمي؟».

ليلى: «بعتها مع عبده السواق علشان تجيب الحاجة من بيتها ويوصلوها لرانيا... وبعدين ما انت كنت قاعد وسامع المكالمة»..

خالد مستغرب: «إيمي تروح تجيب الحاجة؟؟؟هي تعرف البيت مثلًا، وعبده مايعرفوش؟».

ليلى: «لأ.. بس الحاجة قالت لي إنها مش بتركب لوحدها مع سواقين، لأنه حرام وطلبت مني إني آجي معاه، أو أبعت حد من عندي، وإنت طبعًا اديتني تعليمات بعدم التحرك من المنطقة.. ومحدد لي مواعيد بالساعة وبالدقيقة، ولما قلت لها كده قالت لي طبعًا أسمع كلامك، وأبعت لها مع السواق حد من اللي بيشتغلوا، علشان هي ما تبقاش لوحدها»...

خالد مذهول: «بس هو ده اللي لفت نظرك للموضوع إنتِ والحاجة بتاعتك؟!!!».

ليلى باستنكار: «كفايه بقى إهانات يا خالد، وبعدين إيه كلمة «الحاجة بتاعتك» دي أصلًا؟ هي مش موجودة علشان نغتابها يا خالد!!».

خالد: «هو أنا لسه اغتابتها ولا لسه قلت كلمة؟!!! بس كتر خيرها والله إنها قالت لك اسمعي كلام جوزك!!! هو إنتِ خلاص مسحوا مخك؟ فين يا أخت يا فاضلة حديث سيدنا النبي اللي معناه أنه لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.. ولا ما أخدتوهوش؟!!!».

ليلى: «إيه ده؟ دخله إيه الحديث ده أصلًا؟».

خالد باستخفاف: «لو افترضنا «جدلًا» إنها رامية طوبتك، وإنك بتختلطي وبتعملي حاجات «حرام»، وبتركبي مع السواقين لوحدك، وهتاخدي وزر نفسك، إزاي برضو تطلب منك اللي هي شايفه إنه حرام حتى لو إنتِ بتعمليه؟ والأضل والأسوأ إزاي تطلب منك إنك تركبي شغالتك اللي هي أصلًا مسيرة؛ لأنها خادمة واللي هتقوليلها عليه لازم هتطيعك وإلا ينقطع عيشها؟ واللي هي مسئوليتك وفي رقبتك.. الناس دول إزاي بيحللوا لنفسهم اللي بيحرموه على

غيرهم، ويحرموا على نفسهم اللي بيحللوه لغيرهم ودون مبررات... لأ.. ومش بس كده دول كمان بيتخيلوا إنهم بيطيعوا ربنا ورسوله وماعندهمش أدنى مانع إنهم يسيبوا غيرهم يرتكبوا وزر، ويعملوا العكس في سبيل إن هم اللي يبقوا في الأمان يعني safe side!!!».

وأكمل بعصبية: «ياللا ياليلى وصلنا... انزلي....انزلي، وحلال عليكي اللي هتشوفيه فوق... تستاهليه وزيادة كمان... ياللا»...

كانت ليلى تستمع إلى خالد، وهي مقتنعة تمامًا بكلامه، وكانت قد وصلت إلى مرحلة زائدة من التوتر، واستغربت من كلمة «تستاهلي» التي قالها، وسألته: «إيه هو اللي هشوفه؟ وايه اللي استاهله ده.. إنتَ قصدك إيه أصلًا؟؟؟».

أكمل خالد باستعجال: «لما تطلعي وتشوفي الست الحاجة بتاعتك هتعرفي»....

نزلت ليلى، وهي مذهولة تمامًا من خالد وكلامه، الذي لا تشوبه شائبة..

قال خالد قبل أن تنزل ليلى من باب العربية: «كلميني قبل ما تحبي تروحي بربع ساعة، أنا هبقى هنا جنبك بخلّص حاجات».

نزلت ليلى من العربية وانتظرها خالد إلى أن دخلت مدخل العمارة، وانتظر حوالي 3 دقائق، واتصل بها ليطمئن إلى أنها وصلت وردت عليه باستغراب شديد؛ لأنه لم يعتد فعل هذه الأشياء..

الدقائق التي مرت على ليلى، بعد نزولها من سيارة خالد، مرت عليها ثقيلة جدًّا.. كانت تعلم أن كل كلام خالد حقيقي.. بل كانت تعلم أيضًا أن الحاجة تأمرها بأشياء لا تقوم هي بها.. ولكنها كانت تملك من العناد ما يجعلها ترفض أن تعترف لخالد وأمها وأبيها وحميها وحماتها ونهى وكل المحيطين بها بأنهم كانوا جميعًا على حق، وأنها هي الوحيدة التي كانت على باطل.. كانت رغبتها في عدم الاعتراف وراء ما يحدث لها من توتر داخلي واضطراب نفسي..

دخلت ليلى عند رانيا، وأدخلها حسين إلى غرفة النوم، حيث كانت ترقد رانيا وأمامها والدتها وأختها .. فوضعت الشوكولا على كرسي في مدخل الغرفة، وسلمت عليهم جميعًا، وذهبت تحضن رانيا وتسلم عليها.. كان ذراع رانيا كله في الجبس، وكانت في حالة من الإرهاق والإعياء الشديد .. حتى أنها كانت تتحرك بصعوبة، فقد كانت عندها كدمة في جنبها وركبتها، وأنها لا تستطيع فرد جسدها.. وقالت لها: «أهلًا أهلًا يا ليلى بقالك كتير ماجيتيليش.. وجايبالي شوكولا كمان... ده إحنا نعمل احتفال بالمناسبة السعيدة دي»..

ليلى: «بس يا بت إنتي... بطلي تريقة.. خليكي مرتاحة في مكانك وماترغيش كتير».

وفجأة رن تليفون ليلى، وكان والدها فاستأذنت الموجودين ودخلت حجرة

المعيشة تتكلم بها.. أثناء مكالمتها سرحت ليلى لمدة ثوان في بيت رانيا، الذي لم تدخله منذ فترة طويلة.. ولم تجد به أي شيء مُتغير كتعليمات الحاجة والمعلمات في الجمعية... التليفزيون، أكبر مقاس مُعلق على الحائط، والساوند سيستم في مكانه، والصور يمين وشمال.. ليس هذا فقط، بل ووجدت تمثالًا على شكل أباجورة، وهي تعلم تحريم التماثيل، وسمعت عنها ما يكفي لأن تكره التماثيل والمثالين.. وانتابها الإحساس نفسه بأن الحاجة كما تأمرهم بما لا تنادي به، فرانيا هي الأخرى تفعل الشيء نفسه!!!

وبعد أن انتهت ليلى من المكالمة، عادت إلى غرفة النوم، ووجدت والدة رانيا وأختها تسلمان وتستأذنان في الذهاب...

حسين: «جوزك فين يا بنتي؟!».

ليلى: «لو كنت أعرف إنك هنا، كنت خليت خالد يطلع معايا... أصل هو اللي موصَّلني».

حسين: «ياريت والله.. ده أنا نفسي أشوفه»..

ليلى: «إن شاء الله قريب، نوضب حاجة كده ونخرج كلنا»..

رانيا بتشفٍّ: «آه قوليلى بقى.... خالد اللّي موصّلك علشان كده لابسة اللبس الموضة ده»...

ليلى دون تفكير مدافعة عن نفسها وعن خالد: «أنا مش بلبس العبايات إلا في الجمعية أو في الدروس بس يا رانيا.. وبلبسهم استسهال وعلشان الواحد يبقى زيه زي الموجودين كلهم!!!».

رانيا: «ماشي ياختي... ياما نفسي أشوفك كده لو الحاجة موجودة... طبعًا ماكنتيش هتقدري أصلًا تخليها تشوفك»..

ليلى: «لا والله؟ آه صحيح ما أنا لسه ماقلتلكيش.. الحاجة أصلًا...».

وقبل أن تكمل الجملة رنّ موبايل ليلى، وقطع الحديث، وكان عبده السواق، وردت عليه: «أيوه يا عبده؟ وصلتوا خلاص؟ طيب كويس أوي اطلع إنت مع الحاجة لحد ما تركبها الأسانسير، وماتركبش معاها وبعدين ارجع العربية استني إنت وإيمي لحد ما أكلمكم، أقول هتعملوا إيه»..

رانيا بدهشة: «الحاجة مين اللي مع عبده وأسانسير إيه؟».

ليلى ببساطة: «تحت... هنا... ما أنا بعت عبده جاب الحاجة من بيتها علش.....».

صرخت رانيا المريضة المرهقة بعلو صوتها: «هنا؟؟... الحاجة طالعة هنا؟؟؟»، وطارت المكسورة التي كانت من دقائق تعرج، وأصبحت تجري في البيت وتنظر حولها ونادت على من تساعدها في البيت، وقالت لها: «بسرعة هاتيلي فوط وملايات وأكياس زبالة!!!».

لم يصدق ليلى وحسين ما يحدث أمامهما، وما أصاب رانيا من فزع.. ولكنهم كانوا ينفذون ما تقوله لهم بالحرف، وبسرعة نورّت كل أنوار الريسبشن والصالون والأباجورات، وأخذت البراويز الصغيرة لدرجة إنهم حسّوا إن الترابيزات بقى وكأنها عريانة وأخدت ملاية كبيرة، وظلت تنط على السرير في محاوله لتغطية صورة فرحها الكبيرة الموجودة، فوق سريرها، تحسبًا إن تدخل الحاجة حجرة نومها.. وجريت مرة أخرى على حجرة المعيشة، وأخدت الريموت، وكتبت رقمًا للريسيڤر، والتليفزيون مقفول حتى دون أن تفتحه!!! بمنتهى الهدوء والاستفزاز أشارت ليلى لرانيا على الأباجورة التمثال، ونظرت رانيا إلى حسين، وقالت: «حسين بسرعة شيل الأباجورة دي من هنا من فضلك!! وحطها في أي مكان... أوعى الحاجة تشوفك...أنا مش مصدقة يا ليلى إنك تعملي فيّا أنا كده!!!».

اندهشت ليلى من كلام رانيا واتهامها بتدبير مقلب لها، وقبل أن ترد أو يرد حسين على التعليمات، كان جرس الباب يرن، وكانت الحاجة على الباب..

ودخلت الحاجة واستقبلتها رانيا استقبال الفاتحين، وكان شيئًا لم يكن، بل وعادت تعرج وتتألم مرة أخرى، وأظهرت التعب والإرهاق الذي من الممكن أن يكون قد حل عليها فعلًا بعد المجهود، الذي بذلته في محاولة للقضاء على آثار وجود الصور والبراويز والتماثيل وخلافه.

ونظرت الحاجة حولها، ثم رفعت نقابها وبقيت بالخمار، ثم سلمت الحاجة على رانيا بمنتهى الحرارة وقبلتها الثلاث قبلات كالعادة، وكما قالوا أنها «سنة» وقالت لها: «لا بأس، إن شاء الله طهورًا يا حبيبتي»..

وسلمت على ليلى بالطريقة نفسها، وإن كانت النظرة لليلى مختلفة؛ خصوصًا عندما انتبهت أنها لا ترتدي العباية..

رانيا: «جزاكي الله خيرًا كثيرًا يا حاجة تيجيلي بنفسك؟!! والله تعبتي نفسك أوي... اتفضلوا... وأدخلتهم الصالون!!!».

ليلى: «طيب أنا هجيب شنطتي، وتليفوني من الليفنج لحظة واحدة»..

الحاجة، وهي تنظر إلى ليلى لتتوجه ناحية غرفة المعيشة هي الأخرى: مادام كنتم قاعدين في الليفنج، ندخل كلنا ولا يمكن يا رانيا معتبراني أنا غريبة وعاوزة تقعديني في القاعدة الرسمي.

رانيا بضيق من ليلى: «أبدًا يا حاجة بس حاجة الولاد مكركبين الأوضة، ومش مقام حضرتك»... وأكملت وكأنها بتتحدى ليلى: «وبعدين حسين لسه هنا، فنسيبها له ممكن يحب يدخل يقعد فيها ولا حاجة!».

الحاجة بسخرية: حسين هنا... لأ يبقي نقعد في الصالون، ونسيب الليفنج للناس السبور، اللي مش لابسين عبايات وقاعدين مع الرجالة»..

وأكملت دون أن تعطي أي فرصة لليلى أن ترد: «وبعدين مش المفروض إن حسين يبقى هنا، وإحنا بنتكلم بصوت عالي كده يا رانيا»..

ودخلن إلى الصالون فعلًا، وسألت رانيا الحاجة تشرب إيه، وقاطعتها ليلى بتحدٍّ: «خليكي إنتِ مرتاحة... ترابيزة الشاي جاهزة، أنا هجيبها من جوه وآجي بيها.. ما هو أنا باللبس السبور ده دلوقتي ممكن أعمل حاجات كتير»..

رانيا بعنف: «لأ... خليكي يا ليلى»... وندهت على الست، اللي بتساعدها في البيت وقالت لها تجيب الحاجات..

الحاجة متجاهلة ليلى وما قالته: «إيه يا رانيا الحاجات اللي إنتِ مغطياها دي؟؟؟؟».

رانيا بتلقائية: «أبدًا يا حاجة... إحنا أصلنا كنا بنعيد ترتيب الشقة والحمد لله.. حسين اقتنع إننا نشيل كل البراويز، اللي أهله مصممين إني أسيبها على الترابيزات هنا... بتاعة جدوده.. بقى أعمل إيه»..

واندهشت ليلى من رد رانيا الحاضر، والذي أقنع الحاجة في ثوانٍ..

ووصلت ترابيزة الشاي، وبدأت رانيا تعزم على الحاجة، وكانت ليلى مشغولة بالموبايل، تكتب رسالة لهانيا بنتها...

الحاجة: «إيه ياليلى مشغولة عننا بإيه؟».

ليلى: «أبدًا يا حاجة، بس هانيا بعتالي رسالة بتقول لي إن عندها رحلة إلى سويسرا.. الأسبوع الجاي مع المدرسة، وبتسألني على رأيي»..

الحاجة باستنكار: «أنا مش عارفة المدارس اللي إنتم بتودوا فيها الولاد دي ضرايبها الأخلاقية هتبقى غالية أوي!!».

ليلى بقلق: «ليه بس يا حاجة، دي رحلة رياضية تابعة للمدرسة، ولفريق الرياضة اللي بتلعب معاهم»..

الحاجة: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي لعظيم... رياضة إيه ورحلة إيه يا ليلى؟؟؟ اللقاء بين البنات والأولاد في هذه السن الحرجة محرم... ووجودهم في المدارس المشتركة ليس له عذر ولكن، مادام قد حدث فلابد من مراعاة الحدود بينهم والالتزام بالقيود الشرعية الضابطة.. ولادكم دول أمانة من الله في رقبتكم والله»...

وأكملت الحاجة وكأنها في درس دين: «أما بقى بالنسبة للرياضة
فلا تجوز إذا كانت البنت بالغة أو تكاد تبلغ يا ليلى... وإذا تمت الرياضة أمام أي حد غير محارمها يا جماعة.... يعني زميلها المدرب أو المدرس، حتى لو كانت ملتزمة وتلبس الحجاب الشرعي أو النقاب؛ لأن حركاتها أثناء الرياضة واهتزاز جسدها وخاصة أجزاء معينة منه.. كل ده طبعًا من شأنه أنه يثير الغرائز»..

وفجأة ودون أي مقدمات، فجرت قنبلة بسؤالها لليلى، وكأنها واثقة من الإجابة: «هي هانيا بنتك متطاهرة يا ليلى؟».

ليلى دون تردد: «لأ.. طبعًا»...

الحاجة بمنتهى الضيق: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... الختان من ضمن الأحكام الشرعية، التي يُنفذها المسلم عن طواعية وخضوع ومحبةٍ لله وطلبًا للأجر والثواب من عنده، والله لم يأمر بشيء، إلا وله فيه حكمة وللعبد فيه مصلحة»..

ليلى مقاطعة: «يا حاجة ده ولا هتك العرض.... إزاي يبقى له فوائد؟!».

الحاجة، وهي تقاطع ليلى: «استغفري ربك يا ليلى... مكمل للفطرة التي فطر الله سبحانه وتعالى عباده عليها ولهذا كان من تمام الحنيفية ملة إبراهيم، وأصل مشروعية الختان لتكميل الحنيفية فإن الله عز وجل لما عاهد إبراهيم وعده أن يكثر نسله، وأن يجعله للناس إمامًا، كانت علامة ذلك العهد أن يختنوا كل مولود منهم... فالختان علامة الدخول في ملة إبراهيم.. ولابد أن نضمن الصون والعفة لبناتنا جميعًا»..

فجأة، نادى حسين على رانيا بصوت هادئ، فقامت تتعكز، وكأنها لم تكن تجري من اليمين إلى اليسار، مثلما فعلت قبل وصول الحاجة..

تضايقت رانيا طبعًا لنداء حسين لها أمام الحاجة؛ خصوصًا وأن صوته كان قريبًا، وهذا معناه أن صوت الحاجة أيضًا كان قريبًا ومسموعًا، وهو ما تكرهه الحاجة جدًّا، وكثيرا ما تنبههم إليه حتى أنها ارتبكت وأنزلت نقابها، وكأن «حسين» أصبح معهم في المكان نفسه..

ذهبت رانيا إلى حسين، وهي في شدة الغضب، وهمست بعصبية: «في إيه يا حسين.. عايز إيه؟».

ردَّ حسين غاضبًا، ولكنه كان هامسًا هو الآخر: «لموا الدور وهدي الدنيا شوية بره يا رانيا... وخلصيني أنا عاوز أنزل»..

رانيا: «هو ده اللي إنتَ ندهتلي علشانه؟!!! إزاي تعلِّي صوتك كده، وتقرب مننا أوي يا حسين؟ أنت أحرجتني وكسفتني أدام الحاجة!!».

دخلت رانيا الصالون للحاجة وليلى، فسألتها الحاجة: «هو أنا صوتي كان واصل لجوزك يا رانيا؟!».

رانيا: «لأ.. والله يا حاجة خالص... هو أنا لسة جديدة؟ ده أنا تربية حضرتك... ده كان بيقول لي إنه عشر دقايق كده، وهينزل إن شاء الله»..

الحاجة، وهي تنظر إلى ليلى: «تربية إيه بقى.. هي عاد فيها تربية!!».

فجأة شعرت ليلى بالضيق وبأنها مخنوقة، فأرسلت إلى خالد رسالة لتقول له إنه يستطيع المرور عليها في أي وقت...

الحاجة: «شايفاكي مشغوله أوي بالموبايل يا ليلى... ومش زي عوايدك النهارده»..

ليلى: «أبدًا يا حاجة، بس أصل خالد هييجي يعدي عليّا في أي وقت.. علشان

كده قاعدة مترقبة حتى ماقلعتش طرحتي»..

الحاجة: «وهو إنتِ كمان كنتي عاوزة تقلعي طرحتك، وحسين في البيت؟!».

ليلى: «ما هو مش قاعد معانا يعني.. إحنا بعاد عنه.. يمكن أنا اللي غلطانة إني لما ببقى في مكان مافيهوش رجاله بقلع الطرحة»..

الحاجة بضحكة خبيثة: «وإنتِ بعد الألوان الجميلة دي بتبقوا عاوزين تقلعوا برضو؟ أنا كنت فاكرة إن المشكلة في الإسود بس»..

ليلى: «وهي دي ألوان... ما هي ألوان هادية خالص أهي، وغالب عليها الإسود برضو يا حاجة»..

الحاجة بهدوء: «اقفي كده يا ليلى... لفي... الزينة اللي في الجاكيتة من ورا والجونلة اللي كلها ألوان والقميص الأبيض الناصع الملفت.... حتى الطرحة بالأصفر... عاوزة وزر إيه أكثر من كده!!».

ليلى باستنكار: «وزر؟!».

الحاجة بثقة: «طبعًا...وهو إيه الوزر غير لفت الأنظار؟ عايزة لفت نظر إيه أكتر من كده؟ يا بنتي أنا مش بستفيد حاجة من إنكم تلبسوا عبايات، غير إني أكون وصّلت لكم كلام الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام... أعلمكم الالتزام اللي على حق... الألوان المسموح بيها في الإسلام هي الأسود والكحلي والرمادي والبني»...

ثم حولت الحاجة وجهها عن ليلى وسألت رانيا: «طمنيني عليكي... الدكتور قال لك إيه؟ وهتفكي الجبس إمتى يا حبيبتي يا إن شاء الله؟».

رانيا: «الحمد لله يا حاجة على كل حال... هفكه بعد أسبوعين إن شاء الله»..

وسمعوا إقامة آذان العصر، فقامت ليلى وقالت: «إحنا مش هنصلي العصر؟ أنا لازم أصلي قبل ما أنزل... أحسن أنا كده مش هلحقه»...

الحاجة: «ياللا نصلي يا حبيبتي واستغفري ربنا كثيرا»..

وفعلًا قاموا التلاتة يصلين العصر، وطلبت رانيا من ليلى أن تغير لها اتجاه كرسي من كراسي الصالون؛ علشان تصلي وهي قاعدة، وما أن جابت ليلى الكرسي، حتى فوجئت بالحاجة بتقول لرانيا: إيه يا رانيا؟؟؟ هو إنتِ مجبسة إيدك ولا رجلك؟ وحتى لو مجبسة رجلك .. تجلدي وصلي وإنتِ واقفة، ويجوز إنك تسندي في السجود... كرسي إيه اللي هتتسندوا عليه وإنتم عيال كده؟!!!».

عندما فرغن من الصلاة والتسبيح، وقالت الحاجة لليلى: «إنتِ في الوقوف بعد الركوع بتقولي إيه؟».

ليلى: «بقول سمع الله لمن حمد ربنا ولك الحمد والشكر حمدًا كثيرًا مباركًا».

الحاجة: «لم يرد عن النبي ﷺ أنه ذكر الشكر يا ليلى، وإنما وجب علينا أن

نقول سمع الله لمن حمد ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا مباركا طيبا ملء السموات والأرض».

ليلى: «طيب ماهم تقريبًا زي بعض أهم»..

الحاجة: «مفيش في الدين تقريبًا يا ليلى... النبي عليه الصلاة والسلام لم يذكر الشكر»...

ليلى: «هي مش الأدعية دي اجتهادات يا حاجة، ولّا لازم ندعي بالحرف؟!».

الحاجة: «وجب علينا اتباع سنته واتخاذه قدوة ﷺ، فنفعل كما فعل وننفذ ما أمر به»..

ليلى: «إن شاء الله.. الله المستعان.. أنا هَمْشي بقى لأن خالد وصل خلاص... السواق هيوصل حضرتك ومعاه إيمي وقت ما حضرتك تحبِّي تروَّحي إن شاء الله»..

الحاجة: «جزاكي الله خيرًا يا حبيبتي»...

الحاجة: «البنت الفليبينية بتاعتك يا ليلى ليه مش محجباها وصاياها كده؟».

ليلى: «لأ.. دي مسيحية يا حاجة»..

الحاجة: «لا حول ولا قوة إلا بالله... إزاي ترضى كده على نفسك وبيتك وولادك... طبعًا شايفاكي وإنت بتتحركي وبتلبسي هدوم البيت اللي ممكن تكون عريانة... شايفة عورتك وعورة بنتك يعني.. أنا اللي عندي خليتها أسلمت، وده كان شرطي علشان تستني معانا».

ليلى: «طب ما هو حتى لو عملت كده، ممكن تبقى بتضحك عليّا مادام فيه شرط وماتبقاش عارفة الإسلام من الأصل!!».

الحاجة: «وماله.. المهم إنها ماتبقاش كتابية، وأنا عارفة وسايباها في بيتي»..

ليلى: «يس دي معانا بقالها سنين يا حاجة.. والله أخلاقها أحسن من أخلاق كتير مسلمين»..

الحاجة: «إيه الكلام الفارغ ده؟ لا يجوز أصلًا إنها تبقى أحسن من المسلمين... دايما هتكون مخبية جواها شر لأنهم عارفين إن إحنا ديننا ختام الأديان، ولا يعترفون بينا ولا بيحبونا أصلًا».

صمتت ليلى ونظرت في الأرض، وهي لا تعلم ماذا تقول، وبِمَ ترد فهي لا تستطيع الاستغناء عن إيمي لأي سبب.. والأهم أنها لن تستطيع أن تخبر والدتها و«خالد» بما سمعته من الحاجة، وقد سمعته من قبل وفكرت، ولم تجد سبيلًا لأن تطردها أو تستغني عن خدماتها»...

شعرت الحاجة بما ألم بليلى، فقالت لها: «ومش عاوزاكي تزعلي من كلامي يا ليلى... ده لمصلحتك يا حبيبتي»..

رانيا: «وهو حد يقدر يزعل من حضرتك يا حاجة؟؟؟ ده حضرتك صاحبة أفضال

علينا كلنا... ربا يجعله في ميزان حسناتك إن شاء الله».

أنزلت الحاجة نقابها على وجهها، فسألتها ليلى: «حضرتك هتنزلي معايا؟».

الحاجة: «لأ، هستنى ربع ساعة كده إن شاء الله»..

رانيا: «حسين ممكن يعدي بقى دلوقتي يا حاجة، بس أصلوا نازل يسلم على خالد؟».

الحاجة: «طبعًا.. طبعًا...».

ليلى: «حسين هينزل معايا يا رانيا لخالد؟!».

رانيا: «مش عارفة.. هدخل أشوفه».

الحاجة بعتاب وصوت واطي: «انزلي إنتِ يا ليلى الأول... لا يجوز يا بنتي تركبوا مع بعض أسانسير واحد... دي خلوة... ورانيا عارفة، وعلشان كده ردت الرد ده.. وماتحرجيهاش وماتسأليش تاني!».

ليلى بمنتهى الكسوف: «والله ماكنت أعرف»..

الحاجة: «إزاي بقى... ده إحنا قلنا لو طفل صغير، ماتركبيش معاه.. يبقى هتركبي مع راجل غريب وجوز صاحبتك... الحرمانية والكراهة بتشتد مع المعارف».

شعرت ليلى أن دماغها بيلف، وخرج حسين من الغرفة، ووجهه في الأرض، وقال بصوت عالي: «السلام عليكم»..

وردت الحاجة: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته».

كانت ليلى متوجهة إلى الباب، وفجأة قالت موجهة كلامها إلى حسين: «انزل اسبق إنت يا حسين لخالد، وأنا هَحَصّلك».

حسين: «اشمعنى؟».

ليلى: «هدخل الحمام».

ونزل حسين ودخلت ليلى إلى الشقة مرة ثانية؛ كي تدخل الحمام فعلًا، فوجدت الحاجة بتضحك، وتقول لها: «ماكانش عندك عذر تاني يا ليلى غير الحمام... حياؤكم فين يا بنات؟؟؟».

وفجأة انفجرت ليلى بالبكاء، ودخلت الحمام وغسلت وجهها، ودموعها منهمرة على خديها دون انقطاع، لدرجة انها استغربت من كم البكاء والدموع، وكان كل همها أن تغسل وجهها بسرعه لتنزل لخالد دون أي أثر بكاء أو حتى مضايقة... ولم تعرف كيف، فخالد يعرفها من مجرد سماع نبرة صوتها... ولكنها جففت وجهها جيدًا، ووضعت النظارة الشمسية على وجهها، وخرجت من الحمام على باب الشقة مباشرة، وهي تقول: «السلام عليكم»... وقبل أن تفتح الباب، نادتها الحاجة، وقالت لها: «أنا مش عارفة إذا كان جت مناسبه قبل كده، ولا لأ إني أقول لك يا ليلى إن النضارات الشمس دي حرام بين؛ خصوصًا على جميلة

الوجه اللي زيك».

ليلى: «إزاي بقى يا حاجة، دي مخبية وشي كله، وكأنها نقاب؟!».

الحاجة بابتسامة ساخرة: «نقاب؟!!! النقاب بيغطي الوجه كله، ويا ريت لو معاه نضارة شمس للمنتقبة اللي مش عاملاه على أصوله ومبينة عينيها... لكن إنتِ مغطيه عنيكي ونص خدودك، وباين بقك اللي كأنك مبروزاه..ومش قصدي إنتِ بالذات يعني.. أنا قصدي اللي بيلبسوا النضارات السودا الكبيره دي.... دي فتنه والله!».

ليلى، وهي تلتفت ناحية الباب، وبدون أن تخلع النظارة: «حاضر».

وقفلت الباب وراءها ونزلت دور على السلم؛ خوفًا من أن تلحق بها رانيا أو الحاجة وأخدت المصعد، وشربت ماء من شنطتها لتساعدها على التوقف عن البكاء، ولكن أنفها كانت وصلت لمرحلة من الاحمرار يصعب تخبئتها!!! وارتدت نظارتها الشمسية، وأخرجت الموبايل، واتصلت بنهى قبل أن تخرج من باب العمارة..

وفعلًا كان خالد وحسين واقفين بجوار السيارة يتحدثان وتصنعت الاهتمام بالمكالمة التليفونية، فأشارت لحسين مجرد تحية سريعة بيدها، وهي تركب السيارة، وظلت تتحدث مع نهى في مواضيع شتى، حتى تطول مدة المكالمة بقدر المستطاع إلى أن تهدأ ويزول أي أثر للبكاء... ولكنها بمجرد ما أن أنهت المكالمة، حتى نظر خالد إليها وسألها: «مالك؟ ومتقوليليش مفيش حاجة... حصل إيه؟».

ليلى: «مش دعيت عليَّ قبل ما أنزل وقلتلي هتشوفي وتستاهلي اللي هيحصل لك؟! أديني شفت»..

كانت ليلى تتكلم وهي تفكر ماذا تقول دون أن تكذب.

وأكملت: «الحاجة كانت شديدة شوية علينا، ورانيا تعبانة، وهانيا بعتت لي رسالة بالرحلة الرياضية بتاعت سويسرا، وأنا مش ببقى مرتاحة لما الولاد يكونوا مسافرين.. والعزومة النهارده وماما.... مليون حاجة!!».

خالد: «وإيمي وعبده مستنيين برضو يوصلوا الحاجة بتاعتك؟».

وفجرت ليلى المفاجأة لما قالت له: «أصلًا مش حرام، أي حاجة بالنسبة لإيمي... هي أصلًا مش كتابية!!!».

اتفزع خالد وقال لها: «إنتِ بتتكلمي جد؟!!! لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... والله إنتِ هتُسألي عن اللي إنتِ بتقوليه ده... دي ست مربية ولادك معاكي وخدمتنا سنين طويلة بمنتهى الأدب والأخلاق والأمانة... ده سيدنا النبي قال للكافرين بالله تعالى وبكل الأديان ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ يعني ماقالهاش للمسيحيين.. إيه الدين اللي بتتعلموه ده؟!!!».

ليلى: «لكن النبي ماجابش كافر يخدمه في بيته، ويتفرج على عوراته هو وولاده»...

خالد: «لاااااا ده إنتِ بقيتي حالة ميئوس منها... وهي مش كافرة أصلًا... وإزاي بتقولي عليها مش كتابية؟... هو الإنجيل ده مش كتاب ربنا ولا إيه؟ مش النهارده الدكتور علي جاي عند باباكي ومامتك؟ أنا هَسْأله وهنخليه يقول لنا إيه هو رأي الدين في المشاكل دي»..

ليلى: «ماشي موافقة بس تتكلم في العموم، وماتقولوش إنني أنا صاحبة المشكلة.. وماتكلموش ولا تديله فكرة علشان ما يغيرش رأيه، ويبقى في صفك!».

خالد: «النصب ده مش عند الناس اللي بتعرف ربنا يا ليلى.... ده عند ناس تانية ومايصحش إنك تفكري فيّا بالطريقه دي، ولا تفكري كده أصلًا»..

وفجأة بدأت ليلى تخبط جانب رأسها في زجاج السيارة، وتصرخ وتقول: «كفاية بقى.. كفاية حرام عليكم كلكم... أنا مش قادرة خلاص خلاص»..

ركن خالد السيارة بسرعة وأخذها في حضنه، ولم ينطق بكلمة، ثم مال عليها وفرد لها الكرسي، وجعلها تمدد، وأكمل القيادة وأخذها إلى البيت..

ظلت ليلى تبكي بكاءً مريرًا، وهي في قرارة نفسها متأكدة من كل كلام خالد، وكأنها كانت تتمنى لو أن خالد يمنعها بالقوة من الذهاب إلى الجمعية..

ولم يكن خالد في هذا الوقت محتاجًا إلى معرفة أي شيء أو إلى لومها أوعتابها، فقد كان يرى ويشعر بما يحدث لها.. فالتزم الصمت تمامًا، وأكمل القيادة، وهي بجواره ممددة على كرسي السيارة، تبكي كما لم تبك من قبل.. ووجد نفسه يضع كفه على كتفها مترددًا من ردة فعلها، ولكنها لم تتحرك، بل هدأ بكاؤها إلى حد ما..

وصلا إلى المنزل وساعدها على أن تنزل من العربية ودخل بها، وهي في حالة من الإعياء والهبوط.. وتمالكت نفسها، عندما وجدت الأولاد وصلوا من المدرسة، والتفتت إلى خالد، وقالت له: «من فضلك مش عايزاهم يحسوا بأي حاجة».

خالد: «إنتِ تعبانة يا ليلى، ولو مش إحنا اللي ناخد بالنا منك.. يبقى مين بس؟».

ليلى: «من فضلك يا خالد ولا ماما ولا أي حد.. الحمد لله إن باقي اليوم فاضي وبكره لحد آخر النهار.. هريح جسمي، ومش هعمل أي حاجة في البيت.. هنام وهبقى زي الفل إن شاء الله»..

خالد: «حاضر يا ليلى... زي ما إنتِ عايزة.. ومن فضلك ماتدخليش المطبخ ولا تفتحي أي كتاب تقري فيه».

ليلى بابتسامة: «حاضر».

وفعلًا دخلت ليلى ووجدت مع هانيا إحدى زميلاتها في المدرسة وسلمت عليها، وذهبت إلى عمر الذي كان منهمكًا في مشاهدة فيلم في التليفزيون، ثم دخلت إلى غرفتها.. لحق بها خالد، وقال: «تحبي أساعدك في أي حاجة؟».

ليلى: «لا يا حبيبي.. ربنا يخليك.. أنا بس مش قادرة أتكلم دلوقتي».

خالد: «أنا مش عايزك تتكلمي أصلًا.. ارتاحي ولو عوزتيني، أنا هبقي في المكتب».

ليلى: «ماشي»..

ودخلت سوكيروا حاملة الشنطة من العربية والموبايل بداخلها يرن.

وأخرجت ليلى الموبايل من الشنطة، ووجدت رقم السيدة التي سألت الحاجة والأستاذة فضيلة عن زواج المسيار، ولم تأت إلى الجمعية بعد أن عرفت رأيهم، والتي هي أيضًا أم زميلتهم شيرين.. ولكنها لم ترد عليها... ثم وجدتها تتصل مرة أخرى ولم ترد أيضًا.. ورمت الموبايل على السرير، ودخلت إلى الحمام، وأرادت أن تأخذ حمامًا ساخنًا ولكنها خشيت أن تصيبها دوخة في الحمام، فغسلت وجهها ثم توضأت، ودخلت إلى حجرة الملابس لتغير ملابسها، وارتدت بيجاما لونها أبيض، وكأنها تؤهل نفسها للنوم، وبالفعل دخلت السرير، وأخذت الموبايل، ووجدت رسالة من شيرين، تطلب منها الاتصال بها للضرورة... رغم أن ليلى كانت في حالة مزاجية سيئة جدًّا، ولم تكن تريد أن تتكلم في أي شيء يخص الجمعية، إلا أنها أرغمت نفسها على الاتصال بها، عندما أرسلت لها الرسالة الثانية، ترجوها فيها أن تتصل بها في أي وقت...

ليلى: «السلام عليكم يا شيرين»..

شيرين: «وعليكم السلام يا ليلى... أنا آسفة والله، بس الموضوع مهم جدًّا ومحتاجة رأيك إنتِ بالذات»...

ليلى: «خير يا حبيبتي.. أقدر أعمل لك حاجة؟».

شيرين: «إنتِ تعبانة ولا إيه... صوتك تعبان ولا أنا صحيتك؟».

ليلى: «لا، أبدًا.. مرهقة بس شوية.. بس الحمد لله بخير... قولي يا حبيبتي خير؟».

شيرين: «أنا بس عايزة أستحلفك بالله إن اللي هقولهولك دلوقتي ده ما يطلعش برانا»...

ليلى: «طبعًا يا شيرين..».

شيرين: «فاكرة لما ماما قالت للحاجة سامية والأستاذة فضيلة على الشغل بتاع وائل جوزي، اللي في السعودية؟».

ليلى: «آه..».

شيرين: «يومها لو تفتكري، ماما قالت إن وائل عنده سويت في الأوتيل، اللي أدام الحرم، والنهارده ماما جاتلها مكالمة من الحاجة سامية تطلب منها السويت ده، علشان هتسافر السعودية هي وجوزها، علشان يعملوا عمرة وعايزين يقعدوا فيه»..

ليلى، وهي مندهشة من الطلب، ومن المكالمة: «طيب وأنا مطلوب مني إيه؟».

شيرين: «أنا في مشكلة كبيرة أوي.. وائل رافض لأنه المفروض بيبلغ الأوتيل قبل وصوله بعشرة أيام على الأقل، ما هو ماشتراش السويت يعني.. وبرضوا يا ليلى بيني وبينك، هو مش مستسيغ الحكاية أوي.. السويت غالي جدًّا وهم عاملين فيه سعر ليه هو؛ علشان بيروح بشكل دائم بسبب شغله، وخايف يقولوا عليه مأجّره لو كل يوم والتاني ناس غريبة تروح تقعد فيه!!».

ليلى: «حقه يا شيرين... وانتم قولوا كده للحاجة، وهي هتتفهم الموضوع».

شيرين: «ماهي دي المشكلة... إن الحاجة أصلًا قالت لماما الموضوع، وكأنه أمر واقع.. مش حتى كانت بتستأذنها، أو حتى بتسألها!!».

وأكملت: «ولمّا ماما قالت لها معرفش إذا كان هينفع ولا لأ، وإنها برضو هتسأل وائل، استغربت أوي من الرد وقالت لها: تسأليه يعني إيه؟ هو إحنا هنعمل فيه إيه يعني؟... والحاجة كانت متضايقة أوي لدرجة أنها أنهت المكالمة!!!».

ليلى باستغراب: «أنهت المكالمة إزاي يعني؟ قفلت السكة؟!».

شيرين: «تقريبًا.. قالت لماما.. على العموم شكرًا.. إحنا ألف مين يتمنى يخدمنا أنا والحاج عبد الله... اعتبري المكالمة انتهت!!!».

ليلى، وهي تحاول ألا يبدو عليها الاستياء: «طيب يا شيرين.. إنتِ عايزاني أعمل إيه دلوقتي؟».

شيرين: «عايزاكي تقولي للحاجة إنها ماتزعلش... غصب عننا والله!!!».

ليلى: «هو المكالمة دي حصلت إمتى؟».

شيرين: «إمبارح على المغرب كده»..

ليلى: «مافتكرش إن الحاجة هتبقى مبسوطة لو عرفت إنك إنتِ أو طنط ميمي اتكلمتم في الموضوع؛ خصوصًا وإنها كانت معايا النهارده وماقالتش أي حاجة، ولا إنها حتى هتسافر عمرة.. اسألي طنط ميمي برضو وشوفي رأيها إيه وأنا مش هعمل حاجة إلا لما إنتِ تقوليلي».

شيرين: «كتر خيرك يا ليلى... جزاكي الله كل الخير»..

ليلى: «جزانا وإياكي يا حبيبتي»..

وظلت ليلى تفكر فيما حدث وتستغرب من تصرف الحاجة، وطلبها المباشر وتذكرت أيضًا الواقعة الخاصة بأوتيل شهيرة أيام حجز الدكتورة فضيلة، وحجز

السيارة، الذي تحملته هي دون أن تخبر «خالد»، وتجديد حمامات الجمعية، التي قامت بها هويدا صديقتهم زوجة مهندس الديكور المشهور، وأيضًا ترميم المدخل وتجديده.. حتى إنها تذكرت أن الحاجة كانت قد قررت أن تتفق مع السيدات، على أن يكون هناك معرض دائم في الجمعية لعرض كل شيء من الممكن بيعه، وأن يتم هذا البيع بأسعار أقل من العادي، وأن هذا التعرض بالفعل قائم في الجمعية، وقد حرَّك الفضول ليلى، فقررت تسأل عن التفاصيل.. وأمسكت بالموبايل واتصلت بإحدى سكرتيرات الجمعية..

ليلى: «السلام عليكم يا فاتن»..

فاتن: وعليكم السلام يا ليلى، إزيك؟!

ليلى: «الحمد لله.. قوليلى يا فاتن.. أنا بسأل لو حد عاوز يعرض حاجة في المعرض، اللي في الجمعية بيبقى النظام بتاعه إيه؟ وبينزل السعر على أي أساس وكده..؟».

فاتن: «أي حاجة بنعرضها وبيتم بيعها هنا، بناخد من تمنها 30%»..

ليلى مندهشة: «مش فاهمة.. يعني بتعرفي تمنها الأصلي وبتنزلي منه 30% للجمعية، ولا بتبيعيها بزيادة 30% بتوعك؟».

فاتن: «لأ مش كده... هي بتيجي بالسعر اللي عليها وإحنا بنسيب السعر ده، ووقت المحاسبة بناخد منه 30%، وده على أي حاجة مش بس اللبس والأكل»...

ليلى: «بس ده مش حرام كده؟».

فاتن: «الحاجة قالت لازم نساعد الناس يشتروا بأسعار معقولة، واللي بيبيعوا برضو تبقى لهم مساهمات في الجمعية!!!».

ليلى: «وفي إيه تاني؟».

فاتن: «الكورسات كمان... يعني كورسات السيرة وقصص الأنبياء بتاعت الأطفال وتعليم الطبخ وتزيين الحلويات والديكور، وكل ده بناخد من الاشتراك الشهري بتاعة 30%، ماعدا الحاجة علا معلمة القرآن»..

ليلى دون أن تشعر: «طب الحمد لله إن فيه حد بيعمل حاجة لله».

فاتن ضاحكة: «لله إيه يا ليلى... الحاجة عُلا علشان العدد مهول ماشاء الله زي ما إنتِ شايفة، وعلشان معندهاش مكان بناخد منها 50 %، بس أنا متخيلة إن فيه صدام كبير بينهم هيحصل أول الشهر».

ليلى: «ليه بقى؟».

فاتن: «أصل الحاجة سامية قررت تاخد من الحاجة عُلا 60% من أول الشهر الجاي، وماتعرفش لسه إن الحاجة عُلا اجرت مكان كبير أوي، وقالت للناس بتوعها إن الفلوس دي هي والمقر الجيد بتاعها أولى من إنها تبقى بتدرس في

مكان تاني!».

ليلى: «لا حول ولا قوة إلا بالله.. حتى القرآن بالتباري وبالفلوس».

فاتن: «الدنيا كلها كده يا ليلى، أمال إنتِ فاكرة إيه؟».

ليلى: «بس الحاجة عُلا مش محتاجة... دي ماشاء الله هي وجوزها مقتدرين جدًّا... ماجاتش على القرآن وتعليمه وتاخد فلوس يعني..».

فاتن: «ماهو مجهودها برضو، ولما لقيت إن الجمعية هتاخد الفلوس.. قالت يبقى أنا أولى»..

ليلى: «مجهودها لو لله يبقى ربنا هيبارك فيه أكتر وأكتر.. وبعدين بقى معلش هي الفلوس اللي داخله الجمعية دي رايحة في جيوبنا، ماهي بتروح للحالات المعدمة والمرضى اللي لا ليهم علاج ولا ليهم مأوى»..

فاتن: «الحالات والعلاج والكفالات والذي منه يا ليلى بيتصرف عليه من فلوس التبرعات.. فلوس الكورسات والقرآن والمبيعات دي كلها بتروح على المرتبات والذي منه»...

ليلى: «طيب يا فاتن.. ربنا يكرمك.. معلش بقى أنا طولت عليكي»..

فاتن: «لا يا حبيبتي ماتقوليش كده.. جزاكي الله خيرًا».

ليلى: «جزاكي الله أكثر».

وسمعت أذان المغرب فارتدت الإسدال وبكت كثيرًا، وهي تصلي حتى انتابها الشك في أن صلاتها باطلة، ولم تكن تدري في أي ركعة كانت الأولى أم الثانية أم الثالثة.. وهل قرأت التحيات في الركعة الثانية أم لا حتى إنها سجدت سجدة السهو، ثم أعادت الصلاة مرة أخرى... وبعد أن انتهت من التسبيح، لمت سجادة الصلاة وخلعت الإسدال، وجلست قليلًا على كرسي في جانب الغرفة.. ثم رن تليفونها المحمول مرة أخرى، وكانت المتصله طنط ميمي والدة شيرين!!!

ليلى: «السلام عليكم يا طنط ميمي، إزاي حضرتك..».

طنط ميمي ثائرة: «لا سلام ولا كلام يا ليلى، ومن فضلك اعتبري شيرين ماتصلتش بيكي، ولا قالت لك أي حاجة.. أنا مش عايزة مشاكل أكثر من كده..».

ليلى مندهشة من الطريقة: «خير يا طنط، حصل إيه؟».

طنط ميمي: «خير؟ وهييجي منين الخير.. بصراحة الجمعية دي مايجيش من وراها خير أبدًا».

ليلى: «هّدي نفسك يا طنط... أنا أصلًا ماتكلمتش مع حد، ووعدت شيرين إني مش هتكلم مع الحاجة ولا أحكيلها حاجة أبدًا عن الموضوع ده ولا..».

طنط ميمي مقاطعة: «لاااا اتكلمي لو عايزة... أنا مايهمنيش حد أصلًا ولا الحاجة بتاعتكم ولا الجمعية ولا أي حد فيكم... إنتم كلكم على بعضكم

شوية أفاقين ونصّابين، وإذا كنت بكلمك إنتِ، ده علشان أنا عارفة إنك من بيت طيب ومن أصل طيب.. ولولا كده ولا كنت عبرتك إنتِ كمان»...

ليلى باكية: «أنا آسفة يا طنط والله... أنا بس مش عارفة إيه اللي وصل الأمور لكده.. اللي حكتهولي شيرين بسيط، وإن شاء الله مفيش فيه حاجة»..

طنط ميمي: «إنتِ بتعيطي؟ لا حول ولا قوة إلا بالله... والله أنا مش عارفة إيه اللي بلاكي وبلانا بالجمعية دي واللي فيها... أنا اللي آسفة يا ماما... والله ماكانش قصدي، بس أصل أنا خلاص فاض بيّا من الحاجة بتاعتكم دي»..

ليلى: «معلش يا طنط، أنا آسفة.. أنا بس بجد محتاجة أعرف إيه اللي حصل إذا سمحتي»..

ميمي: «الموضوع يا ليلى كان من قبل قصة السويت والسفر.. إنتِ عارفة يا حبيبتي إحنا عندنا زنقة كاش بقالنا فترة، وأنا كنت متعودة أتبرع للجمعية بمبلغ كويس كل شهر... وطبعًا ده من دافع إني بعمل حاجة لله... صحيح اتطلبت مني عيني عينك، واتطلب مني إني أزودها وزودتها.. لكن ماتبقاش أتاوة»...

ليلى مقاطعة في وسط دموعها: «طبعًا يا طنط... بس مين اللي طلبها، ومين اللي طلب يزودها؟».

طنط ميمي: «استني يا ليلى ماتقاطعينيش.... الحاجة بتاعتكم هي اللي طلبتها في صورة مساهمة في التجديدات والمرتبات والعمليات الجراحية للغلابة، وغيره.. أنا بمنتهى سلامة النية وحسن الظن وافقت... وماتفتكريش إني بكدبها أو بشكِّك في نيتها لا سمح الله.. المهم، لما جت زنقة الكاش بتاعتنا، بطلت أدفع كل شهر وبقيت مثلا كل 3 أو 4 شهور أدفع مبلغ.. فبدأت ستات تانية من الجمعية يكلموني دون وجه حق، ويسألوني فين الفلوس؟!!! هي إيه اللي فين؟ أنا بنتي طالبة علم شرعي وبتدفع الاشتراك الشهري، وأنا باجي أحضر ساعات وبفلوسي... بتبرع وبساهم أو حتى مادفعش ولا مليم.. أنا حُرة.. هو أمر جزم كل شهر، آلافات لازم تتدفع؟ المهم.. كلمتها وقتها، وقالت لي إنهم بيرتبوا حساباتهم على الفلوس اللي بتدخل لهم وخصوصًا لو ثوابت.. وصدقتها وقلتلها إني للأسف مش هقدر أثبت ولا أدفع أي فلوس تانية الفترة اللي جاية واتقمصت، وقالت لي إزاي وليه وكلام كده مالوش أي معنًى...

توقفت طنط ميمي لتسترد أنفاسها من انفعالها، ثم أكملت: «وبعدين بقت ماتدينيش وش ولا تقول لي على مواعيد الدروس اللي في البيوت، وبرضو عملت نفسي مش واخدة بالي... لما عرفت من شيرين إنها كلمتك، كلمت الحاجة علشان أنهي الموضوع خالص، وأقول لها إن موضوع السويت ده مش هينفع، لقيت بنتها ردت عليّا وقالت لي إن أمها مش موجودة، وإن بكره إن شاء الله أقدر أتكلم في الجمعية!!! ففهمت طبعًا إن مكالمتي مش مترحب بيها.. بس

ماحبيتش إني استعجل، وقلت مش مشكلة خلينا لبكره، على اعتبار إن الحاجة هتبات بره... المهم بعد حوالي ربع ساعة لقيت سهير السيد المعلمة اللي عندكم دي بتكلمني، وبتقول لي إن الحاجة طلبت منها إنها تكلمني وتقول لي إن موضوع السويت منتهي، وإن الجمعية كمان لازم ناخد منها أجازة شوية أنا وشيرين إلى أن يجد جديد ويكلمونا!!!!!!!!».

ليلى مندهشة: «يعني إيه الكلام ده يا طنط؟!!!».

طنط ميمي: «زي ما بقول لك كده... وهي طبعًا خلت الست هي اللي ردت عليّا بدل ما تكلمني وتواجهني هي بنفسها»...

ليلى باستغراب: «وهي ليه هتعمل كده يا طنط.. وحضرتك فعلًا مش هتروحي الجمعية تاني؟».

طنط ميمي: «طبعًا مش هَرَوح ولا أنا ولا شيرين... في ستين داهية... دول ناس بيقولوا كلام وبيعملوا عكسه.. إنتِ عارفة إن الحاجة بتاعت قال الله وقال الرسول دي كانت هتتسبب لشيرين في مشكلة مع وائل جوزها، لما قالت لها الأفراح حرام والاختلاط والمزيكا وكل دي أفعال شيطانية.. وقوّتها عليه وخلتها ترفض تروح فرح أخته.. هي هي الحاجة اللي يوم فرح بنتها الكبيرة كانت لابسة أبيض في أبيض، وحطّه ماكياج هي وبناتها؟ وكانوا طالعين في مجلة من المجلات كمان... والفرح ماكانش إسلامي ولا حاجة وكان مختلط.. مش هي وبس.. كل المعلمات اللي عندكم بيحرموا عليكم اللي مش بيقدروا يحرّموه على نفسهم... ده غير اللت والعجن والقرف وتنقيل الكلام... إنتِ شكلك ماتعرفيهومش كويس... أنا بقى اللي بقول الحمد لله الذي عافانا»..

ليلى بذهول: «آه والله.. بس برضو أنا مش عايزة حضرتك تبقي متضايقة»..

ميمي: «بصي يا ليلى.. أنا عملت كتير أوي للناس دي وبطيب خاطر، حتى لما رحت معاهم لراندة بتاعت العبايات يوم ما كانت عاملة الأوبن داي ونقوا واختاروا وشالوا مادفعوش حاجة خالص.. ولما كلِّمتني بخصوص الفلوس ولقيت الحاجة مش في نيتها الدفع ومش عايزة أظلمها.. أنا ماسألتهاش صراحة.. بس رحت دفعتهم أنا، وأنتي عارفة راندة وأرقام العبايات بتاعتها.. ياللا أنا هَقْفل يا ليلى علشان بجد ضغطي على عليَّا...
لا حول ولا قوة إلا بالله»...

وانتهت المكالمة وقامت ليلى من على الكرسي وفجأة، ودون أن تشعر أغلقت ليلى باب الغرفة ودخلت سريرها وأطفأت نور الأباجورة بجوارها، ووضعت رأسها على المخدة، ولأول مرة في حياتها تدخل تحت الغطاء برأسها وكأنها لا تريد أن يراها أحد، ولا حتى أن ترى نفسها.. وظلت تفكر وتحسب في رأسها دخل الجمعية من القرآن والكورسات والمبيعات كلها من ملابس وعبايات، وحتى المأكولات، وتحسب العمالة الموجودة في الجمعية والتي تعتمد من الأصل

عليها هي وزميلاتها، وهن لا يتقاضين أي مرتب طبعًا، وعدد من تتقاضى منهن لا يتجاوز السبع موظفات، لو قسم عليهن لأصبحت مرتباتهن مهولة وتفوق مرتبات المديرين في أكبر الشركات!!!

وتذكرت ليلى أيضًا أول الدروس التي حضرتها، عندما خرجت ترد على مكالمة خالد، وكانت هناك سيدة تقف تستمع إلى كل الحوار، بل وعلقت عليه، وكأنها كانت تتجسس.. وكيف اكتشفت فيما بعد أن هذه السيدة إحدى المقربات من الحاجة والجمعية.. وكيف أن رانيا كانت دائمًا قبل كل درس تطلب منها ألا تقول عن الدرس للجميع، وأن هناك مقربات ومفضّلات للتواجد في بعض الدروس، وهناك البعض لدروس أخرى!!! حتى الرسائل التي كانت تبلغ بها الدروس لم تكن للجميع حتى يستفيد الكل، وإنما كانت للبعض المقربين المضمون ولاءه.. وكان العلم والمنفعة محصورين على ناس وناس!! وكيف كانوا يخبئون نشاطات الجمعية المستقبلية ولا يعلنونها إلا لمن يتأكدون بمساهمته المالية.. وكيف كانت سميرة وغيرها يستمتعون بنقل الأحاديث والقيل والقال، ومن تطلقت ومن تزوجت، والحاجة مستمعة ومبتسمة من بعيد لبعيد، وكأنهم يستمعون إلى أحداث فيلم، وليس كأنه رمي للمحصنات!!! ودار بذهنها يوم أن أمرتها الحاجة سامية بأن تتصل بخالد، وأن تطلب منه أن يوظف عنده زوج إحدى الفنانات المعتزلات...

الحاجة سامية: «ليلى، إنتِ عمرك قابلتي حسناء؟».

ليلى: «حسناء مين، الممثلة؟».

الحاجة بفخر: «ماشاء الله عليها دلوقتي يا حبيبتي... اللهم بارك.. تابت إلى الله ومنَّ عليها بنعمة الإسلام»..

ليلى: «لا والله يا حاجة... بنشوف أفلامها بس.. لكن شخصيًّا معرفهاش».

الحاجة: «واوعي تشوفي ليها أو تسيبي أي حد يشوف لها أي فيلم تاني يا ليلى... وإلّا يبقى عليكي إنتِ الوزر كله»..

ليلى بهدوء: «إن شاء الله، مع إنها كانت أفلامها محترمة، ومافيهاش حاجة يعني»..

قاطعتها الحاجة بمنتهى الهدوء، وقالت لها: «اوعي تتفتني وتقولي كده.. الاختلاط والظهور أمام العامة حتى بملبسكم ده اللي بتسموه اللبس الشرعي غير جائز، فمابالك بدونه؟!!».

وفي هذا الوقت، كانت ليلى بتستمع إلى مثل هذه الأقوال، وهي مشدوهة تمامًا، ومصدقة لكل ما يقال لها..

الحاجة مستطردة: «المهم يا ليلى أنا عايزة منك خدمة بسيطة لحسناء»..

ليلى: «إيه يا حاجة خير؟!».

الحاجة: «خلّلي جوزك يجيب لجوزها شغل عنده في الشركة.. أنا سمعت إنه ماشاء الله ربنا فاتح عليه، ومبسوط، وعبد الرحمن جوز حسناء يشرف.. هو أمريكي.. يعني بيتكلم إنجليزي كويس أوي أحسن من العربي، ودارس (sales & marketing) تسويق وبيع، يعني مش تخصص صعب ولا هيغلب فيه.. والأهم إن أنا عارفة إن جوزك بيحبك ومش هيرفض لك طلب.

ليلى: «طبعًا يا حاجة حاضر... خليها تبعت لنا الـ CV، وأنا آخدها، ولما أروح أتكلم مع خالد على طول إن شاء الله»..

الحاجة بصرامة وعشم: «هو إحنا لسه هنستني لما تروَّحي... خدي له الميعاد دلوقتي.. البنت مش ناقصة بهدلة في الغربة بسبب التزامها ونقابها وهو يبقى ياخد CV وهو رايح يقابله... كلنا عارفين إن دي حاجات شكلية.. ياللا ياللا كلميه دلوقتي»..

و بالفعل، أمسكت ليلى بالموبايل واتصلت بخالد، الذي وافق على الفور، وحدد له ميعادًا ليتقابل معه في اليوم التالي، وأن تكون معه الـ CV، مش مهم يبعتها!

وتذكرت أيضًا عندما اتصل بها خالد من المكتب، وهي في الجمعية واضعة الموبايل كعادتها أمام عينيها، وهو على الوضع الصامت؛ حتى ترى نوره وترد عليه في مكالمات الطوارئ.. وقامت تجري إلى الحمام حتى ترد على خالد، الذي اتصل بها مرتين، وبمجرد أن قالت ألو، قال: «إنتِ شفتي الأخ عبد الرحمن ده قبل كده؟».

ليلى بارتياب: «عبد الرحمن مين؟».

خالد: «جوز حسناء»..

ليلى: «لا، ما شفتوش.. بس عارفة إنه أمريكاني، وخريج جا....».

قاطعها خالد: «وبالشبشب..».

ليلى مستنكره: «إيه؟».

خالد: «جاي الإنترڤيو بالشبشب... أبو صباع علشان مخك مايروحش بعيد، وتنسي إننا في عز البرد وتبرريله إنه لابس صندل من الجلادياتورز الموضة».

ليلى: «أنا مش فاهمة حاجة...».

خالد: «وكان ممكن أديله عذر وأقول اضطر مثلًا، لأنه كان في الجامع وجزمته اتسرقت، وماكانش عايز يتأخر عن ميعاد الشغل والالتزام ويضيع الفرصة، لكن خدي عندك بقي.. البيه جاي متأخر ربع ساعة ولابس جلابية بيضة على الركبة وتحتها بنطلون أبيض متشمر وطاقية وجاكيت جلد وشبشب بصباع... ده طبعًا غير دقنه اللي واصله لوسطه... ومش حاسس إنه متأخر، أو إن لبسه مش ملائم.. تفتكري ده أعمل فيه إيه؟!!!».

و قبل أن ترد ليلى، أكمل خالد: «وبعدين البيه لما دخلت علينا لميا «مديرة

المكتب»، وسألته عن المؤهل وعن الـ CV بتاعه وغيره، بقى بيبص لي أنا وهو بيرد عليها لدرجة إنها افتكرت إنه بيتجاهلها»..

ليلى مقاطعة: «ما هو أكيد بيغض البصر يا خالد؟!».

خالد: «بصر إيه اللي بيغضه عن لميا؟ على اعتبار إنها فتّاكة مثلا.. وحتى ولو كانت البت اللي ماحصلتش.. هو مش جاي يبصبص.. ده إداني النهارده ليستة بالشغل المرفوض بالنسبة له زي sales علشان فيه عمولات commissions ، وطبعًا أنا مش فاهم حرمانية العمولة للبياع؟!!! عمري ما سمعتها.. طول عمر البيّاع بيبقى مرتبه أبسط من غيره؛ علشان بياخد نسبة من مبيعاته.. وبالنسبة للتسويق مش بيشتغل مع ستات... تحبي نفتح له شركة لوحده ولا إيه؟».

ليلى، وهي مرتبكة لأنها شعرت أنها أطالت الوقوف في الحمام: «خلاص يا خالد قل له...».

قاطعها مرة أخرى، وقال: «أقول له؟ أقول له إيه؟؟ هو مشي خلاص الحمد لله وزمانه دلوقتي بيقول لمراته تبلغ الحاجة.. إننا شركة كفرة وزناديق... ياللا باي..».

ليلى: «خلاص يا خالد باي..».

وكما أغلقت ليلى السماعة، كانت تود ولو أنها كانت تستطيع إغلاق مخها وأذنيها عن الحاجة ولومها وعتابها لها واتهامها لخالد بالتقصير أمام الجميع؛ خصوصًا بعد عودة عبد الرحمن، والذي وصف خالد وشركته بالشركة الانفتاحية الرأسمالية..

بالطبع أكمل الوصف كما قال لها خالد.. حتى الحاجة نفسها كانت ترمقها بالنظرات، وهي تتحدث في التليفون لحسناء وزوجها.. ورانيا وسميرة وكل واحدة منهن وهي تحكي لها الموضوع من وجهة نظر الحاجة، ثم تعود وتحكيه أمام آخرين، وعليه قليل من الكلام الزيادة لزوم لهلبة الحديث، وتذكرت المشكلة التي حدثت مع خالد، وكيف اتهمته بأنه لا يهمه غير المظهر، وإن الفلوس التي يتعب ويشقى بها هي فلوس حرام!!!!! فتحت عينيها تحت الغطاء وهي لا تتخيل كيف فعلت كل هذا بخالد؟ وكيف تحملها وصبر عليها؟!!

وأمها.. كيف تحملت نهرها المستمر لها على حرمانية قراءة القرآن بلا صوت ولا همهمة، وأنها لن تأخذ أي أجر عن ذلك، وعن ختمة القرآن وعدم جوازها بل وتحريمها... وحماتها وكيف قطعت صلتها بيها، وهي الصديقة الحبيبة المقربة.. وسخريتها الدائمة من تفكير أمها وحماتها، وكيف كانت تنظر إلى أبويها وأبوي خالد، عندما يعارضونها نظرة خرف بينها وبين نفسها!!

وكان مؤلمًا لها أن تتذكر كيف ضغطت العائلة كلها؛ خصوصًا أمها وخالد، عندما قررت «تجربة» حفظ القرآن في 28 يومًا، والتي لم يطلقوا عليها أيضًا كلمة مسابقة، وكأنه شيء عادي، بل ووضعت الحاجة اسمها وكأنها واثقة كل الثقة

من أنها سوف تتم الحفظ في هذه المدة!!! وكيف قضت أيامًا وهي تغلق على نفسها باب الحجرة حتى أغمي عليها، ونزفت من أنفها دمًا غزيرًا، وتم نقلها إلى المستشفى.. وكيف أن الحاجة ورانيا وسميرة عندما زاروها هناك، لم تتفوه أي منهم بكلمة «سلامتك»، وإنما كان الكلام والمواساة كلها هي «قدر الله وماشاء فعل» «الزمي الاستغفار» «لاحول ولا قوة إلا بالله»، بل وإنهم جميعًا، وهم يسلمون عليها شددوا عليها بضرورة الاستمرار في الاستغفار، وكأنها أذنبت ذنبًا لا تعرفه.. وعندما جاء دور سميرة لتسلم عليها، وهم في طريقهم للخارج، مالت عليها وحضنتها بشدة وقالت لها بهمس، وهي تربت على كتفها: «الزمي الاستغفار يا ليلى... معلش يا حبيبتي.. لسه أنا والحاجة كنا بنتكلم في أسباب عدم قدرتك على الحفظ دي.. دي بتبقى بذنوبنا يا حبيبتي والله.. معلش!!!».

وظلت، وهي تبكي، تتذكر كيف تركوها وهي تبكي وشعور الذنب يقتلها لأنها مذنبة ولم تستطع حفظ القرآن في 28 يومًا!!!

الفصل السادس عشر

بَصِيص النُّور

ظلت ليلى في آلاف التساؤلات مع نفسها، حتى أنها لم تسمع خالد، وهو ينادي عليها بصوت منخفض.. وعندما قلق عليها خالد، ذهب يتفقدها بمنتهى الهدوء ويرفع الغطاء عن رأسها؛ ليجدها غارقة في دموعها وعينيها وأنفها في منتهى الالتهاب من الحرارة تحت الغطاء، ومن البكاء الهستيري، ولم تتحرك من مكانها، ولم تفزع بل بقيت تبكي بحرقة... وتوتر خالد وارتبك ولم يدر ماذا يفعل... وجلس بجوارها على طرف السرير؛ متخوفًا من أن تجري من تحت يده لزوم الحرام والنجاسة والوضوء وما شابه ذلك، ولكنها رفعت نفسها، ودخلت تحت ذراعه، وكأنها تختبئ من شيء
لا تعرفه.. قبل رأسها، وقال لها: «اهدي يا ليلى اهدي يا حبيبتي»..

وفجأة رن تليفونها مرة أخرى، ولكنها في هذه المرة لم تتحرك، ولم تحاول حتى رؤية المتصل، وإنما تركته إلى أن انتهى من الرن، ثم أخذته ونظرت فيه، ووجدت أن المتصلة هي رانيا... أغلقت التليفون وطلبت من خالد أن يضعه في الدرج، وأن يتركه حتى دون شحن.. وبقيت في حضن خالد لا يتحدثان، حتى أنه راح في النوم وانتظم تنفسه، وفجأة فاق وهي مازالت في حضنه، وكانت نائمة هادئة كالأطفال ونفسها يتأرجح من كثرة البكاء، وأراد وضعها بهدوء على وسادتها، ووجدها تقول له:

- «أنا صاحية يا خالد»..

خالد: «أنا آسف والله.. ماكنتش عايز أصحيكي، بس خفت رقبتك توجعك»..

ليلى: «لأ، أنا كويسة الحمد لله.. أنا بس عاوزة أقوم أتوضّى وأصلي العشا»...

خالد: «تيجي نصلي جماعة»..

فرحت ليلى، وقالت: «ياريت»..

وبالفعل صلوا جماعة، وبعد أن انتهوا من الصلاة التفت لها وقال: «حرمًا»..

نظرت له بتحفظ وقالت: «أقول لك حاجة وماتزعلش»..

رد خالد: «قولي يا ليلى»...

ليلى بأسي: «هم حاجتين، مش حاجة واحدة».

ضحك خالد، وقال: «ماشي، بس قوليهم مرة واحدة»..

ليلى: «أول حاجة إن تجويدك عايز يتظبط، علشان ماتاخدش وزر نفسك، ووزر كل اللي بيقفوا وراك.. والحاجة التانية إنهم زمان كانوا بيقولوا حرمًا علشان ماعندهمش حرم، فكانوا يتمنون الزيارة والحج.. دلوقتي المفروض تقول «تقبل الله» وأنا أرد عليك وأقول «منا ومنكم إن شاء الله»...».

قام خالد وقبلها في رأسها، وقال وهو بيضحك: «أنا مش هَرُد النهارده.. بس مادام مش بغلط في التشكيل يبقي لا حرج، أما «حرمًا» و«تقبل الله» فكلها أدعية حلوة إن شاء الله»..

لم تكن ليلى في مزاج يسمح بنقاش.. واقتنعت بما قاله، وقامت وتفقدت أولادها، الذين أخبرهم خالد بأنها تعبانة، وفي أشد الاحتياج إلى النوم فلم يهمسوا بهمسة..

اتصلت ليلى من الصباح بحماتها واتفقت معها على أن تلقاها عند والدتها، وعرضت عليها أن تجئ إلى منزلها أولًا، ثم يذهبوا معًا، ولكن والدة خالد أكدت عليها أن تذهب مبكرًا لبيت والدتها كما اتفقت... وكأن الجميع يخشي ألا تذهب ليلى، أو أن تتأخر على أمها، كما أصبحت عادتها مؤخرًا... ولكنها، ومن بعد أن أيقظت الأولاد للمدرسة، وجلست معهم، ثم تناولوا الإفطار، أخبرتهم بأن تليفونها المحمول لا يعمل، وأنه في حالة أي طوارئ عليهم أن يتصلوا بالبيت أو بسوكيروا، ثم قبلتهم بمنتهى الحب، وتركتهم يذهبون إلى المدرسة، وكانت تنوي أن توصلهم بنفسها ولكنها كانت في منتهى الإرهاق والتعب...

دخلت ليلى إلى المطبخ، وجهَّزت لخالد إفطارًا، ووضعته على ترابيزة السرير، وخرجت إلى الجنينة الصغيرة خلف المطبخ وقطفت له وردة، ووضعتها في قازة صغيرة مع الإفطار، وذهبت إليه وأيقظته وتناولا الإفطار معًا دون أن يذكرا الأمس، وما حدث به من بعيد أو من قريب..

ارتدى خالد ملابسه، وسألها: «عايزة حاجة مني قبل ما أمشي؟».

ليلى: «لأ، يا حبيبي سلامتك، بس لو احتاجتني في حاجة، اتصل على تليفون البيت أو سوكيروا.. أنا قافلة موبايلي، ومش هفتحه!!!».

قبَّلها خالد على رأسها، وذهب إلى مكتبه، وتركها، ومازال عقلها يفكر في كل ما مرَّ عليها في السنة السابقة..

دخلت ليلى وأخذت حمامًا دافئًا ونظرت لنفسها أمام المرآة، ووجدت عينيها منتفختين من آثار البكاء من الأمس، وقررت أن تعمل كمادات خيار، وشايًا دافئًا؛ ليقلل من انتفاخ جفنيها...

واتصلت بوالدتها وسألتها إن كانت تريدها أن تقوم بشيء مخصوص، ولكنها قالت لها: اللي عايزاه إنك تيجي زي ما إنتِ معوِّداني طول عمرك تشرفي على كل حاجة بنفسك...

وبالفعل ارتدت ليلى ملابسها وذهبت إلى أمها سيرًا على الأقدام، ليس فقط لقرب البيت، ولكنها كانت تريد أن تمشي وتتنفس وتشعر بالحياة في كل شيء يتحرك حولها.. وبالفعل قضت اليوم مع أمها ومع الطباخ والسفرجية، الذين تم استئجارهم من المطعم الكبير، الذي يأتي إليهم بالمأكولات في العزائم الكبيرة.. وكانت ليلى قد عملت بنفسها 3 أصناف سلطة وصنفين رئيسيين

مشهورة بهما وأيضًا صنفين عصير، ووقفت على تنظيف وتنظيم البوفيه ورص الأطباق وكل شيء.. وكانت سعيدة بسعادة أمها، التي لم تتركها لحظة وإنما كانت تتحرك وراءها وكأنها تخشى أن تتركها وإلا تجدها مرة أخرى.

وعندما حضر الأولاد من المدرسة، أرسلتهم بيتها، وغيّروا ملابسهم، وتناولوا طعام الغذاء، وانتظرت خالد حتى أتى هو الآخر، وأخذها وذهبا لتغيير ملابسهما والعودة لبيت أمها ليكونا في استقبال الناس؛ لأن والدها قام بدعوة بعض الأصدقاء الذين اعتادوا أن يحضروا معه المناسبات العائلية..

و حضر الجميع إلا الدكتور علي، ولكنه كان في الطريق... ومن ضمن الحاضرين عائلة إماراتية صغيرة، كانوا أصدقاء مقربين للعائلتين (عائلة ليلى وعائلة خالد)، ورحبت بهم ليلى بشدة، فقد كانت تحبهم وتثق بهم، وكثيرًا ما قضت معهم ومع أولادهم أحلى الأوقات في دبي.. حتى فرحها حضروه، وكانت أفراحهم ومازالت تذهب وتحضرها هي وأهلها وخالد وأهله؛ خصوصًا أنه لم يتم أي فرح أثناء السنة التي قضتها في الجمعية، وإلا كانت سوف تعتذر بأن الأفراح المختلطة حرام.. وفي وسط القاعدة، باركوا لليلى على الحجاب؛ لأنهم لم يروها به غير في الصور وعلى الفيسبوك..

وعندما سألتها "الصديقة الإماراتية" مدام جميلة عن سبب الحجاب، أخبرتها الأم بحكاية مرض عمر باختصار، فسألت طنط جميلة: «ومين الحاجة دي؟».

ردت والدة خالد: «الحاجة سامية شاهين..».

مدام جميلة: «آه عارفاها.. قابلتها من شهرين ثلاثة كده»..

اندهشت ليلى، وسألت: «إزاي من شهرين يا طنط؟؟ هو حضرتك كنتي في مصر؟».

جميلة: «لا يا حبيبتي.. هو أنا هآجي برضو وإنتوا ماتعرفوش.. قابلتها في البحرين»..

وأكملت جميلة موجهة كلامها إلى زوجها: «إمتى يا سلمان كنا في حفلة البحرين؟ من حوالي شهرين ونص كده.. ليه؟».

وفي ثوانٍ، استرجعت ليلى غياب الحاجة سامية، وعندما سألت عليها وجدت تليفونها يرن رنة غريبة، وكأنها خارج مصر، ولما سألت عليها في بيتها، أخبرها زوجها الحاج عبد الله أنها مشغولة يومين تلاتة!!

وشكَّت ليلى في شيء أخر، وسألت طنط جميلة: «احكي لي يا طنط.. كانت لوحدها من مصر، ولا كان معاها حد تاني».

جميلة: «هم بييجوا شلة ستات كده... والله كتير لذاذ.. وإنتِ عارفة قعدات النسوان كلام وهدايا، وفي الآخر درس».

قاطعها زوجها سلمان ضاحكًا: «لا والله، وفي الآخر هدايا برضو»..

خالد: «خلاص يبقى هدايا في الأول وفي الآخر».

سلمان: «آه والله ياخالد.. بس الحمد لله إحنا هدايانا بسيطة على قدنا.. غيرنا بيعطيهم أطقم الماس وساعات رولكس فول دياموند».

فرد والد ليلى، وكأنه يريد ليلى أن تسمع الإجابة: «إزاي بيسافروا من غير محارم؟».

جميلة: «محارم في البحرين ليه؟ أصلًا كثير منهم بيروح العمرة والحج بالصحبة الآمنة».

واندهشت ليلى من كلام جميلة جدًّا لدرجة لفتت انتباه الكل، فانتبهت جميلة ومسكت تليفونها، وقالت: «أهو.. تعالي يا ليلى الصور بتاعت البحرين أهيه.. وكمان صور عمرة السنة اللي فاتت أهيه!!».

وكان هذا شيئًا مبهرًا آخر لليلى، التي نظرت ووجدت فعلًا الكثير من المعلمات في الجمعية في الصورة «التي من المفروض أن تكون حرامًا» وقالت: «بس فين الحاجة؟».

جميلة ضاحكة: «ليها صورة واحدة معايا، وأمِّنتني ما أوريهاش لرجالة... أهيه»..

ورأت ليلى الصورة، وهي مندهشة جدًّا، وأكملت جميلة: «بدل المسئولية أنا همسحها أحسن.. أنا كنت ناوية أمسحها من يومها، ومش عارفة إزاي نسيت»..

أبو ليلى بسخرية: «لأ إنتِ مانسيتيش.. ده حظ لولي علشان تشوفها.. أصلها واحشاها قوي»..

وظل الحديث بين الموجودين يدور حول سفر الحاجة، ومعها مجموعة من السيدات.. وتدور الأسئلة هل كان معهم محارم أم لا؟ وظلت الإجابات حائرة تائهة.. وليلى تنفي في عقلها أن تكون الحاجة قد سافرت دون علمها إلى أن أكَّدت جميلة وقالت: «لا، صحيح الحاجة واتنين معاها فوق السن كانوا معانا في البحرين.. ولكن كان معاهم برضوا ستات صغيرين زيك إنتِ ونهى كده»..

وأصبح اهتمام ليلى وشغلها الشاغل الآن هو معرفة (الشلة) اللي كانت مع الحاجة، وفهمت ديدي والدة خالد التي كانت تجلس أمامها وتراها تفرك بيديها؛ فكتبت شيئًا على تليفونها المحمول، ونادت ليلى، التي تحركت على مضض؛ خشية أن يفوتها حرف ومالت على حماتها: «إيه يا ديدي؟».

وأظهرت لها شاشة التليفون مكتوب عليه: «عايزة تعرفي أسامي اللي كانوا معاها؟».

انبهرت ليلى بالفكرة، وقالت لها: «أيوه.. أيوه».

ردت ديدي بثقة، وهي مبتسمة: «اصبري... بس على شرط، ترجعي تحبيني زي الأول»..

مالت عليها ليلى وحضنتها بشدة وقبلتها، وعادت إلى مكانها في الكرسي المقابل لها، وهي تعلم جيدًا أن حماتها سوف تأتي إليها بالمعلومة... وحضر الدكتور علي، وسلم على الجميع بترحاب.. وكما سلم باليد على الرجال، سلم أيضًا باليد على كل من مدت له يدها كأم خالد وأم ليلى وكثير من الكبيرات في السن، ولكنه أيضًا سلّم على نهى، التي مدت يدها مصافحة له، وهي متعمدة أن تراها ليلى!!!

وكان الدكتور علي له مكان في وسط الموجودين، الذين لم يتعدوا العشرين فردًا تقريبًا.. ولكن البعض بدأ يلتف حوله بمنتهى الكياسة والذوق.. من يسأل ومن يستفسر عن شيء إلى أن قال خالد: «يا جماعة... ياللا نقعد كلنا، ونسأل الدكتور علي، وكلنا نسمع الإجابات... إن شاء الله الخير يعم»..

وفعلًا جلس د. علي، وعندما وجدهم كلهم ينظرون إليه صامتين لا يتكلمون، منتظرين منه يبدأ الحديث، ابتسم وقال: «أشكركم على الدعوة الكريمة، وإن كنت متحفظًا على كلمة الحاجة ليلى بأنه درس دين.. خلينا نعتبره مجلسًا نتكلم فيه عن أمور ديننا دون تكليف ولا تخوفات»...

والدة ليلى: «والله يا شيخنا عندنا أسئلة واستفسارات كتير أوي»..

د.علي ضاحكًا: «شيخنا؟!! ربنا يبارك في حضرتك، ده لقب كبير عليّا أوي.. بس اتفضلي قوليلى إيه الاستفسارات، وربنا يكرمنا بالقول السديد إن شاء الله»..

ونظرت والدة ليلى حولها، ووجدت الجميع ينظر إليها، فضحكت وقالت: «إيه ده كلكم بتبصولي كده ليه... أنا اللي أبدأ يعني؟ حاضر.. أنا عندي سؤال.. أنا عايزة أعرف إيه هو الزواج المسيار، وإيه هو الزواج العرفي، وحلال ولا حرام؟!».

ابتسم الدكتور علي واندهش الموجودين وعلّق خالد: «يا جامدة إنتِ يا حماتي يا عسل»..

الدكتور علي مبتسمًا: «لو استندنا إلى القرآن الكريم، سنجد أن الزواج هو آية من آياته.. إن الزواج يجمع بين كونه آية ومودة ورحمة.. من الممكن أن يوثق الزواج المسيار في الجهات الرسمية، ولكن هذا التوثيق لا يجعله حلالًا؛ لأن الزوجة تتنازل فيه عن حقوقها الشرعية التي كتبها الله تعالى لها مما يجعلها كسلعة.. لا ثمن لها.. ولا هم لها غير النكاح، وهذا مفهوم خاطئ بل ومقزز عن النساء.. أما الزواج العرفي، وإن كان يشمل حق الزوجة في النفقة والمبيت، ولكنه دون توثيق أو إشهار... فلماذا المهانة والإهانة والتقليل من شأن المرأة؟».

أم ليلى، وكأنها تريد أن تثبت لليلى خطأ ما سمعوه من الأستاذة فضيلة في الدرس: «عندي سؤال تاني بس معلش.. لو أنا اشتريت حاجة بالقسط، وبعدين جالي فلوس، ورحت دفعت المبلغ الباقي كله مرة واحدة، وخفَّضت فيه يبقى ربا؟!».

د.علي: «ده مبدأ اسمه «ضَعْ وتَعَجَّلْ».. وفيه رأيان.. أحدهما به شبهة بالربا؛

لعدم تساوي العوض، والرأي التاني يقول رفقة بالدائن والمدين.. وطالما أنه يرضي الطرفين... إن الحرية مطروحة في الأخذ بأي رأي من الاثنين.. وكما قلت قبل ذلك «ونظر إلى خالد وليلى بطرف عينه» اختلاف الأئمة رحمة»..

سألت نجوى والدة خالد: «أنا بتلخبط أوي في موضوع النية ده... يعني مثلًا هي النية في الصلاة ضرورة ولّا مش لازم؟!».

د. علي: «رغم الاختلاف في مسألة النِّيّة.. أن النِّيّة في الصّلاة أو قبل الإتيان بأي عمل محلّها القلب، ولا يُشترَط التلفّظ بها.. ولكن في حالة النطق بالنية فيجب أن تكون قبل التكبير»..

ليلى بتردد، ولكن برغبه حقيقية في المناقشة، قالت: «لكن «شيخ الإسلام» ابن تيمية قال إن الجهر بالنية لا يجب ولا يُستحب باتفاق المسلمين».

د.علي: «اسمحيلي يا حاجة، «ابن تيمية» أحد الشيوخ المسلمين، وليس شيخ الإسلام على الإطلاق... وهو شيخ فاضل، ولكن لا يمكنني أن آخذ برأيه إذا كان غير مذكور في القرآن والسنة»..

وسألت والدة نهى سريعًا: «طب.. والصلاة على النبي، ليه حرام بعد الأذان؟».

د. علي مستنكرًا: «حرام؟!!! حرام إزاي؟... ده الصلاة على الحبيب بركة... ومطلوب مننا أن نصلي عليه في كل وقت، وبأكبر عدد ممكن»..

والدة نهى: «أمال بعد الأذان وأثناءه نقول إيه؟».

د.علي مبتسما: «دي أسئلة سهلة أوي كده... يُحبذ ترديد الجزء الأول من الأذان وعند التشهد والصلاة على النبي، لابد من الصلاة عليه موافقة مع الحديث اللي قلته دلوقتي وبعد «حي على الصلاة» «حي على الفلاح» نقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. ولكن وتحتها ألف خط.. كل هذا اجتهاد وكل ذكر ثواب عند الله.. والله أعلم».

ودون تفكير، سألت ليلى: «وختمة القرآن في البيت.. حكمها إيه يا د. علي؟».

د. علي: «لابد من معرفة معنى كلمة «ختمة» أصلًا... إذا كان المقصود بها أن تقرئي جزءًا أو اتنين وغيرك اتنين أو تلاتة وبعد جمع مجموع ما قرئ تعتبري نفسك ختمت القرآن فلا أعتقد أن هذا صحيح والله أعلم.. إنما بخصوص اجتماع الناس في مكان واحد ليقرأوا القرآن ويذكروا الله فهذا ينزل عليهم السكينة وتغشيهم الرحمة وتحفهم الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده»..

وأكملت ليلى السؤال، وكأنها ترجوه بالموافقة: «ولازم يبقوا مجوِّدين القرآن وعارفين كل قواعد القراءة؟».

د.علي: «بالطبع المعرفة والإلمام بقواعد القراءة الصحيحة ضرورة واجبة لمن يستطيع ولها أجر عظيم عند الله، ولكن إذا كان هناك مانع ككبر السن أو لصعوبة

في التعلم فلا حرج.. إذ لا يجب أن تترك القراءة لأي وضع، بل إن المُتلعثم له أجر.. لكن إذا أمكنه تصليح هذه الاخطاء، فإنه يجب عليه ذلك»..

وفجأة سرحت ليلى وتذكرت مرة، وهي في الجمعية، وكانت تشعر وتقرأ في المصحف بعينيها، وجاءتها إحدى المعلمات تسألها عما تفعل، ولما أجابتها بأنها تقرأ في المصحف، قالت لها: «بعنيكي؟!!! بتقري بعنيكي؟!! حرام»... وكأنها نسيت وجود من حولها، وسألت: «وليه حرام إني أقرأ في المصحف بعيني من غير ما أحرك شفايفي؟».

د.علي: «حرام؟ يا جماعة من فضلكم لازم نقنن استعمال كلمة حرام دي.. إن الله تعالى لم يحرم القراءة بالعين.. والقراءة بصمت لها ثوابها أيضًا!!!».

وسألت نهى: «عندي استفسار يا د. علي مش سؤال... محتاجة توضيح: عورة صوت المرأة واختلاطها بالرجال»..

د. علي: «أنا هَرد بمنتهى البساطة وإنتِ تحكمي بنفسك... إذا كان صوت المرأة عورة والاختلاط حرامًا تمامًا، كيف كان الصحابة والتابعون يأخذون الأحاديث وأحيانًا المشورة من السيدة عائشة، وكيف كانت السيدات المسلمات يقمن بتضميد خروج الرجال المسلمين في الجهاد!!».

وأكمل موجهًا حديثه للجميع: «إحنا كده مش محتاجين سهرة.. إحنا محتاجين أسبوع!!!».

قام والد ليلى ليدعو الجميع إلى العشاء.. وبالفعل وقف الجميع، وقبل أن يتوجهوا إلى حجرة الطعام، ختم الدكتورعلي كلامه قائلًا: «الدين ليس الصوم والصلاة.. والالتزام ليس النقاب أو الحجاب أو اللحية.. وحسن الخلق ليس الكلام المنمق أمام العامة.. الدين حياة كاملة نحياها ونحيا فيها.. زي ما بيقولوا في الغرب life style، مش مجرد حالة عابرة»..

وانتهزت والدة ليلى فرصة وقوف د. علي أمام الطعام، وقالت بخجل: «د. علي.. أنا آسفة، بس عندي سؤال يخص السفرة بتاعتنا والأكل اللي عليها.. أنا عايزة أعرف الفرق بين الكرم والتبذير.. وهل إن أنا أكرم ضيوفي دون بهرجة ده يعتبر غلط؟».

د. علي: «الإسلام لم يُحرم زينةَ الحياة الدنيا والطيبات من الرزقِ، وإنما حرم الإسراف والتبذير في الاستمتاع بها، فالله جل وعلا سيسألنا عن هذه النعم.. ولا ينحصر الإسراف في الأمور المادية، بل في مختلف أوجه الحياة.. والإنفاق المذموم هو الإنفاق على ما حرم الله من المعاصي»..

ويختلف الإسراف عن الكرم، رغم أنَّ كلًا منهما عطاء، في أن الكرم يكون وفق أصول الشرع، مثل: «إطعام الضيف، وإكرام الفقير، البخل ضد الكرم، وليس ضد الإسراف، وإنما الإسراف ضد الاعتدال والاستقامة، لكن السفرة الجميلة دي سفرة حسن ضيافة وكرم، وربنا يكرمكم ويطعمكم من نعيم الجنة إن شاء

الله»..

وقبل أن يتوجه الدكتورعلي للطعام، اقتربت ليلى بهدوء منه، وكان الإرهاق باديًا على وجهها، وقالت: «أنا محرجة جدا يا دكتور علي، لكن السؤال مهم، وأنا لازم أرضي ربنا»..

بانتباه شديد، رد عليها د.علي: «خير إن شاء الله.. قلقتيني!!».

قالت ليلى بثبات وإحباط: «ختان البنات...».

د. علي: «يا حاجة ليلى.. القرآن الكريم خالي تمامًا من أي نص، يتضمن إشارة من قريب أو بعيد إلى ختان الإناث!!! وليس هناك إجماع على حكم شرعي فيه، ولا قياس يمكن أن يقبل في شأنه.. أما السنة النبوية فإنها مصدر ظن المشروعية، لما ورد في مدوناتها من مرويات منسوبة إلى الرسول ﷺ، تدل على أنه لم يرفض ختان الإناث»..

ليلى: «طيب وحديث «الختان سنة للرجال مكرمة للنساء»؟».

د. علي: «إن مكرمة النساء ليست في تقطيع أجسادهن دون أمر إلهي يا حاجة.. ومع ذلك الله أعلم.. والبيت بأصوله وقيمه وتقاليده والتربية والصحبة.. ثم الصحبة.. ثم الصحبة هو أهم ما يصون الفتاة»..

كان اليوم بكل ما فيه من الأيام الصعبة على ليلى، ولكنها شعرت بمنتهى الراحة في النهاية دون أن تعلم لماذا!!

وفي النهاية طلبت ليلى من د. علي أن يدعي بصوت مرتفع، كما اعتادت في أي درس.. وبالفعل دعا د. علي دعاء كله استبشار وحب لله ورسوله وفي سماحة الدين..

وبمجرد أن وقفوا على السفرة، أتت ليلى من المطبخ بنفسها بالكيكة الخاصة بعيد ميلاد والدتها، والتي كانت قد أرسلت في طلبها من الصباح، دون أن تخبر أحدًا، بعد أن عادت، وتذكرت كلام د. علي يوم قابلها في بيتها.. ووضعت بها شمعة واحدة وغنوا لها أغنية عيد الميلاد، ومعهم الدكتور علي الذي كانت ليلى تنظر إليه بجانب عينها؛ لتراه وهو يغني معهم دون حرج، وكأنه شيء عادي وليس بحرام!!!

انتهت السهرة وسلم الدكتور علي بمنتهى الحفاوة على الجميع، وقاده والد ليلى ووالد خالد إلى الخارج، ومعهما خالد، ولكن الدكتور علي قال: «والله أبدًا... اتفضلوا حضراتكم، وسيبوا معايا الحاج خالد، ارغي معاه شوية لحد العربية»..

تعمد د. علي أن ينفرد بخالد، لأنه شعر بالمعاناة والتوتر التي تمر بهما ليلى.. وانتهزها خالد فرصة، ولمّح له ببعض ما كان يشغله بخصوص ليلى، وأخذ رأيه في أشياء عدة وودعه، ودخل إلى البيت مرة أخرى، وكانت ليلى في انتظاره عند الباب وانتظرت حتى دخل وسألته: «إيه يا خالد... كنتم بتقولوا إيه؟».

أخذها تحت ذراعه بتحفظ؛ خوفًا من أن تهرب منه، وتقول إنها على وضوء، ولكنه وجدها تتجاوب معه، وتلف يديها الاثنتين على وسطه، فقبلها في رأسها ودخلوا إلى البيت، واقترب من أذنها قائلًا: «كنت بسأله على حاجات عيب، عايز أعملها معاكي»..

ولم تمنع نفسها من الضحك، واحمر وجهها خجلًا، وقالت له بهمس: «بس بلاش أباحة... ومش لاقي غير الدكتور علي تسأله؟».

خالد ضاحكا بشدة: «لاااا ده طلع أستاذ واداني بقى وصفة سحرية هنجربها لما تجمدي كده إن شاء الله»..

وقطعت ضحكهما أم خالد «نجوى» التي أتت إلى ليلى بخفة دمها، وقالت لها: «هتدفعي كام في المعلومات اللي طلبتيها وجبتهالك؟».

خالد: «معلومة؟ وبفلوس؟ لاااا فيها لاخفيها»..

ليلى: «بس بقى يا خالد... روح للناس وسيبني مع طنط دقيقتين بس»..

قبلها على رأسها، وذهب بالفعل، وازداد احمرار وجهها خجلًا، والتفتت إلى أمه التي وجدتها تضحك وتقول لها: «آدي يا ستي صور الحاجة وكام واحدة من اللي كانوا معاها في الرحلة بتاعت البحرين... تعرفي منهم حد؟».

ليلى بذهول وحسرة: «أعرفهم كلهم يا طنط!!».

وفعلًا توقفت هدى عند الصور بذهول، فقد كانت الحاجة سامية، ومعها 3 من تلميذات الجمعية، ومن ضمنهم واحدة مغربية منضمة حديثًا للجمعية، وتخصها الحاجة بالدلع والحب والاهتمام!!!

وجاءتها نهى واحتضنتها، وقالت لها: «إيه يا لولي.. مفاجآت مش كده؟».

ردت نجوى «أم خالد»، وهي تمشي وتتركهما: «الظاهر مفاجعات يا نونو، مش بس مفاجآت»..

كانت ليلى بالفعل تتمنى أن تتحدث مع أحد تثق به وتحبه دون قيود، وكانت نهى هي الشخص المناسب لهذه المهمة، فردت عليها، دون أن تحاول تخبئة شعورها على الإطلاق، وقالت: «آه يا نهى.. أنا باين كنت موجودة منظر، من غير ما أعرف حاجات كتير»...

نهى: «ومستعده تعرفي أكتر ولا كفاية كده؟».

ليلى: «في حاجة تانية بقى ولا إيه؟».

نهى: «تعرفي أي تفاصيل عن الأستاذة فضيلة بتاعتكم، اللي الدنيا قامت ووقفت عليها دي هي وجوزها؟».

ليلى: «من إمتى بقى، وإنتِ من اللي بينموا وبيغتابوا؟».

نهى: «ده لا نم ولا غيبة.. الحكاية كلها إنه استقصاء؛ لأنكِ لما كلمتي حامد ابن عمتي تطلبي منه تصاريح من المطار، وحد يدخل يجيب الأستاذة فضيلة

وجوزها ويعاملهم معاملة كبار الزوار، كان قاعد بيرغي معانا إن جوز الأستاذة فضيلة دي أساسًا، كان طبال بيطبل ورا رقاصة في كباريه في مراكش.. ومش ده اللي لفت نظري.. لعله تاب، ولعله أحسن مننا عند ربنا.. لكن الغريب إن الحاجة سامية كانت سايبة السواق، اللي أنتي مأجراه بفلوسك، مع زوج المعلمة اللي هي مستضيفاها، وباعتة جايباها تدي الدروس في مصر، وتهدي الناس وتعلمهم اللي يجوز، واللي مايجوزش.. ومش كده وبس، دي الحاجة سامية حتى ماعرفتوش أصلًا بجوزها، اللي كان المفروض إنه يتواجد معاه في الأوقات دي إن شاالله يا ستي في كافيه اللوكاندة اللي واخدين فيها السويت بسيف الحياء!!!».

واندهشت ليلى وردت: «وإنتِ عرفتي منين؟».

نهى ضاحكة: «ده أنا كنت هموت من الضحك، إمبارح كنت في عشا، ولقيت ناس انضموا للترابيزة بتاعتنا وواحدة فيهم إنتِ تعرفيها اسمها نهال بتقول لمشيرة دي ولا شهيرة صاحبة الأوتيل، بما معناه: إنتِ تحمدي ربنا إنهم أسبوع واحد بس ومعظم الأكل والشرب كان بييجي من بره... تعالي شوفي خيبة مروه بقى».

ليلى: «مروة السعيد؟».

نهى: «أيْوَنْ... جابت للأستاذة فضيلة طقم دهب سعادتك من عند لازوردي، وهي بتعزمها إنها تروح تدي الدرس في بيتها، وبعد ما قبلته وأخدته وقالت لها حاضر هنسق مع الحاجة اليوم، وأرد عليكي راحت وأدي وش الضيف... حتى لما مروة نفسها اتصلت بالحاجة، وسألتها، قالت لها إن وقت الأستاذة فضيلة بقى ضيق أوي.. ومش هتقدر.. وردت مروة، وقالت لها طب ليلة السفر، مفيش وراها حاجة وهي مسافرة في طيارة 6 العصر، برضو الحاجة مارضيتش»..

ليلى: «بس الأستاذة فضيلة كانت في الجمعية بتدي درس يوم سفرها ومشيت الساعة 2 على المطار على طول، وقبلها بيوم كانت شغالة برضو!!».

نهى: «ما هي بقى لما مروة عرفت، اتضايقت أوي، وماكانتش فاهمة هم بيعملوا كده ليه.. واتصلت بالحاجة فضيلة على نمرة المغرب، وهي رايحة المطار، وقالت لها إنها ماكانتش عارفة الجدول إيه، وإنها لما قالت للحاجة على عزومتها، الحاجة بلغتها بأن مروة بتعتذر، ولحد دلوقتي محدش عارف مين الصادق ولا حتى فين السؤال... بس مروة شغالة حكاوي بقى مع كل اللي رايح، واللي جاي؛ خصوصًا إن ليها صاحبة تانية عندكم برضو في الجمعية بيقولوا بقى إيه... ماسابتش حد غير لما حكت له الحكاية كلها!!!».

ظلت ليلى مذهولة، ولم تفق إلا عندما سمعت أمها تناديها هي ونهى: «بلاش القعدات الجانبية دي يا هوانم... تعالوا هنا»..

وفعلًا ذهبتا وجلستا مع الباقين وأكملتا السهرة. بعد انتهاء السهرة، ذهب

الجميع إلى بيوتهم، وكانت ليلى هادئة جدًّا لما سمعته من نهى، ورغم المفاجآت التي امتلأت بها الليلة، ولكنها كانت قد هيأت نفسها لأي شيء ممكن أن يحدث من الحاجة، أو من أي شخص آخر في الجمعية..

وتركوا السيارة أمام باب منزل والديها، وذهبت هي وخالد والأولاد الذين كانوا يلعبون في البدروم الخاص ببيت والدها مع أولاد نهى، وظلوا يمشون ويجرون ويضحكون طول الطريق، وكأنهم كانوا يفتقدونها، ولكن هي التي كانت تفتقدهم بشدة، وشعرت بأنها قد عادت إليهم بعد غياب..

عندما وصلوا البيت، دخل الأولاد إلى غرفهم، ودخل خالد إلى حجرة المعيشة، ودخلت ليلى إلى حجرتها، وهي لم تتوقف عن التفكير، وفجأة ذهب إليها خالد ليتفقدها، وقال لها: «الجو حلو أوي بره يا لولو.. ما تيجي نتمشى شوية على رجلينا كده؟».

ودون تفكير قالت له: «يالا ماشي».

وخرجا، وكانت نية خالد أن يسألها عما كان يقلقها ويضايقها من لحظة وصولها من عند رانيا، ولكنه فوجئ بها، ودون أي سابق إنذار أو مقدمات، تحكي له ما حدث بالضبط، بالإضافة إلى كل ما قيل في البيت عند والدتها من قصص، تخص سفر الحاجة وحكاوي نهى والتليفونات، التي جاءتها في البيت بعد وصولها من عند رانيا... حتى سميرة ورانيا وقصص الجمعية حكتها له كلها!!!

وبعد أن انتهت، كانت تبكي مرة أخرى بحرارة، ولكنها شعرت وكأنها أصبحت حرة، بعد أن كانت مسجونة ومقيدة..

اقترب منها خالد، وقال لها: «وإنتِ عايزة تعملي إيه دلوقتي؟!».

ليلى: «أنا مقدرش أعمل حاجة يا خالد.. إنتَ اللي كان لازم تعمل من زمان.. كان لازم تمنعني من إني أمشي في السكة دي»..

قاطعها خالد، وقال: «لأ.. يا ليلى.. كان لازم تتعلمي وتشوفي وتجربي بنفسك.. أنا عارفك كويس، وكنت متأكد أن هيجيلك يوم، وتفوقي من اللي إنتِ فيه، وتكتشفي إنه مش ده الدين.. أنا كان كل اعتراضي كان على تأليه الحاجة سامية وكأنها رمز إلهي لا يخطئ، وإنها لابد وإن تُتَّبع، ويطاع كل كلامها، وكأنها مبعوثة العناية الإلهية لإنقاذك من حياة الكفر إلى حياة الإيمان..

ليلى: «عندك حق.. بس هي فعلًا إنسانة مختلفة جدًّا يا خالد.. أنا بحبها أوي».

خالد: «ممكن طبعًا أنا معرفهاش.. لكن هي السبب في قسوة القلب والغلظة اللي بقيتي فيهم.. دول مش الدين يا ليلى... الدين عمره ما بيغلظ القلوب»..

ليلى: «أنا متضايقة ومش عارفة أعمل إيه بجد.. مش عارفة حتى هل أنا كنت مقصرة ولا الظروف، ولا إيه، ومش قادرة أفهم إيه اللي زَقِّني أوي كده، وبرضو مش بسهولة هَقَدْر أمشي... أنا عندي مسؤليات وارتباطات كتير في الجمعية

ومش هقدر أخفف شغلي من هناك كده مرة واحدة.. الحاجة نفسها ماتقدرش تستغني عني... كل اللي بتعمله معايا ده حب وCaring، وثقة كبيرة أوي، مش أي حاجة تانية»..

خالد: «بيتهيألك يا ليلى.. إنتِ لو رجعتي طبيعية في تصرفاتك واديتي حياتك معانا ومع أهلك الأولوية هتحسي بفرق... طب إنتِ عارفة، لمجرد إنك بس تبتدي تلبسي لبسك العادي، اللي هو محتشم من غير الالتزام بزي موحد اللي بينسبك ليهم، هيبتدوا ينفروا منك هم نفسهم، من غير ما إنتِ تعملي حاجة»..

ليلى: «إيه اللي إنتَ بتقوله ده يا خالد؟ لا، طبعًا مش بالسهولة دي.. أنا طبعًا معترفة إني قصرت ناحيتكم كلكم.. لكن ده ما يمنعش إني تاني بقول لك عندي مسئوليات وحاجات الحاجة مؤتمناني أنا بس عليها، ومحدش يعرفها زيي»..

خالد: «بيتهيألك يا ليلى.. اللي زي الحاجة دي لازم يبقي عندها back up plan دي ست ذكائها خارق أصلًا... عارفة تجمعكم وتقسمكم وتشكلكم، وتغيَّر فيكم زي ما هي عايزة... مؤكد مر عليها ناس كتير زيك ومواقف اسوأ من كده كمان، بس إنتِ اللي ماتعرفيهاش.. خلينا نفكر مع بعض زي ما إحنا متعودين»..

ودخلا إلى البيت، وكان تليفون خالد المحمول بيرن ورَّد سريعًا وجدها داليا صديقة ليلى ونهى من أيام الدراسة..

داليا ضاحكة: «إيه يا خالد إنتوا فين؟؟؟ المجنونة فين بَطْلُبها مش بترد، وطلبت أمها أقول لها كل سنة وهي طيبه قالت لي إنكم روَّحتوا... كنت فين يا حلوين بتتشاقوا ولا إيه يا واد؟».

وهنا خطرت في بال خالد فكرة أن تسافر ليلى إلى داليا لقضاء بعض الوقت معها بعيدًا عن الجمعية..

خالد: «يا بت إنتِ مش هتبطلي بقى.. كنا بنتمشي بره.. الجو حلو أوي.. ياللا تعالوا كفاياكم رطوبة.. تعالوا اقعدوا معانا كام يوم، واستمتعوا بالجو الجميل ده، وممكن نطلع السخنة يومين كمان تنزلوا البحر، وتبلبطوا.. إيه رأيك؟».

داليا: «اليومين دول صعب أوي آخد أجازات.. أنا عايزة ليلى تيجي تحضر حفلة تخرُّج مارتين ضروري»..

خالد: «ياللا ياريت... دي محتاجة السفرية دي أوي والله.. خدي قوليلها بنفسك ولو وافقت، تطلع على طيارة الصبح لو عايزة»..

وأعطى سماعة التليفون لليلى المندهشة من المكالمة، ولكنها كانت تفكر في الوقت نفسه في إمكانة السفر، وفي هذا الوقت على الأخص..

ليلى: «إيه يا دودو.. وحشتيني أوي»..

داليا: «ياللا تعالي بكره، بعد يومين حفلة تخرج مارتين».

ليلى ضاحكة: «بكره؟؟ كده على طول إزاي بقى يعني؟».

داليا: «آه بكره... الإقامه على باسبورك.. يعني ولا ڤيزا ولا حاجة، والتذكرة تطلع على طول أو حتى اطلعي عالمطار تاخدي تذكرة آخر لحظة بتبقى أرخص.. معاكيش فلوس هَسَلِّفِك... ياللا»..

ليلى: «اسكتي شوية.. كلمتي نهى؟».

داليا: «لا لسه.. بس أنا عارفة إن طنط عندها ميعاد رنين مغناطيسي يوم حفلة مارتين أصلًا، فمش هتقدر نهى تيجي.. وبعدين إيه يعني، لو نهى ماجتش.. مش هتيجي إنتي؟!».

ليلى بثقة وهي مبتسمة: «لأ... هآجي.. وبكره زي ما قلتي»..

داليا صارخة بفرحة: «براااااقو يا لولي يا حلوة.. كلميني من المطار قوليلى اتشعبطي في أي طيارة»..

وانتهت المكالمة، وهي تبتسم وتنظر إلى خالد، الذي احتضنها برفق، مشفقًا على ما هي فيه..

واتصلت بأهلها وبأهل خالد، وأخبرتهم بأنها سوف تسافر في أول طيارة إلى «أبو ظبي»... وقد كانت معتادة فعلًا القيام بهذه الرحلة، بالأخص. هي وخالد، واعتادا قضاء أسعد الأوقات مع داليا ومارك هناك... ولم تكن أول مرة تسافر فيها وحدها، ولكنها انتهزتها فرصة لتهدئة أعصابها من كل الضغوط .. وقررت السفر دون أن تخبر أحدًا، وعندما تعود بعد حفلة مارتين، سوف تستأنف حياتها في الجمعية دون أن تخبرهم بشيء...

وبالفعل رتبت ليلى مع أمها المجي والبقاء مع الأولاد وخالد طوال فترة غيابها.. والغريب أن أمها ووالدة خالد وخالد نفسه رحبوا جميعًا بفكرة سفرها هذه.. وكانوا يأملون أن تعود من هناك ليلى الطبيعية البسيطة، دون التعقيدات التي جدت عليها وعلى حياتها، وأثرت على الجميع من حولها بالسلب.. وسافرت..

ومن لحظة وصولها المطار، كانت داليا ومارك في استقبالها، وكانت المرة الأولى لهم أن يروها بالحجاب وإن لم يعلقوا بالمرة وقضت أوقاتًا في منتهى السعادة معهم، ومع أولادهم وأصدقائهم..

وانتهت الأيام القليلة وعادت ليلى واستأنفت حياتها في الجمعية، التي قررت أن تقلل من أيامها فيها بقدر الإمكان.. فقد كانت تدرس كتابًا للتوحيد، وقد تبقى على الامتحان النهائي فيه أيام قليلة، وكان قرارها أن تنهي هذا الامتحان، ثم تستكمل دروس القرآن فقط، وإن كان رأيها في الحاجة عُلا نفسها قد تغير بعد المشاكل المالية بينها وبين الحاجة في الجمعية..

وفي يوم، كانت ليلى جالسة، تتصفح على تليفونها المحمول الصور الخاصة

برحلة أبو ظبي، ووجدت سميرة ورانيا فوق رأسها، وسألتها سميرة بمنتهى الاشمئزاز: «مين يا ليلى المتبرجة اللي معاكي في الصورة دي؟».

ليلى باستنكار: «متبرجة؟ إيه متبرجة دي أصلًا؟».

رانيا بعنف: «يعني مش ملتزمة بكلام الله ورسوله.. يعني متباهية بمفاتنها.. يعني ملط زي صاحبتك اللي رأسها ودراعاتها عريانين»..

ليلى بهدوء واستفزاز: «ما أنا عارفة المعنى.. بس دي داليا صاحبتي، أنا ونهى الأنتيم.. حبيبتي وزي أختي هي وكل عيلتها»..

رانيا: «هو إنتِ كنتي فين الويك إند اللي فات يا ليلي؟ طلبتك ومارادیتیش والرنة كانت كأنك مسافرة؟!».

ليلى ببساطة: «وكأنك ليه؟ أنا فعلًا كنت مسافرة.. كنت في «أبو ظبي»..».

رانيا: «واتبسطوا؟».

ليلى: ««طوا» مين؟ أنا كنت لوحدي»..

سميرة: «طب بس بس.. لحد يسمعك ويقول للحاجة.. تبهدل الدنيا إنك سافرتي من غير محرم... ده إنتِ كمان ماقلتيلهاش هي نفسها إنك مسافرة.. مش بس ما قلتيلناش إحنا»..

ليلى: «في إيه؟ هو أنا لازم أقدم تقرير أروح فين وآجي منين؟ ولازم لو هسافر أبلغ؟ أنا جت لي سفرية وكنت عايزة أغير جو، وحسيت إني مضغوطة فسافرت، وقعدت تلات أيام، وجيت على طول... إيه المشكلة في كده؟».

رانيا: «بس الصحبه مهمة برضو يا ليلى، وصاحبتك اللي في الصورة دي يعني»..

ليلى مقاطعة: «إياكي تتكلمي عليها نص كلمة.. صاحبتي دي لا بتغتاب حد ولا بتنم على حد ولا بتحسد حد ولا غيره.. أما بقى التزامها من عدمه، فده لسبب بسيط جدًّا... إنها مسيحية مش مسلمة زينا يعني... وعلى فكرة أنا كنت مقيمة عندها في بيتها.. وكنت بخرج معاها هي وجوزها وولادها... ياللا وروني الهمة بقى!!».

رانيا بفزع: «ومالك سعيدة كده؟؟».

سميرة: «إنَّا لله وإنّا إليه راجعون... معقول يا ليلي؟ الاختلاط ده بالكفرة هيحشرك معاهم في جهنم»..

ليلى: «كفرة؟ إنتِ حكمتي عليها إنها كافرة كده.. وقررتي إنها هتخش جهنم وأيقنتي إني هدخل معاها؟!!! وإنتِ بقى هتخشي فين؟ يا قاضي يا حكم يا جلاد إنتِ»... وقبل أن تكمل، لمحت الحاجة تنظر إليهم من شباك حجرتها المطل على صالة الدرس وتشاور لهم أن يذهبوا إليها!!!

جرت سميرة قبلهم، وتعمدت ليلى ان تتحرك بمنتهى البطء، وتعطي رانيا

الفرصة لتلحق بسميرة وجمعت كل أشيائها، رغم أن اليوم لم يبدأ بعد، وذهبت للحاجة في حجرتها...

الحاجة: «إيه يا ليلى مالك؟».

ليلى بأدب وملل، وضربات قلبها تكاد تخلعه من ضلوعها:
«ولا حاجة... هم مش قالوا لحضرتك؟!».

الحاجة بثقة وعيناها في عيني ليلى: «وإنتِ متوترة ليه؟».

ليلى، بمنتهى الثبات: «أنا مش متوترة خالص.. أنا بس مش بحب حد يحاسبني ويعمل عليّا قاضي وجلاد... ومن هنا ورايح كل واحده فيهم تبقى في حالها، زي ما أنا في حالي.. ومهما شفت أو عرفت أو سمعت مش بتكلم»..

الحاجة بفضول وثقة: «غلطانة... من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده»..

ليلى: «لا.. بقى أنا شغالة على الجزء بتاع "فليغيره بقلبه" يا حاجة.. كفاية عليّا أضعف الإيمان... وبعدين الحكم على الشيء إذا كان منكر أو لأ ده نسبي من إنسان لإنسان، وطريقة تغيير المنكر بتعتمد على البني آدم ومقامه وسنه وتعليمه وطريقة توجيهه»..

الحاجة بابتسامة صفراء: «إيه ده إيه ده؟؟؟ هي سفرية «أبو ظبي» تعمل كل ده؟؟؟».

ليلى: «من فضلك يا حاجة، لو عايزه تتكلمي معايا في حاجة معينة، ياريت يبقى بيني وبينك»..

الحاجة بهدوء: «لا يا حبيبتي... أنا مش عايزة أتكلم في حاجة..
ولا بيني وبينك ولا أدام حد.. إنتِ عارفة الغلط ويا ريت مايتكررش.. لأنه غلط لا يجوزأن يخرج من معلمة أو إنسانة فاضلة على وشك أن تكون معلمة زيك»..

بقدر ما تمنت ليلى سماع هذه الكلمات من قبل، إلا أن هذه الكلمات – الآن - لم تؤثر فيها إطلاقًا، عندما سمعتها من الحاجة، ولم يبد عليها تأثر أو حتى اهتمام..

ليلى بثقة: «غلط إيه؟ أنا معملتش أي حاجة... أنا سافرت ورحت عند واحدة صاحبتي وقعدت يومين ورجعت... إيه المشكلة في كده؟».

الحاجة: «مفيش أي مشكلة إنك تبقي طالبة علم شرعي، وتبقى ليكي «صاحبة» كافرة، وإنك كمان تقيمي عندها في بيت لا تجوز فيه صلاة
ولا صوم ولا ذكر لله من الأصل.. ناهيكي عن سفرك دون محرم.. كل ده ومفيش مشكلة!!».

ابتسمت ليلى باستخفاف، وقالت: «أنا مغلطتش في حاجة.. وبعدين منطق المِحْرم اللي المفروض «أضعف الإيمان» إنه يوصلني ويرجع وبعدين يبقى يرجع ياخدني ده منطق غير مفهوم بالمرة، وكأنه الفتنة وارد حدوثها في الطيارة

بس.. أنا بصراحة مابقيتش فاهمة!».

الحاجة: «ماهي المشكلة إنك مابقيتيش فاهمة فعلًا.. نسيتي إن فيه حاجات مافيهاش نقاش.. فيها سَمِعْنا واطعنا بس»..

ليلى: «سمعنا واطعنا ده في القرآن يا حاجة.. لكن السفر بمحرم وبدون، ده مش في القرآن»..

الحاجة بحدة: «إيه يا ليلى إنتِ ناسية إنك مسلمة سلفية ولا إيه.. هتتقلبي قرآنية؟!!!».

ليلى: أنا مسلمة يا حاجة والحمد لله.. وطبعًا سنة سيدنا النبي عليه الصلاة والسلام على عيني وراسي.. لكن...

الحاجة مقاطعة ليلى: «ما لكنش... ياللا درسكم هيبتدي.. نبقى نكمل الكلام بعدين»..

وقفت سميرة ورانيا في اتجاه الباب، ولكن استوقفهما كلام ليلى..

ليلى بثقة: «أنا مروَّحة.. بصراحة تعبت النهارده.. ويا ريت سميرة ورانيا بقى بعد الدرس، يبقوا يقولوا دعاء كفارة المجلس.. دول نقلوا لحضرتك القصة في أقل من 3 دقايق مسافة ما لميت حاجتي وجيت... عمومًا أنا مش مسامحاهم»..

الحاجة وهي مستاءة: «ماتقوليش كلمة كبيرة يا ليلى... يعني إيه مش مسامحاهم دي؟ وليه كفارة المجلس؟ هم أصلًا حكولي اللي إنتِ نفسك كنتي هتحكيه، وعمومًا الموضوع انتهى.. وإنتِ إذا كنتي تعبانة روّحي..

ليلى: «تعبانة نفسيًّا مش جسمانيًّا يا حاجة... السلام عليكم!».

الحاجة: «لأ، استني يا ليلى... طالما مش هتروحي، يبقى لازم تسمعي اللي هقولهولك علشان تعذري حبيباتك في الله... هم مش عايزين منك حاجة.. عايزين المصلحة وبس... إنتِ الظاهر نسيتي إن المرأة ليها حرمة على المرأة، مش على الرجل ولا على المرأة الأجنبية بس»...

ليلى: «عارفة يا حاجة ودي مالها ومال سفري؟».

الحاجة: «مالها إزاي؟ إنتِ مش كنتي عند صاحبتك الكافرة دي في بيتها؟».

ليلى والدموع تملأ عينيها: «من فضلك يا حاجة ماتقوليش عليها كافرة؟».

الحاجة: «لأ.. أقول لأنها مش من أهل الكتاب، وقبل ما تقولي حاجة تانية لازم تعرفي إن وجودك عندها وصورك معاها وكلامك معاها ومع جوزها إثم يستلزم التوبة»..

ليلى: «وهم المسيحيين مش أهل كتاب؟!!!».

الحاجة: «كفاية مناقشة مالهاش معنى يا ليلى.. الدين الإسلامي هو ختام الأديان السماوية، ومن لم يتبعه فهو كافر.. ولا يجوز التواصل أو التحدث معهم،

مش تروحي وتقعدي وتقوليلى تصلي»..

ليلى: «أيوه كنت بَصَلي هناك، وأقيم الليل هناك، وأقول الأذكار و..».

الحاجة: «استغفارك نفسه هناك يلزمه استغفار.. مافيش عمل يقبل في مكان لا يذكر فيه اسم الله الواحد الأحد.. لابد من التوبة وإنتِ طبعًا عارفة شروطها ولّا محتاجاني أفكرك؟».

وأكملت: «ترك الفعل في الحال، والندم على الماضي من الأفعال، والعزم على ترك هذا الفعل، وعدم تكراره في المستقبل، وأن تؤدِّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقي الله بوجه كريم دون تبعة، وأخيرًا أن تذيقي الجسم ألم الطاعة، كما أذقته حلاوة المعصية.. فهمتي.. إنتِ بقى هنا لازم تؤدي لله حقه.. إنتِ ماغلطيش في الخلق، دا إنتِ استهنتي بالخالق!!!».

انهارت ليلى في البكاء، واستأذنت بأدب ومشيت..

وخرجت من الجمعية دون الكلام مع أي أحد، رغم نداء رانيا المتكرر لها.. وذهبت إلى خالد في مكتبه..

سعد بها خالد بعد غيبة طويلة عنه، وعن مفاجأته وذهابها إلى المكتب... وكان في اجتماع، ولكنه تركه وخرج ليرحب بها.. ودخل بها إلى غرفة الاجتماعات، فالكل كان يحبها ويحترمها... وسلمت على الجميع، وظهر طبعًا على البعض الدهشة من شكلها بالعباءة والطرحة السوداء!!!

وبعد أن سلمت على الجميع، خرجت من الحجرة مع خالد...

ليلى: «تيجي نروح نتغدي بره؟».

خالد: «ياريت.. ياللا أنا موافق»..

ليلى: «خلاص هَسْبَق على البيت أودِّي العربية، على ما أنت تخلص الاجتماع، وفوت عليّا لما تخلص»..

خالد: «لا يا ستي.. أنا مش هضيع الفرصة دي أحسن تغيري رأيك.. هسيب عربيتي للسواق، يروح بيها.. ما أنا عارفك مش بتحبي حد يركب عربيتك.. ونخرج بعربيتك إنتي... عايزة تروحي فين؟».

ليلى: «أي مكان.. بس إنتَ خلَّص الاجتماع، وأنا هقعد في أوضتك أعمل شوية تليفونات، وأكلم ماما وديدي واستنى لما الولاد يوصلوا.. عندي ييجي ساعة كده»..

خالد: «كويس أوي.. هاتي بوسة»..

ليلى مبتسمة: «بس ياواد ياللا روح خَلَّص شغلك»..

وذهب خالد لينهي عمله وأرسلت السائق بسيارة خالد إلى البيت، وأخبرته أن يأتي سريعًا بما سوف يأخذه من إيمي أو سوكيروا..

وبالفعل، اتصلت ليلى بالبيت وأبلغت إيمي بأن تدخل إلى حجرة الملابس،

وطلبت منها أن ترسل لها جاكيتة وقميصًا وطرحة وصفتهما لها، وأن ترسلهم مع السائق، وبالفعل، عاد السائق قبل مرور الساعة وأغلقت عليها مكتب خالد وغيرت العباية والطرحة السوداء..

خرج خالد من غرفة الاجتماعات، ووجدها بملابس ملونة فانشرح وجهه، وهو ينظر إليها، وقال: «طب والله ما كنت واخد بالي، وماكنتش هقول حاجة»..

ليلى: «وأنا مش هستنى لما تاخد بالك، وتقول لي حاجة»..

وذهبا إلى مطعم محبب لهما هما الاثنان وتناولا الغذاء، وحكت له ما دار في الجمعية من تعليقات على سفرها لـ«أبو ظبي»..

وهدأها خالد وذهبا إلى البيت، بعد أن انتهيا من الغذاء.. ودخلت إلى حجرتها وأبدلت ملابسها، ثم دخلت إلى حجرة المعيشة وجلست مع الأولاد، وهي خاوية الذهن تمامًا، لا تريد التفكير في أي شيء على الإطلاق.

وأتى خالد من حجرة المكتب ممسكًا بالآيباد الخاص به، ومعه تليفونه المحمول على أذنه، وأعطاه لـ«ليلى» وقال: «يا ليلى، الدكتور علي معاكي على الخط»..

تناولت ليلى التليفون وجاءا صوت د. علي: «السلام عليكم يا حاجة ليلى... أخبارك إيه يا ستنا؟».

ليلى محرجة: «الحمد والشكر لله، ربنا يكرم حضرتك.. خير يا دكتور!!»

د. علي: «استمعي معي إلى هذه الآية.. ثم قرأ عليها سورة من القرآن».. وبعد أن انتهى، قال: «الآية اللي قرأتها دلوقتي من سورة الممتحنة، وتستعمل لتأكيد إمكانية زواج المسلم من مسيحية.. فالعلاقة مع أهل الكتاب إذا كانوا مسالمين غير محاربين، يجب أن يكون أساسها البر إليهم والعدل معهم والإنصاف لهم.. كما أن ربنا حلَّل أن يتزوج المسلم مسيحية وتفضل على دينها، ولم يشترط أن تسلم؟!! أهل الكتاب يا حاجة ليلى هم اليهود والنصارى، فيجوز الزواج منها بالشروط المعتبرة شرعًا».

ليلى: «أشكرك جدًّا يا دكتور علي»..

د. علي: «أنا تحت أمركم.. وربنا يكرمكم يا يارب»..

ومر اليوم وبدأت ليلى تستعد لما بعده.. فقد كان من ضمن المناهج الدراسية التي تدرسها ليلى كتاب الأحاديث الأربعين النووية، والذي يحتوي على 40 حديثًا نبويًّا.. وكانت ليلى تحفظ الأربعين حديثًا بتفسيرها عن ظهر قلب.. وكان عندها امتحان في الكتاب كله بعد أيام..

ولم تذهب ليلى إلى الجمعية يومين متتاليين، واتصلت بها إحدى زميلاتها وفهمت منها إن الحاجة هي التي طلبت منها الاتصال بها، وسألتها عن

انقطاعها عن الجمعية، وأخبرتها ليلى بأنها تستعد للامتحان..

جاء يوم الامتحان، وكانت ليلى متوترة جدًّا، ليس من الامتحان، ولكنها كانت تشعر وكأنها أول مرة تدخل الجمعية، وكأن كل ما فات لم يكن في حياتها من الأصل.. واستيقظت كعادتها كل يوم، وكانت أجازة لأولادها ولخالد، الذي أخبرها بأنه سوف يذهب إلى موعد بجوار الجمعية، وسألته إن كان من الممكن أن تذهب معه، إذا كان وقته يسمح.. ولما شعر خالد برغبتها في الذهاب معه، أخبرها بأنه سوف يبقى هناك حسب رغبته؛ لأنه اجتماع مفتوح، وعرض عليها أن تتصل به، قبل انتهائها بربع ساعة فقط..

وعلى سبيل التغيير والتمرد، قررت ليلى عدم ارتداء عباءة؛ خصوصًا وأنه اتفاق بينها وبين خالد من البداية على ألا تخرج معه بعباءة أبدًا، وفعلًا اختارت جونلة هندية منقوشة برسومات غامقة أسود مع نبيتي مع زيتي، وعليها بلوڤر نبيتي، وتحته قميص بيج، وطرحة نبيتي هادئة بأطراف بيج..

عندما رآها خالد ابتسم، وقال لها: «متشكر.. وفرتي عليّا».

وسعدت بهذا لاستعمال خالد كسبب لعدم ارتدائها العباءة..

وصلت ليلى إلى الجمعية، ووجدت بعض الناس قد حضروا، ورانيا وسميرة وغيرهم، يجلسون على شكل دائرة، يراجعون فيها الأحاديث، وما أن رأوها إلا وذهبوا إليها سريعًا، وسلّموا عليها بحرارة، وكأن شيئًا لم يكن!!!

سميرة: «فين الحاجة تشوفك باللبس ده، وهي اللي قالت لنا أول ما ليلى تيجي خلوها تراجع لكم وتسمَّع لكم.. وآل إيه لو أي واحدة فينا فايتها حاجة أو واقفة في معنى أو سرد إنتِ اللي هتشرحيلنا»..

ليلى باستنكار: «وهو اللبس دخلة إيه بالشطارة والفهم؟ إنتِ بس اللي أفقك محدود.. وعمومًا.. إنتِ مذاكرة وأكيد مش محتاجة مني حاجة»..

رانيا: «إيه يا جماعة، إحنا هنعمل خناقة تاني ولا إيه؟».

ليلى، وهي تعطيهم ظهرها، وتذهب لتجلس في المكان، الذي اعتادت الجلوس فيه من أول يوم: «ليه وهو كان فيه خناقة أولاني!».

وفجأة ودون ترتيب، تجمَّعت بقية الموجودات حول ليلى تسألهم، ويسألونها، ولم تجد رانيا ما تفعله سوى اللحاق بهم والجلوس معهم، وترك سميرة التي أتت هي الأخرى...

وعلموا أن الحاجة وصلت وأن الامتحان سيكون في غضون دقائق، فتفرقوا في أماكنهم، وتركوا مكان بين كل كرسي والآخر، واستعدوا للامتحان..

دخلت الحاجة وقالت: «السلام عليكم حبيباتي»... وما أن رأت ليلى دون عباءة وبملابسها الجديدة، إلا وتغير وجهها تمامًا، كما حدث يوم أن قابلتها عند رانيا في المنزل بل وللأسوأ..

نزلت الحاجة إلى الصالة حيث يجلسن جميعا، ونظرت إلى المكان وإليهم، وكانت كل الرقاب تتحرك معها وفي اتجاهها، وقالت: «النهارده إن شاء الله الامتحان هيبقى شفوي!».

طبعًا علت شهقات الحاضرات كلهن... حتى ليلى اندهشت جدًّا.. فهي أول مرة يتم فيها الاختبار شفهيًّا..

وأكملت الحاجة: «اللي هنده على اسمها، هتطلع على المنصة، وتقعد مكاني وتشرح الحديث، اللي هختارهولها بمتنه وعنعنته.. وهتربطه بالواقع اللي بنعيشه»..

بالطبع، سادت حالة من الرعب المخلوط بالاستغراب من الطريقة الجديدة... ولكن تمالك الجميع، وتمنت ليلى أن تشرح هي أطول الأحاديث؛ لتجلس على المنصة وتسهب وتشرح، فهي تحفظ كل الأحاديث بشرحها، وتعلم أن هناك أحاديث تصل إلى صفحتين كاملتين، وتمنت أن يكون حظها في أحدهم.. وجاء على بالها أن ضيق الحاجة منها ومما ترتديه وما أصبحت عليه مؤخرًا سيكون سببًا في أن تطلب منها شرح أصعب الأحاديث وأطولها.. وطال انتظارها وهي ترى الحاجة تقوم بالنداء على اسم تلو الآخر، وتطلب منهم الأحاديث الصعبة كلها، ولم تنطق باسم ليلى، التي فجأة وجدت نفسها ترفع يدها وتقول: «إيه بقى هو أنا مش همتحن ولا إيه؟».

الحاجة مبتسمة، وكأنها كانت منتظرة أي تعليق لليلى: «إيه ده؟ هو إنتِ هنا يا ليلي؟».

ليلى بأدب استفزازي: «آه يا حاجة... أنا هنا»..

الحاجة: «أصلي معرفتكيش باليونيفورم الجديد ده... افتكرتك واحدة دخيلة علينا، مش ليلى بتاعتنا الملتزمة والأجمل والأشيك في العباية»..

ليلى بتحدٍّ، ولكن بأدب: «أنا مش بلبس عبايات غير وأنا في الجمعية.. وعموما مادام أنا الأجمل والأحلى في العباية، يبقى أولى بيّا أني مالبسهاش بقى، علشان مالفتش النظر.. وربنا يسهل بقى»..

الحاجة: «لا.. مايمنعش طبعًا، لكن ماحبكيش تبقى لابسة كده هنا تاني»..

ليلى بخجل وتحدٍّ: «هحاول يا حاجة، ولكن مش هقدر أوعد حضرتك.. بس هو ده يمنع إني أمتحن؟».

طبعًا علت الهمهمة بين الحاضرات جميعًا، حتى منهن من اعترض على كلامها وتناثرت كلمات مثل: «إيه ده يا ليلى... وبس يا ليلى».. وغيرها مما أثار غضب الحاجة..

الحاجة بالابتسامة نفسها وهي تشير إليها بالصعود إلى المنصة: «يالّلا يا ليلى... ولقد أغضبتيني... وهناك حديث في الأربعين النووية يتحدث عن الغضب.. وما قاله الرسول ﷺ في هذا الشأن.. اشرحي معنى الحديث بعد

سرده!».

واندهشت ليلى، فهو أقصر وأصغر الأحاديث في الكتاب.. إذ يحتوي على كلمة واحدة، وهي كانت تريد أن تسهب في الحديث.. ولكنها تمالكت أعصابها؛ خصوصًا وأنها وهي تقوم من مكانها، أشارت لها إحدى الدارسات - والتي كانت معلمة للقرآن، وكانت سيدة هادئة وقورة، كما كانت ليلى تحبها بشكل خاص، اسمها إيمان - وكأنها تشجعها، وهمست لها: «توكلي على الله.. إنتِ أدها وادود يا لولا!!!».

لم تعلم هذه السيدة مدى الشحنة الإيجابية التي نقلتها إلى ليلى على الفور، مما جعلها تخطو إلى المنصة، وكأنها تطير من على الأرض بمنتهى الثقة والقوة..

جلست ليلى مكان الحاجة على المنصة بمنتهى الثقة والثبات، وسردت الحديث وقامت بشرح الحديث كما كان في الكتاب.. بل زادت وقالت:

«إن الغضب من الشيطان وإني لآسفة جدًّا أن أتسبب بهذا الإحساس لمعلمتي وحبيبتي الحاجة سامية، التي طالما دعت بأن يجعلها الله من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.. والغضب من المكاره التي
لا يرضاها لنا الله تعالى ولا رسوله الكريم ولا أي من الرسل والأنبياء.. وأن الإخلاص في الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم هي أهم ما يذهب الغضب... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..».

وقامت من مكان الحاجة من على المنصة، وفي طريقها للنزول، رأت أنواعًا مختلفة من النظرات، تجمع بين الإعجاب والحسد في الوقت نفسه..

ولكن الحاجة بذكائها لم تكن لتترك الأمر يمر هكذا، وابتسمت لها ابتسامة رائعة وصفقت لها، وقالت أمام الجميع، وهي تحتضنها: «أشكرك
يا ليلى... دايمًا عند ظني فيكي.. جزاكي الله عني كل الخير، وربنا يتقبل منك ومنا، ويقدَّرنا على شياطين أنفسنا وعلى نفسنا الأمّارة بالسوء»..

وأكملت: «أستأذنكم يا حبيباتي... اليوم كان طويل النهارده... استودعتكم الله»..

وذهبت الحاجة إلى غرفتها، وعلمت أن ليلى لن تصمد أكثر من هذا، وأنها في طريقها لأن تترك الجمعية.. وبدأت تفكر في أنسب طريقة لإتمام هذا بأقل الخسائر؛ خصوصًا وأن محبي ليلى كثيرون جدًّا، وبعد ما حدث اليوم.. فقد أصبح لها مريدون من الممكن، أن يتأثروا بها، وأن يتركوا الجمعية وراءها!!

ذهبت ليلى إلى بيتها وعلمت أن إحدى المجلات المصرية الكبرى المكتوبة باللغة الإنجليزية سوف تجري حديثًا خاصًّا مع خالد عن عمله، وسوف يكون هو على الغلاف.. وسعدت جدًّا بهذا.. وعندما وصل خالد، قابلته هي والأولاد ضاحكين، وقالت له: لازم ننزل نجيب بدلة جديدة بقى...

خالد: «وإنتِ كمان تجيبي حاجة»..

ليلى: «لا يا سيدي.. أنا قصدي النجم بتاعنا اللي هيطلع على الغلاف»..

خالد، وسط ذهول ليلى: «هنطلع يا حلوة.. أنا وإنتي.. حوار المجلة خاص بشخصي وحياتي وشغلي، وسألوني إذا كنتي توافقي بما إنك شريكتي في كل حاجة، وأنا قلتلهم طبعًا هتوافق... ولا مش هتوافقي!!».

ضحكت ليلى واحتضنته وقالت: «يا حلاوتك بقى لما يشوفوني على غلاف مجلة كمان.. ربنا يستر!».

وبالفعل جاء مدير تحرير المجلة والمصور، وقاموا بتصويرهما وإجراء الحوار مع خالد، وفي خلال يومين كانت المجلة في الأسواق، وعلى غلافها خالد، وهو يحتضن ليلى بكامل حجابها الأنيق في لقطة، تكلم عنها كل أصحابهم وأقاربهم! حتى خالد نفسه قال لها: «استلقي وعدك بقى
يا حلوة، بعد الصورة دي»...

وذهبت ليلى كعادتها إلى درس التجويد في القرآن، ووجدت اللمز والهمز من كل من حولها؛ خصوصًا المقربات من الحاجة..

ونادت عليها إحدى المعلمات المقربات جدًّا من الحاجة، وكان اسمها سحر، ودخلت معها إلى إحدى حجرات الجمعية، وأغلقت الباب خلفها، وقالت لها: «أنا آسفة جدًّا والله يا ليلى على اللي هقولهولك ده.. لكن الحاجة استخارت ربنا كتير أوي، وفي النهاية، وقع اختيارها عليّا أنا لأداء هذه المهمة الصعبة وإبلاغك»..

ليلى مندهشة: «فيه إيه يا سحر، مش فاهمة حاجة؟!».

سحر: «الحاجة بتقول لك ياريت لو تقدري تاخدي أجازة مفتوحة من الجمعية منعًا للفتنة»..

ليلى بذهول: «فتنة؟ فتنة إيه؟».

سحر: «أيوه، الحاجة شايفة إنك اتغيرتي، وبقالك فترة طويلة على كده، وهي كانت بتقاوم بصراحة، ولكن لما وجدت التمادي الشديد منك، قالت لي أبلغك بموضوع الأجازة ده»..

ليلى: «يعني انتوا مش عايزيني آجي تاني؟».

سحر: «مش أنا والله يا حبيبتي.. الحاجة شايفة إنه إنتِ جالك شبهة في العقيدة»..

ليلى صارخة: «شبهة في العقيدة؟!!! بتكفَّروني يا سحر علشان جيت الجمعية من غير عباية وطرحة!!».

سحر بمنتهى الثبات: «الموضوع مش بس عباية وطرحة سودا يا ليلى... إنتِ بتلبسي ملون أوي، مش يعني الألوان المسموح بها، وعلى استحياء..

وبتسافري من غير محرم، وبتقيمي عند نصارى في بيوتهم، والنهارده طالعة على غلاف مجلة بشكل مزري، ووشك ملطخ أبيض وأحمر»...

ليلى: «اتقوا الله بقى..... لا حول ولا قوة إلا بالله..شكل مزري؟!!! ده أنا طالعة مع جوزي، وبكامل حجابي»..

سحر: «جوزك في أوضة النوم بس يا ليلى، مش مشاع أدام الناس كلها، وحجابك اللي طالعة بيه ده مش اسمه حجاب.. دي مجرد محاوله للاحتشام.. كل تفاصيل جسمك باينة، ويقدر أي حد إنه يتخيلها»..

ليلى مقاطعة: «ما هو اللي عايز يتخيل هيتخيلني لو حتى بالنقاب... إنتِ أصل عارفة يا سحر إن فيه 2 أعرفهم اتحجبوا أسوة بيّا، ربنا يكرمنا جميعًا!!».

سحر: «والله يا ليلى الموضوع ده بالذات لمّا الحاجة عرفته، قالت إنه مدخل شيطان ليزين لكي الشيطان سوء عملك»..

ليلى باستهزاء: «سوء عملي؟؟؟!!! خلاص يا سحر.. خلاص أنا مش عايزة كلام أكتر من كده»..

سحر: «طب بس حاجة أخيرة.. الحاجة بترجوكي إنك ماتقوليش لحد بالمكالمة اللي دارت بيينا دلوقتي، ولو حد سأل: ابقي قولي بقى أي عذر.. جوزك مش موافق إنك تكملي.. مشاغل الولاد.. أو إن وقتك مش سامح»..

وقاطعتها ليلى باستغراب: «أكذب يعني؟ بتطلبوا مني أكذب... الحاجة بترجوني إني أكذب...دي كده بقت حاجة جميلة أوي!!».

وتركتها ليلى، وركبت العربية وانهمرت باكية، واتصلت بإيمان معلمة القرآن، دون أن تشعر وحكت لها ما حدث بالضبط..

استنكرت إيمان ما سمعته من ليلى، وقالت لها: «اهدي يا ليلى واستعيني بالله يا حبيبتي.. الزمي الاستغفار، وإن شاء الله ربنا هيفرجها من عنده.. إنتِ أكيد فهمتي غلط.. الحاجة مستحيل تطلب منك إنك تكدبي»..

وظلت ليلى تقود السيارة، وهي في حالة بكاء مستمر، مكذبة لكل ما يحدث من حولها من أكاذيب وغش وخداع وغيبه ونميمة من ناس، يظهرون غير ما يبطنون.. حتى سمعت صوت جرس التليفون، وكانت إيمان!!

إيمان بصوت هادئ، ولكنه باكي: «السلام عليكم يا ليلى»..

ليلى: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. إيه يا إيمان، عملتي إيه؟».

إيمان: «خلاص يا ليلى.. إنتِ عندك حق.. ماتروحيش الجمعية تاني.. وعلى فكرة مش إنتِ بس.. أنا كمان مش هدخل الجمعية تاني»..

ليلى صارخة: «بسببي؟؟؟ هتتمنعي من تلميذاتك بسببي؟ ده إنتِ محفظة قرآن!!!».

إيمان مبتسمة، ومخففة عن ليلى: «لأ.. يا حبيبتي، والله مش بسببك..

محدش منعني.. ده قراري أنا.. وإذا كان على التلميذات ده رزق يا حبيبتي.. وإنتِ ناسية إنك إنتِ كمان تلميذتي، وعمري ما هسيبك غير لما تختمي بفضل الله ولا إيه»..

ليلى، في انهيار: «طب إيه اللي حصل؟!».

إيمان باقتضاب: «ولا حاجة.. أنا اتصلت بالحاجة بعد ما اتصلت بسحر، وأكدت لي الكلام كله.. وأنا رفضته، واعتذرت عن تكملة المجموعات في الجمعية!».

وانتهت المكالمة، وليلى في حالة من الصمت التام، وظلت هكذا إلى أن وصلت بيتها..

ظلت ليلى أسبوعين منقطعة عن الجمعية.. تحيا حياتها مع زوجها وأولادها وأهلها وأصدقائها، ولم تتلق تليفونًا واحدًا من أي من المعلمات، أو من سميرة أو حتى رانيا، وهي لم تتصل بهم أيضًا.. ولكنها كانت تتلقى اتصالات من زميلات لها في الجمعية لم تكن على صلة وثيقة بهن، ولم يكنَّ من المقربات من الحاجة أو من نشاطات الجمعية ككل.. لكن إيمان ظلت على اتصال يومي بها، وهي ظلت تذهب إليها في بيتها 3 مرات أسبوعيا، حتى تتم حفظ وتفسير القرآن..

وفي يوم، كانت ليلى مع نهى على التليفون، وكانت نهى في النادي مع أولادها، وفجأة وجدتها تسلم على رانيا التي فوجئت بـ«نهى»..

نهى: «إيه يا رانيا.. إنتِ رجعتي تيجي النادي أهو!!».

رانيا: «آه.. بقى الولاد وحماتي يا ستي حاكمين عليّا أقضي اليوم هنا»..

نهى: «طب هايل، دي ليلى في الطريق»..

وعندما شعرت نهى بارتباك رانيا، أكملت وهي تعطيها سماعة التليفون: «خدي ليلى أهيه عالخط كلميها»..

رانيا: «إيه يا ليلى، إزيك؟».

ليلى: «إيه ده مفيش السلام عليكم يا حبيبتي، ولّا إيه؟».

ازداد ارتباك رانيا، وحاولت التخلص من المكالمة بأقصى سرعة، حتى أنها ظلت تقول ألو ألو.. وأغلقت الخط، وقالت لنهى: «الخط اتقطع.. ياللا أنا هجري بقى أروح لحماتي علشان جايز نمشي»..

ضحكت نهى بسخرية، وقالت لها: «والله إنتم بتصعبوا عليّا.. ياللا امشي.. امشي قبل ليلى ما تيجي»..

رانيا بجرأة: «ليه بقى؟؟؟ هو أنا هخاف؟ صاحبتك هي اللي سابت الجمعية بمزاجها، وقطعت عن نفسها العلم والدين بعد الصور والميك أب والمسخرة اللي ماقدرتش تنساهم. وتستغنى عنهم، والجري ورا خالد والعيال والسفر و....».

نهى: «بس بس ...هي اللي إيه؟ مش الحاجة اللي اغتابتها مع تلميذاتها،

وحكت كل اللي تعرفه عنها يعني؟ ولا هي اللي استخارت وتعبت أوي لحد ما وقع الاختيار على الأخت الفاضلة سحر، علشان تتولى هذه المهمة الصعبة؟ ولّا مش هي برضو اللي طلبت منها تكذب لما حد يسألها سابت الجمعية ليه؟ وبعدين الدين في كتاب الله والتفاسير المحترمة، وده رزق يرزقه الله لمن يشاء... ياما فيه ناس رايحة جاية فاكرة إنها بتدرس كلام ربنا، وهي بعيدة كل البعد عن ربنا... الحمد لله الذي عافانا يارب.. عمومًا.. رزق ليلى فعلًا في ترك الجمعية باللي فيها من لغط.. وهي إنها تخلي بالها من بيتها وولادها، وده لا حرام ولا عيب... إنتم اللي مش فاهمين الدين
ولا فقه أولويات يا أبلة.. والحمد لله ربنا بيّن لها مين بيحبها ومين اللي عمره ماحبّها.. الدين يا ست رانيا لما بيدخل النفوس بينقيها مش بيطينها... ياللا باي بقى.. علشان ألحق ليلى»..

وتركت رانيا تغلي وذهبت..

بعد فترة، بدأت أخبار الحاجة تصل إلى ليلى ومن سميرة!!!!!!!

كانت سميرة بطبعها تحب نقل الكلام، ونظرًا لأن ليلى لم تسألها عن شيء فقد حللت لنفسها أن تستمع إلى الأخبار التي تأتيها بها.. وكانت قد اتصلت بليلى وأخبرتها أن الحاجة سوف تسافر في رحلة إلى قطر مع بعض التلميذات، وأنها رفضت أن تصحب سميرة لسبب غير معروف، وكانت المكالمة على شكل شكوى من الحاجة، وأنها لم تعد تفضلها كما كانت من قبل!

وبالفعل، كانت حياة الحاجة تسير بالشكل العادي، ولكن بداخلها تأثرت جدًّا بغياب ليلى فقط؛ لأنها كانت تعلم أنها مشروع داعية خليفة لها، وكانت ترى في انبهار ليلى بشخصيتها المبرر لأن تستمر في إغراقها بالمعلومات الدينية المحببة لديها؛ لثقتها في تطبيق ليلى لهذه المعلومات عن ظهر قلب..

وعلى الفور، كان عند الحاجة بدائل لاستبدال ليلى؛ خصوصًا وأنها قد رأت أن كثيرًا من الطالبات في الجمعية قد تأثرن بغياب ليلى، وبالطريقة التي غابت بها، وكانت لهم مصرية تعيش في السعودية، ولا تعلم أيًّا من هذه الأحداث.. وعند وصولها مصر، اتصلت بليلى تطلب منها الوساطة عند الحاجة «كالعادة»، وأنها تريد أن تقيم درسًا في بيتها لأنها في كرب شديد، وإن شاء الله الدرس والبركة وقراءة القرآن يكونون عوامل فك الكرب، ولكنها فوجئت برد ليلى..

ليلى: «لأ.. يا أسماء، والله كان بودي.. لكن للأسف أنا مش بروح الجمعية خلاص»..

أسماء: «إيه؟!!! إزاي.. لا حول ولا قوة إلا بالله.. جوزك برضو زي ما سمعت؟!!!».

ولم تكن ليلى تنوي إخبار أسماء بأي شيء مما حدث، ولكن عندما وجدت أن الموضوع، أصبح خالد هو المتهم فيه، لم تستطع أن تحتمل
ولا أن تخبئ..

ليلى: «لا يا حبيبتي.. أنا جوزي مالوش أي علاقة بالموضوع، ولا من قريب ولا من بعيد... ده طلب الحاجة»..

أسماء: «هو إيه ده اللي طلب الحاجة؟».

ليلى بثقة: «بصي يا أسماء.. علشان ما نتكلمش كتير، ونقعد بقى نلت ونعجن.. الموضوع باختصار إن خالد كان فيه مجلة عاملين معاه حوار، وأخدونا صورة للغلاف، وإني رحت الجمعية مرة، وأنا لابسة ألوان وماكنتش لابسة عباية.. فالحاجة فضلت تحوش لي وتتلكك، وخلت سحر تكلمني، وتقول لي آخد أجازة مفتوحة من الجمعية؛ لأنه جالي شبهة في العقيدة!!!».

أسماء: «إيه يا ليلى اللي بتقوليه ده؟!! لا حول ولا قوة إلا بالله... طيب ومفيش مساعي من حد يتوسط بينكم.. يعني الأمور ترجع لمجاريها؟».

ليلى: «أنا مش عايزة أدخل الجمعية دي تاني خلاص يا أسماء.. الحمد لله أوي إنها جت على أد كده.. أنا من يومها، حتى محدش منهم، قدر يتصل بيّا ولا يكلمني».

أسماء: «الله المستعان.. والله زعلتيني أوي.. بس بقول لك إيه.. كيد بكيد بقى أنا هعمل درس عندي، والحاجة اللي هتديه وعايزاكي تيجي تحضري»..

ليلى، وقد راقت لها الفكرة: «ولو الحاجة اتضايقت؟!».

أسماء: «كل واحد حر في بيته.. وأنا هكلم الحاجة، واتفق معاها على الدرس، وأنا حرة بقى، أعزم اللي أنا عايزاه»..

وفعلًا، تعمدت ليلى الذهاب، وهي بكامل هيئتها وأناقتها دون عباية، ولكن بحجاب ملتزم.. وكأنها تواجه مخاوفها كلها.. وتعمدت أن تذهب متأخرة عن الموعد حتى يكون الدرس قد بدأ، ويراها الجميع وهي تقطعه.. وبالفعل وجدت الحاجة تشرح وتتكلم، بل وقطعت حديثها للحظات، ولكنها استكملت الكلام باللهجة نفسها ومستوى الصوت العادي، بل ابتسمت وأشارت لها أن تجلس.. وأكملت الدرس الذي كان عن مكفرات الذنوب والظلم!!! وتساءلت ليلى فيما بينها وبين نفسها.. ألم تظلمها الحاجة بأن قررت أنها لابد وأن تترك الجمعية؟ ألم يكن من الأصوب أن تحتضنها وتتحدث معها، وتقنعها بأن تعدل عن أي شيء مما فعلته هي ورأت الحاجة أنه «فتنة» أو «مثير للشبهات» قبل أن تصاب بما أطلقوا عليه «شبهة في العقيدة»؟!!

ولكنها فجأة جاءها إحساس بأن الله سبحانه وتعالى الذي أنقذها من هذا المصير المجهول، الذي أبعدها عن زوجها وأبنائها وأهلها.. بل كان من الممكن أن يبعدها عن الدين كله..

وقبل أن تستمر ليلى في التفكير، كان الدرس قد انتهى وتوجهت معظم الموجودات ناحية القبلة حتى يؤمنّ على الدعاء الذي سوف تدعيه الحاجة.. واندهشت ليلى ومعظم الحاضرات، عندما أشارت لها الحاجة بأن تقترب

وتجلس بالقرب منها أثناء الدعاء!!

وذهبت ليلى، بعد أن تركت الحاجة تدعوها أكثر من مرة، وتأكدت بأن كل الموجودات رأين أن الحاجة تريد أن تكون بجوارها أثناء الدعاء.. وجلست بجوار الحاجة على استحياء، ولكن في منتهى الثقة في النفس.. فالحاجة كانت لها كاريزمتها القوية، وفي الوقت نفسه يستحيل معرفة أو توقع ما يمكن أن تفعله.. وجلست ليلى ورأت الكثير من الأعين ترمقها بحسد واستغراب في الوقت نفسه.. وبدأت الحاجة الدعاء وكان دعاءً رائعًا يشبه دعاء الشيخ السديس في الحرم..

وبمجرد انتهاء الدعاء والدرس التفتت ليلى إلى الحاجة؛ لتجدها فاردة ذراعيها لها لتأخذها في حضن طويل!!! كان بمثابة إعلان واضح أنه لا خلاف بين الحاجة وليلى التي ذهبت إلى الدرس أيضًا دون عباءة وطرحة سوداء، وكأنها تتحدى الجميع.. اعتذرت ليلى عن عدم قدرتها على الأكل؛ لأنها مدعوة على العشاء وسلمت على الجميع، وكانت كل سيدة من الموجودات تتسابق على من تجهز طبقًا للحاجة، ومن يأتي لها بالعصير أو الشاي وعلبة المناديل، بالإضافة إلى الفوطة الملفوف فيها الشوكه والسكين، وليلى تقف كالمتفرجة..

وفجأة.. التفتت الحاجة لليلى، وقالت لها: «على فكرة يا ليلى.. العباية عليكي أحلى كتير من الهدوم العادية»..

فابتسمت ليلى، وردت بهدوء وثقة: «خلاص، يبقى الحمد لله إني مش هلبسها تاني أبدًا بقى؛ علشان مالفتش النظر وآتحمل أوزار»..

وأكملت ليلى طريقها إلى الباب وذهبت إلى بيتها..

طوال الطريق، وليلى تفكر ووصلت إلى أن الحاجة لن تتوقف حياتها على ليلى، كما أن ليلى أيضًا لن تتوقف حياتها على الحاجة..

عادت حياة ليلى بسيطة وهادئة بحجابها والتزامها وحبها لربنا وطاعتها له، ولم تخلع الحجاب كما خلعته الكثير من السيدات حولها، ورأت الحاجة كيف تعاملت معهن، وكيف تم منعها ومن معها في الجمعية من الرد عليهن أو استقبالهن أو رؤيتهن، أو حتى التبسم في وجوههن..

لم تنس ليلى أبدًا حوارها مع الحاجة، عندما أمرت بهذه الأوامر، وكيف بكت ليلى؛ لأنها كانت متأكدة من أن كثيرات منهن ربما تعرضن لأزمة عصبية أو مشكلة نفسية.. وكيف نهرتها الحاجة، عندما أخبرتها أن الالتزام وحب الله ليس بالملابس وإنما بالقلب.. ولعل منتقبة بلباسها الأسود،
لا ترتقي عند الله تعالى لأخرى تلبس الملابس العادية، قلبها طاهر سليم ومسلمة بالفطرة..

لم تتوقف ليلى يومًا عن الصلاة في مواقيتها حتى صلاة الفجر، ولم تتوقف عن نداء خالد ليصلي بها جماعة، والذي كان يسعد بهذه الجماعة جدًّا.. وكانت

أسعد لحظاتها أن يصلوا كلهم جماعة.. انتظمت أكثر في درس حفظ القرآن إلى أن أتمته كله، وحتى لا تنساه..

كانت تقرأ ما بين 3 إلى 6 صفحات يوميًّا وحافظت على أن يستمر أولادها يقرأون القرآن ويحفظونه معها، وتحت إشراف خالد، الذي كان يجمعهم كل يوم جمعة بعد الصلاة ويحكي لهم إحدى قصص الأنبياء.. وظلوا مواظبين على الصلاة في أوقاتها كما يحب الله تعالى.. ولكنها رغم ذلك، وفي قرارة نفسها كانت تشعر بأحاسيس غريبة، لم تكن تعرف سببًا لها.. أهو افتقاد لحياة الجمعية.. أم لوقتها الذي ضاع بالجمعية؟ ولكنها كانت تصبر نفسها دائمًا بأن تنظر إلى ما أتى من هذه الفترة من إيجابيات، مثل تعليمها التجويد وحفظ القرأن وكذلك إدراكها بأن معرفة الناس على أوجههم الحقيقية كانت من أهم مميزات الجمعية!

كانت ليلى دائمًا تبتسم عندما تتذكر إصرار من في الجمعية على أن يوصفوا «بالسلفيين»، وكانت تقول كما يقلن.. ولكنها الآن تعلم تمام العلم أن السلف هم أسلاف النبي ﷺ وأتباعه الصالحين.. وأن كل سني ما هو إلا سلفي ولكن معتدل.. لا يفرط ولا يتشدد ولا يشدد على غيره ممن حوله، ولا يكفر أو يتهم أحدًا بالكفر.. وأصبحت تقرأ في كتب السيرة والأحاديث عن آل البيت، بعد أن كانت هذه النوعية محظورة عليها أيام الجمعية.. ولكنها وجدتها تساعدها على حفظ القرآن؛ لاحتوائها على كثير من الآيات القرآنية وأسباب نزولها وشرحها..

ورغم كل هذا، كانت ليلى كثيرًا ما تتساءل: «هل للجمعية فضل عليها؟ هل كانت هي السبب في تعليمها وتنوير عقلها، وإن اختلفت الآراء على الطريقة.. من المؤكد أنها كانت فترة صعبة ومريرة، لم تستطع أن تتعامل معها بحكمة، وكادت أن تودي بحياتها العائلية»..

أما الحاجة فكانت مثلها كمثل الحكام والرؤساء.. عيبها الأكبر في البطانة، ممن حولها.. فقد كانوا يريدون دائمًا الاستحواذ عليها بأي شكل، حتى وإن كان بتقطيع الروابط بينها وبين الكثير ممن حولها.. ولكن من يلام هنا؟ الحاجة أم من حولها؟!! سؤال لا إجابة عنه؛ لأنه يتكرر في كل ظرف وبكل شكل.. ولكن عندما خلت ليلى إلى نفسها، التي كادت تضيع، أيقنت أن العلم والدين في كتاب الله تعالى وسنة حبيبه المصطفى عليه الصلاة والسلام.. وأن الحاجة والجمعية ما هم إلا طريقة من الطرق الجديدة عليها وعلى حياتها.. واعتبرت أن كل ما مر بها مكسب.. مكسب أوضح لها الكثيرين بأوجههم الحقيقية؛ إذ رأت كيف يغلف الشر بالخير المصطنع.. كما أن ليلى كانت محظوظة عندما حالفها أمان الله، فحفظت حياتها وحياة أسرتها ولم تكن «كالدبة التي قتلت صاحبها»..

وكما استمرت حياة ليلى بعودتها لحب وود كل من حولها، لم تتوقف حياة الحاجة سامية التي استمرت في التدريس في الجمعية.. واستمرت نشاطاتها قائمة مع المستجدات، تنتقي منهن من تتوسم فيها خيرًا، وترفض منهن من لا

تتقبلها دون إبداء أي سبب.. وظلت السفريات الخاصة والسرية قائمة، وظلت النميمة والغيبة عند كثير من تلميذات الجمعية... كما ظل دعاء كفارة المجلس هو ختام لكل المجالس..

ولا تتوقف الحياة وتبدأ حياة وأخرى جديدة، ولا تنتهي بقرار أو بجرة قلم على سطر أو بطي صفحة أو حتى قطعها من كتاب.. وإنما يبقى الأشخاص يحيون.. يتناقضون ويختلفون ويتفقون.. سعداء وتعساء.. حالمين وواقعيين.. منهم من يعيش التجربة ويكتفي بالبداية ولا ينهي ما يعيشه ولا يستفيد منه.. ومنهم من يخطئ ويجرب مرة أخرى، غير عابئ بأن الخطأ الأول درس، ولكن تكراره غباء.. وتستمر الحياة.. القلم يكتب في الكتاب، وتزداد صفحات الكتاب، مؤرخة لأحداث تحدث معنا وبيننا، ومنا كثيرون لا يعلمون عنها الكثير ولا القليل...